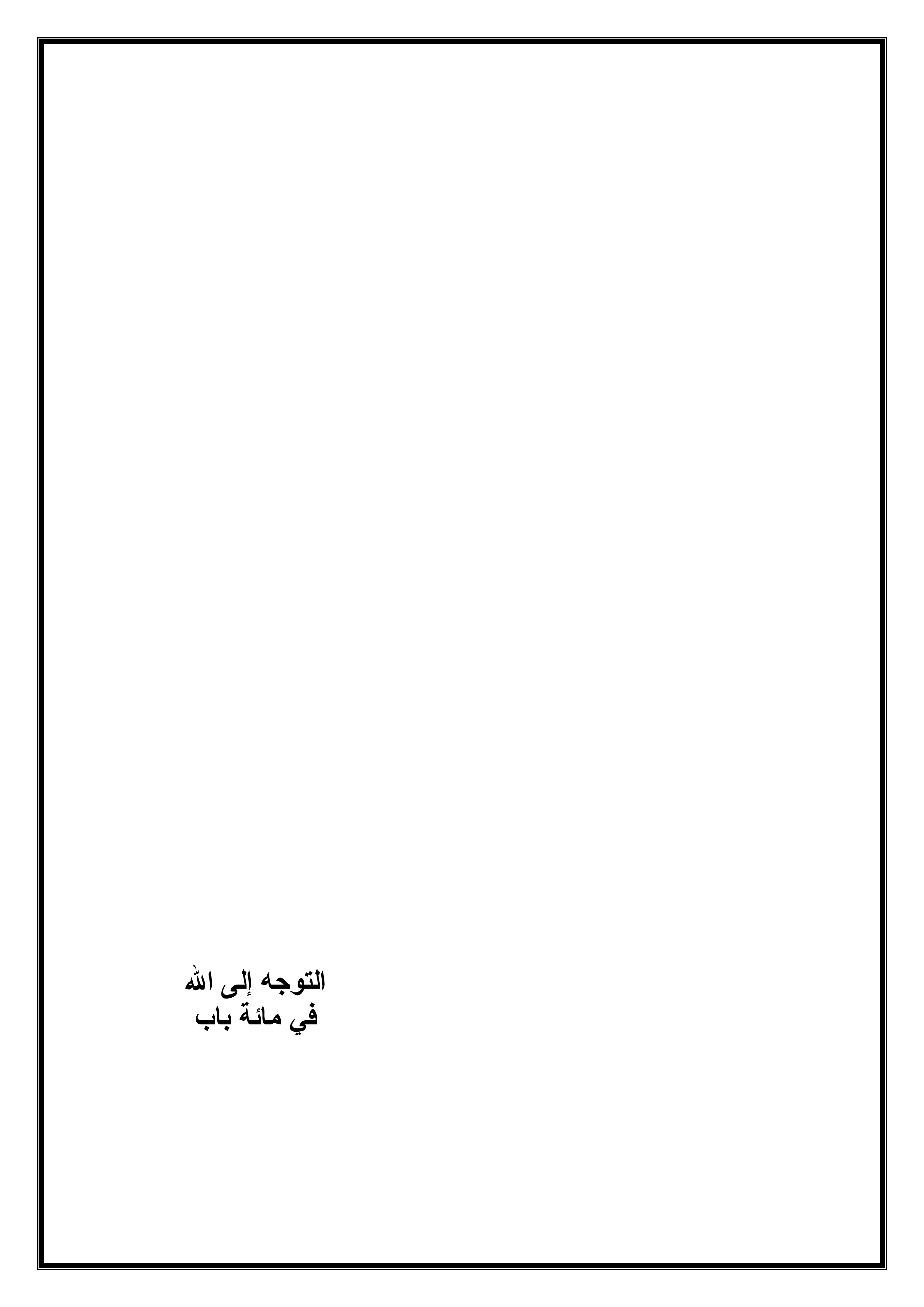


التوجه إلى الله
في مائة باب

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١١/٩/٣٥٥٧)

٢١١
خضر، محمد زكي
التوجه إلى الله في مائة باب/ محمد زكي خضر ._ عمان:
دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.
(٢٥٦) ص
ر.أ.: (٣٥٥٧/ ٩/ ٢٠١١).
الواصفات: / الثقافة الإسلامية / / الإسلام

❖اعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الاولية
❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com

التوجه إلى اللّٰه

في مائة باب

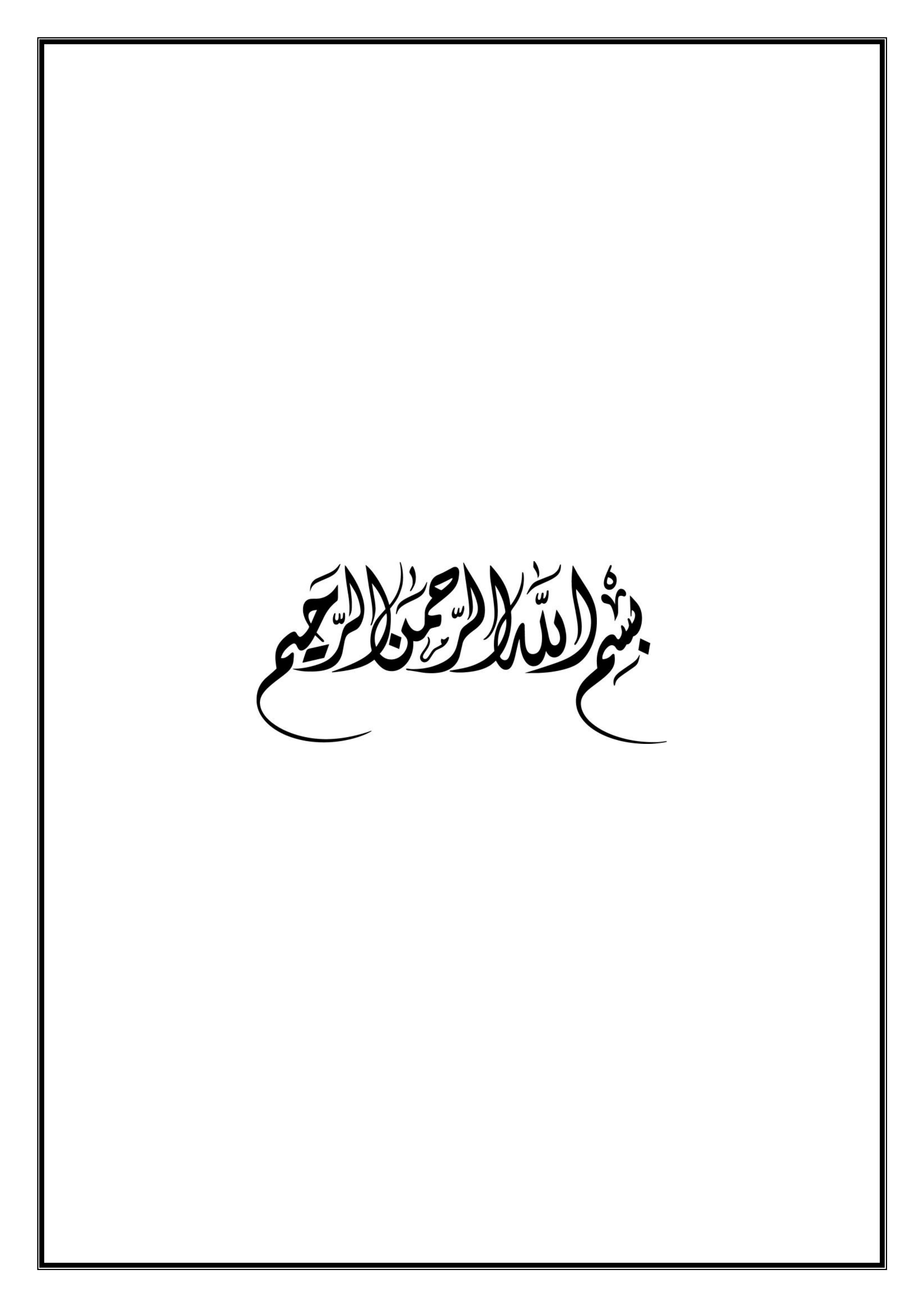
الأستاذ الدكتور

محمد زكي محمد خضر

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م



دار المأمون للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الدكتور محمد راتب النابلسي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد...

فقد تمنى علي الأخ الكريم الدكتور محمد زكي محمد خضر أن أقدم لكتاب من تأليفه سماه:

(التوجه إلى الله) وقد اطلعت على بعض عناوين الكتاب ومضامينه فوجدته جامعاً لأبواب الوصول إلى الله، يذكر مؤلفه الباب ويدلل عليه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولما كان أساس التوجه إلى الله محبته، فلا توجه بغير محبة فقد آثرت أن تكون مقدمتي ضمن هذا السياق.

"مر حكيم على رجل يبكي على قبر، فسأله عن سبب بكائه، فقال: إن لي حبيباً قد مات، فقال له الحكيم: لقد ظلمت نفسك بحب حبيب يموت، فلو أحببت حبيباً لا يموت لما تعذبت بفراقه.

المحبة من أخص خصائص الإنسان، ولكن البطولة ليست في أن تحب، ولكن البطولة كل البطولة في أن تعرف من ينبغي أن تحب.

للإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، والإنسان مفطور على حب الكمال، وحب الجمال، وحب النوال (أي العطاء)، وحينما يدرك العقل من خلال التفكر الدقيق في خلق السماوات والأرض أن الكون مسخر للإنسان تسخير تعريف وتكريم، وحينما ينظر الإنسان في الحوادث التي هي أفعال الله، فيرى أنها تنطق بالعدل والرحمة والإحسان وحينما يفهم الإنسان الفهم القويم للنقل الصحيح، حيث أخبر الله من خلاله أن الإنسان هو المخلوق الأكمل، خلقه في أحسن تقويم، وكرمه أعظم تكريم، خلقه لجنة عرضها السماوات والأرض، وأسبغ

عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

حينما يتفكر الإنسان في خلق الله، وينظر في أفعال الله، ويتدبر كلام الله يقوده عقله الذي هو أداته لإدراك الحقائق، وتقوده فطرته التي جبلت على حب من أحسن إليها إلى محبة الله ذي الجلال والإكرام، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً))، وقد ورد في الأثر أنه: ((لا إيمان لمن لا محبة له)).

المحبة هي قوت القلوب ، وغذاء الأرواح ، وهي الحياة التي من حرمها فهو في جملة الأموات، وهي النور الذي من فَقَدَه فهو في بحار الظلمات، وهي الشفاء الذي من عدمه حلت به الأسقام، وهي اللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، لذلك قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أنس بن مالك: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحبَ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر، بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)).

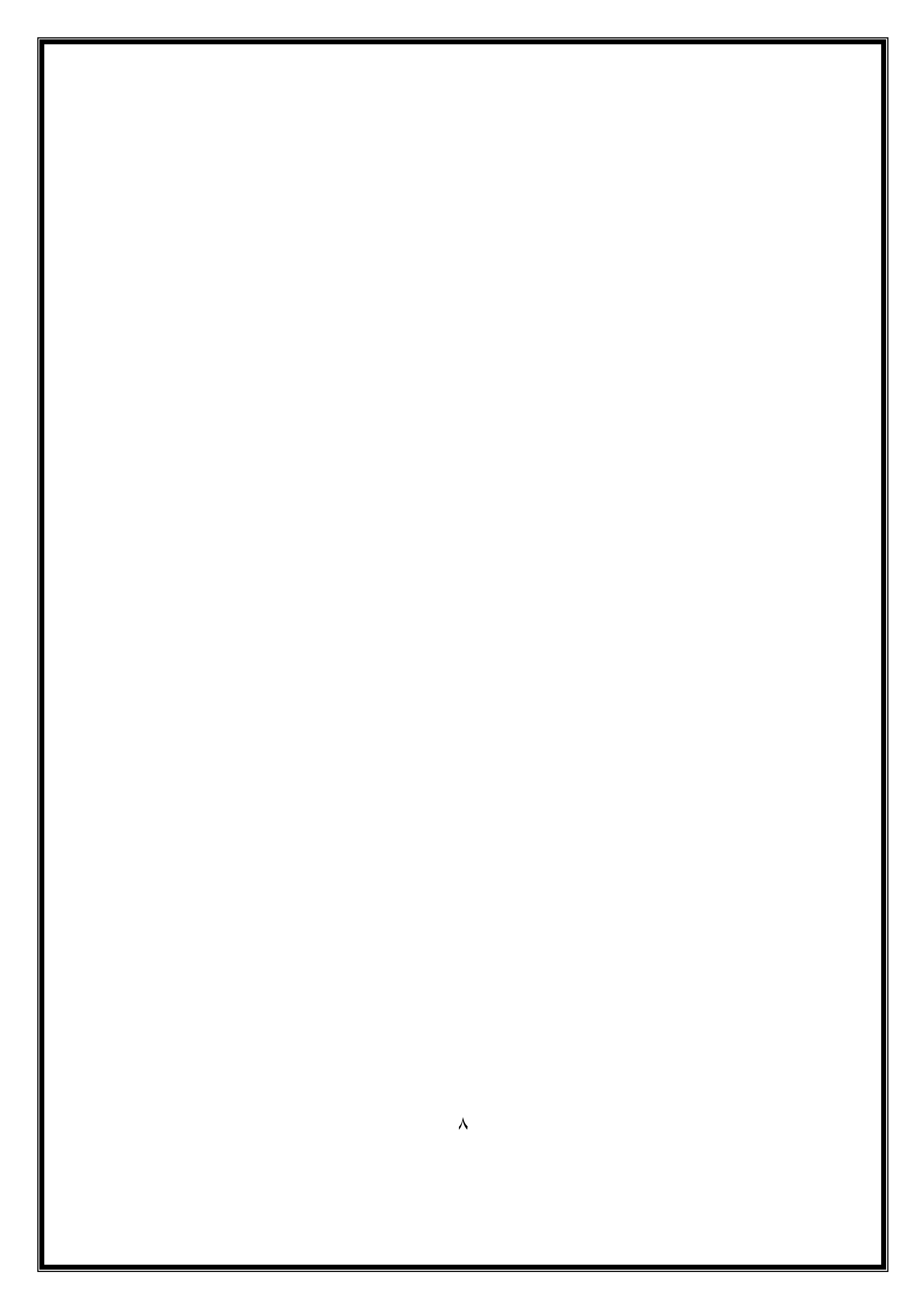
إذا عرف الإنسان ربه أحبه، وإذا أحبه خطب ودَّه، فاستقام على أمره، وعمل الصالحات ابتغاء وجهه، عندئذ يجد حلاوة الإيمان، يقول الله تعالى فيما رواه النبي ﷺ عن ربه في حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري: ((لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)).

المحبة معقد النسبة بين الرب والعبد، فإنه لا نسبة بين الله والعبد إلا محض العبودية من العبد، ومحض الربوبية من الرب، والمحبة هي معقد هذه النسبة، وهي روح الإيمان والأعمال، وقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، فالمرء مع من أحب، والمحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم،

وإيثار المحبوب على جميع المصحوب، وموافقة المحبوب في المشهد والمغيب، وهو استكثار القليل من التقصير واستقلال الكثير من الطاعة، وهي أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منه شيء، وهي أن تهب إرادتك، وعزمك، وأفعالك، ونفسك، ومالك، ووقتك لمن تحب، وتجعلها حبساً في مرضاه ومحابّه وفي كتاب الله آية كريمة تؤكد حقيقة المحبة، قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ **[المائدة: ٥٤]**.

فإذا ما أحب العبد ربه توجه إليه وفق أبواب الوصول التي شرعها جل جلاله، فأصل العلاقة مع الله أن تحبه وتسعى لمرضاته.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسنات مؤلفه، إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين.



مقدمة

الحمد لله وأفضل الصلاة وأتم التسليم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

يشعر بعض الناس أن شرائع الأسلام كثيرة وأنه لا يدري بأيها يهتم أكثر من غيرها، فقد تختلط عليه الأولويات ويرى المسلمين حوله يختلفون في جزئيات يحسبونها هي الأساس، ويرى بعضهم يهتم بأمور يتهاون فيها الآخرون، ويرى هذا الخلاف ليس بين عامة المسلمين بل وحتى بين علمائهم أحيانًا. وحين ينـاقَشُ بعضهم يَجده يمتدح الطريقة التي يسير عليها هو ويذم الطريقة التي يسير عليها غيرُه، وكأن هناك طريقًا واحدًا للتوجه إلى الله. نعم هناك دين واحد هو الإسلام كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ **[آل عمران: ٨٥]** لكن لهذا الدين عقائد وأوامر ونواهٍ معروفة وبسيطة وأساسية، فمن آمن بها وأدّى الفرائض واجتنب كبائر ما نهى الله عنه ولم يصرّ على صغائر الذنوب، كان من عباد الله الصالحين. وهو بعد ذلك يتخير في ما سوى ذلك من أفعال تقربّه إلى الله تعالى. فأبواب التوجه إلى الله كثيرة وللمسلم أن يكون من أهل باب من هذه الأبواب أو أكثر من باب فقد ورد أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «مَنْ أَنْفقَ زَوْجَين في سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هذا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَلاةِ دُعِي منْ باب الصَّلاةِ، ومَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِي مِنْ باب الجِهَادِ، ومَنْ كَانَ مِنْ أَهْل الصِّيامِ دُعِيَ مِنْ باب الرَّيَّانِ ومنْ كَانَ مِنْ أَهْل الصَّدقَة دُعِي مِنْ باب الصَّدقَةِ» قال أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: بأَبي أَنت وأُمِّي يا رسولَ اللَّه ما عَلى مَنْ دُعِي مِنْ تِلكَ الأَبْوابِ مِنْ ضَرُورةٍ، فهلْ يُدْعى أَحدٌ مِنْ تلك الأَبْوابِ كلِّها؟ قال: «نَعَم وَأَرْجُو أَنْ تكُونَ مِنهم» متفقٌ عليه.

المعروف ان أبواب الجنة ثمانية غير أن إبن حجر العسقلاني رحمه الله قال في فتح الباري بأن مَا جَرَى فِيهِ عَلَى ظَاهِرِ اَلْحَدِيثِ (من أن أبواب التوجه إلى الله ثمانية فقط على عدد أبواب الجنة) يَرُدُّهُ الزِيَادَةِ فِي اَلْحَدِيثِ لِأَحْمَدَ حَيْثُ قَالَ فِيهِ "لِكُلِّ أَهْلِ عَمَل بَاب يُدْعَونَ بِذَلِكَ اَلْعَمَلِ " وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اَلْمُرَادَ بِسَبِيلِ اَللَّهِ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ اَلْجِهَادِ وَغَيْره مِنْ اَلْأَعْمَال اَلصَّالِحَةِ وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ كُلّ عَامِل يُدْعَى مِنْ بَاب ذَلِكَ الْعَمَل، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَبِي هُرَيْرَة "لِكُلِّ عَامِلِ بَاب مِنْ أَبْوَاب الْجَنَّة يُدْعَى مِنْهُ بِذَلِكَ الْعَمَل" أَخْرَجَهُ أَحْمَد وَابْن أَبِي شَيْبَة بِإِسْنَادٍ صَحِيح.

وعلى ذلك فإن أبواب الخير ليست محصورة بهذا العدد، فالمسلم الذي يؤدي الصلاة المفروضة خير أداء ويكثر من السنن الراتبة والسنن غير المؤكدة والنوافل ويحب الصلاة ويستمتع بها يكون من أهل الصلاة وبذلك يكون باب التوجه إلى الله بحقه هو باب الصلاة، ومثل ذلك الذي يؤدي صيام رمضان حق أدائه ويكثر من الصيام بصيام ستة شوال وعاشوراء ويوم عرفة والإثنين والخميس والأيام البيض من كل شهر ويحرص على حفظ لسانه ويغض من بصره فهو متوجه إلى الله من باب الصوم وهكذا. ومن الناس من يتقن بابًا من أبواب الخير أفضل من غيره من الأبواب، وهو بذلك من أهل ذلك الباب مختصًا به معروفًا بهذا الفضل عند الله وهو بذلك يدعى من باب ذلك الخير الذي اختصه الله به لا بأن يكون هناك باب خاص من أبواب الجنة ولكنه باب من أبواب الخير التي يرضى الله عنها ويجمع عليها من فعلها من عباده.

قد يفتح الله للمؤمن بابًا من أبواب التوجه إليه دون اختيار منه، ومن ثم يكون له الخيار بالولوج من ذلك الباب أو لا، فقد يُبتلى المرءُ بفقد عزيز عليه، فمن يصبر يكن ممن يلج الجنة من باب الصبر ومن يضجر فلن ينال تلك الدرجة، وهذا تيسير من الله لخلقه. وقد يتقن المؤمن بابًا واحدًا من أبواب التوجه إلى الله فيحرص

على حسن القيام به فينال به القرب من الله، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلاّ غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" رواه البخاري. فالرسول ﷺ ينصح أمته بالأخذ بالصواب دون إفراط ولا تفريط وإن لم يستطيعوا الكمال فليحاولوا ما يقرب منه وليستعينوا على دوام العبادة بالأوقات التي تبعث على النشاط كأول النهار ووسطه وبعض الأوقات من الليل.

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما: إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أختها وإن السيئة تدل على أختها. وعَنْ أبي سَعيدٍ الخدْرِيِّ، رضي اللَّه عَنْهُ، عَنْ رسُولِ اللَّه ﷺ قال: «لَنْ يَشبَع مُؤمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حتى يكون مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ». رواهُ الترمذيُّ، وقَالَ: حديثٌ حسنٌ.

يحتوي هذا الكتاب على مائة باب من أبواب التوجه إلى الله وهي غالب ما ورد من أبوابٍ أشارت إليها أحاديث واردة عن رسول الله ﷺ بسند صحيح أو حسن أو ما قاربهما. وهي لا تعني حصر أبواب الخير بهذا العدد، فلكل باب من هذه الأبواب فروع قد تقود إلى رضوان الله تعالى إن تمسك بها العبد مخلصًا لله فيها، ولكن هذه الأبواب على سبيل الإجمال لا الحصر. ندعو الله أن يتقبل هذا العمل ويهدي به ويبارك في عمل من يعمل بما فيه، وهو ولي التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

محمد زكي محمد خضر

عمان – الأردن في

٣٠ رمضان ١٤٣١

الموافق ٢٠١٠/٩/٩

كيف يمكن للقارئ الإفادة من هذا الكتاب

ينصح القارئ أن يطلع على هذا الكتاب من أوله الى آخره ليعمل بما يستطيع في كل زمان وحال، ثم ينظر أي باب من الأبواب هو أقرب إليه ان يتجه إلى الله منه أو هو مناسب له في طبيعة ما يحيط به من أمور بحيث يسهل عليه التمسك به والدوام عليه، فعليه الحرص على إتقان ذلك الباب لكي يكون حقًا من أهله بإخلاص. فإن أتقن ذلك الباب وأراد أن يتخذ بعد ذلك أبوابًا أخرى فعليه أن يفعل مثل ذلك فيما يشاء ويقدر من أبواب أخرى، ولكن عليه أن يحرص عليها ويداوم على فعل ذلك الخير، فإن أحب الإعمال إلى الله أدومها وإن قلّ. فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: "سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يُدخل أحدكم عملُه الجنة، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قلّ" - رواه البخاري.

فإذا لم تستطع أن تعمل بما أمر الله به كلّه فلا عليك أن تتقن بابًا مما أمر الله به فتفوز بالدخول إلى الله من ذلك الباب.

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين على امتثال كل ما يسمعون من رسول الله ﷺ، أما نحن الضعفاء اليوم فلا أقل أن نتمسك ببعض ما ورد من فضائل الأعمال عنه عليه الصلاة والسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "إنكم في زمان من ترك منكم عُشر ما أُمِرَ به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منكم بعشر ما أمر به نجا" – رواه الترمذي - صحيح -. اللهم اجعلنا ممن يعمل عملاً يقوده إلى النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

١- باب الإخلاص

هذا باب من أهم أبواب التوجه إلى الله وهو يدخل في كل أعمال المؤمن من عبادات وعادات ومعاملات، فالإخلاص لوجه الله مطلوب فيها جميعًا. وكلما كان إخلاص المرء أصفى وأنقى بحيث لا يشرك بقوله وفعله أحدًا غير الله، كانت مضاعفة حسناته أكبر وكان أحرى أن يكون ممن يتوجه إلى الله من هذا الباب.

فقد أمر الله تعالى بالإخلاص في العمل فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ **[البيّنة: ٥]** وبيّن كيف أن غاية العبادات حصول المرء على التقوى فقَالَ تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ **[الحج: ٣٧]**. وهو يراقب ما خفي وما أعلن من العباد فقَالَ: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ **[آل عمران: ٢٩]**. وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ **[الكهف: ١١٠]**، وهي نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد على عمله فالإخلاص أساس في قبول العبادة قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ **[الزُّمَر: ٣]** وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ **[النساء: ١٤٦]**.

إن الإخلاص هو أساس العمل ولا يقبل الله عملاً أشرك الانسان غير الله فيه، لكن تنقية الإخلاص ليست بمتناول كل الناس، فمن أراد أن يتجه إلى الله من باب الإخلاص فعليه أن يستحضر النية الخالصة لله في كل أعماله وأقواله وأحواله.

عَنْ عُمرَ بنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنـه، قـال: سمعْـتُ رسُـولَ الله ﷺ يقُـولُ **«إنَّمـا الأَعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّمَا لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى، فمنْ كانَتْ هجْرَتُهُ إِلَـى الله ورَسُـولِهِ فهجرتُه إلى الله ورسُولِهِ، ومنْ كانَتْ هجْرَتُه لدُنْيَا يُصيبُها، أَو امرَأَةٍ يَنْكحُها فهْجْرَتُهُ إلى ما هَاجَر إلَيْهِ»** متَّفَقٌ على صحَّتِه.

وبالنية الصالحة ينال المسلم ثواب أعمال لم يفعلها لأنه نوى وتوسل إلى الله أن يفعلها لكنه لم يستطع أن يفعلها نتيجة عذر ما. فعَنْ جابِرِ بْنِ عَبْـدِ اللَّـهِ الأَنْصَـارِيِّ رضِيَ الله عنْهُمَا قَالَ: كنَّا مَع النَّبِيِّ ﷺ في غَزَاة فَقَالَ: **«إنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًـا إلاَّ كـانُوا مَعكُـم حَبَسَـهُمُ الْمَـرَضُ»** وَفِـي روايَـةٍ: **«إلاَّ شَركُوكُمْ في الأَجْرِ»** رَواهُ مُسْلِمٌ.

والمتوجـه إلى الله مـن بـاب الإخـلاص يراقـب قلبـه فينـوي فعـل كـثير مـن الصالحات ويتمنى لو أنه استطاع فعلها فيكتب الله له ثواب نيته. فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْـنِ عبَّاسٍ رَضِي الله عنهما، عَنْ رسول الله ﷺ، فِيما يَـرْوى عَـنْ ربِّـهِ، تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى قَالَ: **«إنَّ الله كتَبَ الْحسناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلك: فَمَنْ همَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يعْمَلْهَا كتبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حسنةً كامِلةً وَإنْ همَّ بهَا فَعَمِلَهَـا كَتَبَهَـا اللَّـهُ عَشْـر حَسَنَاتٍ إلَى سَبْعِمَائِةِ ضِعْفٍ إلَى أَضْعَافٍ كثيرةٍ، وَإنْ هَمَّ بِسيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإنْ هَمَّ بِها فعَمِلهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»** متفقٌ عليه. وفي تأمل هذا الحديث إشارة إلى أن كل زمان يمر على المـرء وهـو يحـدث نفسـه بعمـل الحسنة وإن لم يعملها فإن الله يكتبها له حسنة واحدة في ذلك الزمـان مهمـا بلغـت تلك الأزمنة من العدد، فله بكل زمان حديث حسنة لأن ذلك الزمان مشمول بهذا الحديث.

والمخلصون في أعمالهم يمنحهم الله نـورًا فتتضـح لهـم الأمـور عنـد الشـدائد والمحن والفتن وتنجلي عنهم كل غمة، فعند ذلك يهيئ الله لهـم الهدايـة ويزيـد مـن بركات أعمالهم وحسناتهم ويتجاوز عن سـيئاتهم. والمخلـص يسـتعين علـى نقـاء

إخلاصه بإخفاء عمله لئلا يدخل الشيطان فيه شيئًا من الرياء والعجب فيتكدر إخلاصه وينقص ثوابه.

قال بعض السلف ربّ عمل صغير تعظّمه النية وربّ عمل كبير تصغره النية. وقال بعض العلماء أطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير.

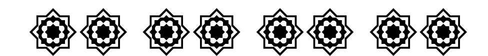
والأعمال ثلاثة أقسام معاص وطاعات ومباحات، فالمعاصي لا تنقلب إلى حسنات بالنية الحسنة بل تبقى سيئة مهما كانت النية، فمن نوى إطعام مسكين بسرقة مال مثلاً فلا ثواب له في إطعام المسكين وعليه وزر السرقة. أما الطاعات فتتضاعف بالنية الحسنة بحسب مقدار الإخلاص لله في عملها. ويمكن أن تتضاعف إكثر من ذلك بأن تتعدد نياته للعمل الصالح نفسه فقد يرى المرء أحد أقاربه محتاجًا فيساعده بنية الصدقة وبنية صلة الرحم وبنية الستر على المسلمين فيكتب له ثواب تلك النيات كلها. أما المباحات فيمكن أن تصبح من أفضل القربات بالنية الصالحة، ويمكن أن تنقلب إلى سيئات كثيرة بالنية السيئة. فالأعمال المباحة كالأكل والنوم تصبح قربات إذا نوى بها القوة على الأعمال الصالحة مثلاً. وحضور المباريات الرياضية التي هي عمل مباح يمكن أن يكون إثمًا إذا نوى النظر الحرام أو نوى أهمال أداء الصلوات بوقتها.

واعلم أن للنية ثوابًا وللعمل ثوابًا، والمؤمن ينوي فعل كثير من الصالحات فإن استطاع فعلها حصل على ثواب النية والعمل وربما كان ثواب نيته أفضل من ثواب عمله. أما ما لم يستطع فعله من العمل الصالح والذي قد نوى فعله فإن له ثواب نيته رغم أنه لم يستطع عمله. والنية سرّ بين العبد وربّه، فقد يدّعي بعض الناس حسن النية أو حسن السريرة كحجة لتقاعسهم عن أداء الفرائض وهذا ليس من النية في شيء.

كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى أبى موسى الأشعرى: من

خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس. وقال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى (الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة). وقال الفضيل بن عياض رحمه الله (ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما).

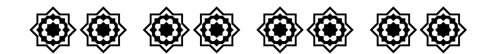
أهل الإخلاص يستحضرون النية الصالحة في كل عمل يعملونه من عبادات وأعمال صالحة ومعاملات مع العباد، وهم يراقبون أعمالهم أن يدخلها شيء من النية السيئة أو من رياء أو أغراض دنيوية، وهم يحاولون أن يتخلصوا من الآفات المشوشة للإخلاص سواء منها الجلى أوالخفى، فالشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وهو يحاول أن يسرق منه فضائل أعماله بخلط نيته في صالح أعماله بأغراض دنيوية.



٢-باب الرضا عن الله

الرضا عن الله أعلى درجات الصبر. فالصابر قد يشعر بالأذى والضرّ لكن يجبر نفسه على التصبر وهو حسن، وأفضل منه أن يرضى المؤمن عن الله وهو في أشد حالات الضر، وهو يتمتع ويتلذذ بما ابتلاه الله به مطمئنًا قانعًا بما كتب الله له كما كان يفعل أيوب عليه السلام. ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ **[المائدة: ١١٩]**، فالصدق مقترن بالرضا والصادقون مع الله راضون عن الله وهم سابقون بالخيرات، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ **[التوبة: ١٠٠]** وعن الصحابة الذين بايعوا رسول الله بيعة الرضوان قال تعالى: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ **[الفتح: ١٨]**. ويفصل الرضا عن السخط مواقف أحيانًا مثل المفاصلة بين المرء واقرب الناس إليه قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ **[المجادلة: ٢٢]** وقال عن المؤمنين الئين يخشون الله بحق: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ

عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ **[البيّنة: ٨]**. وقَالَ النبِيُّ ﷺ: «**إنَّ عِظَمَ الْجزاءِ مَعَ عِظَمِ الْبلاءِ، وإِنَّ اللَّه تعالى إِذَا أَحَبَّ قَومًا ابتلاهُمْ، فَمنْ رضِيَ فلَهُ الرِّضَا، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**» رواه الترمذي وقَالَ: حديثٌ حسنٌ. فالراضي بما كتب الله له لا يعترض على قضاء الله ولا يجد في نفسه كرهًا لما قسم الله له وبذلك يرضى الله عنه فيتوجه إلى الله بالرضا عن الله. وهو لا يكترث بما يصيبه في الدنيا من ابتلاء ويقول عندما تصيبه مصيبة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ وهو يرى المصيبة نعمة، وهو لا شك أفضل من الصابر الذي يكره ما هو فيه من بلاء لكنه لا يقول إلاّ حقًا. كان عمر بن الخطاب رضي الله علنه يقول: ما أصابتني من مصيبة إلاّ رأيت أن لله عليّ فيها ثلاث نعم: حيث لم تكن في ديني وحيث لم يكن ما هو أكبر منها والثالثة ما جعل الله لي فيها من الأجر بالكفارة لما كنا نتوقاه من سيئات أعمالنا. وسئل سفيان بن عيينة رضي الله عنه عن حد الرضا عن الله فقال الراضي عن الله لا يتمنى سوى المنزلة التي هو فيها. قيل للامام الحسين عليه السلام إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إليّ من الغنى، والسقم أحب إليّ من الصحة، فقال: رحم الله تعالى أبا ذر، أما أنا فأقول من إتّكل على حسن إختيار الله تعالى له لم يتمن غير ماإختاره الله عزوجل له. وهذا يعني أن المؤمن لا يتمنى الإبتلاء لكن إذا ابتلي صبر ورضي عن الله، وقال أبو عبدالله البراثي رضي الله عنه: لن يرد القيامة أرفع درجة من الراضين عن الله تعالى على كل حال، ومن وُهب الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات.



٣ - باب الصبر

الصبر أنواع، منه الصبر على البلاء، والصبر عن المعاصي، والصبر على الطاعات، والصبر عن أن يكون في قلبه غير الله. وقد أمر الله بالصبر والمصابرة وهي تعويد النفس على الصبر وإجبارها عليه حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ **[آل عمران: ٢٠٠]** وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ **[البقرة: ١٥٣]** والله تعالى يبتلي العباد فمن صبر فله البشرى قال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ **[البقرة: ١٥٥]** وقال: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ **[محمد: ٣١]**.

وعلى ذلك فإن الصبر غالبًا ما يكون ابتلاءً دون اختيار من المؤمن، أي أن الله يبتليه ومن ثم هو يستجيب بصبر أو بجزع، بتسليم لقضاء لله تعالى أو بكفر وجحود. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَجَبًا لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» رواه مسلم وقال: «**يَقولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الجَنَّة**» رواه البخاري. وعلى المؤمن إن أصابته بلية أن يصبر عند الصدمة الأولى، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأولَى**» متفقٌ عليه. وقد يهيئ الله للمرء الصبر اختيارًا بعد أن يستطيع التخلص من البلاء فعنْ عطاءِ بْن أَبِي رَباحٍ قالَ: قالَ لِي ابْنُ عبَّاسٍ رضي اللَّهُ عنهُمَا ألا أريكَ امْرَأَةً مِن أَهْلِ الجَنَّة؟ فَقُلت: بلَى، قَالَ: هذِهِ المْرأَةُ السوْداءُ أَتَتِ

النبيَّ ﷺ فقالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ، وإِنِّي أَتكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّـه تعـالى لِـي قَـالَ: **«إن شـئْتِ صَبَرْتِ ولكِ الْجنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دعَـوْتُ اللَّـه تَعـالَى أَنْ يُعافِيَـكِ فقَالـتْ: أَصْـبِرُ، فَقالت: إِنِّي أَتَكشَّفُ، فَادْعُ اللَّه أَنْ لا أَتكشَّفَ، فَدَعَا لَهَا»**- متَّفقٌ عليْهِ. ومثل هذا الصبر هو من عزائم الأمور.

فإذا ما صبر المرء عند البلاء وقاوم نفسه التي تدعوه للجـزع، فإنـه يتوجـه إلى الله من باب الصبر، قال رسول اللَّه ﷺ: **«إنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ قَالَ: إذَا ابْتَلَيْتُ عَبدِي بحبيبتَيْهِ فَصبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجنَّةَ»** يُقصدُ عينيْه، رواه البخاريُّ. وعن عائشَةَ رضي اللَّهُ عنها «**أنهَا سَأَلَتْ رسولَ اللَّه ﷺ عَن الطَّاعون، فَأَخبَرَهَا أَنهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ في الطَّاعُون فَيَمْكُثُ في بلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَـهُ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ**» - رواه البخاري - وَعنْ أَبي سَعيدٍ وأَبي هُرَيْرة رضي اللَّه عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَن وَلاَ أَذًى وَلاَ غمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُها إِلاَّ كفَّر اللَّه بهَا مِنْ خطَايَـاه»** متفـقٌ عليه. و«الْوَصَب»: الْمرضُ. وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ يُرِدِ اللَّـهُ بِـهِ خَيْـرًا يُصِـبْ مِنْهُ»** - رواه البخاري. أي يبتليه ببلاء فيصبر فيكـون ممـن توجـه إلى الله مـن بـاب الصبر، فيكون خيرًا له حيث يكفِّر الله عنه سيئاته ويرفع من درجاته، كما قـال ﷺ: **«مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمؤمِنَةِ في نَفْسِهِ وَولَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّه تعالى وَمَـا عَلَيْهِ خَطِيئَـةٌ»** رواه التِّرْمِـذيُّ وقـال: حـديثٌ حسـنٌ صـحِيحٌ. وعـن أبـي موسـى الأشعري رضي الله عنـه أن رسـول الله ﷺ قـال: **«إذا مـات ولـد العبـد قـال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسمّوه: بيت الحمد»** رواه الترمذي وقال حسن غريب. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«ما من الناس من مسلم، يتـوفى لـه**

ثلاث لم يبلغوا الحنث، إلاّ أدخله الله الجنة، بفضل رحمته إياهم» رواه البخاري.

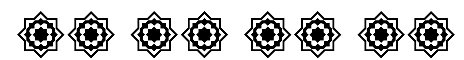
وحال المؤمن عند البلية أن يتصبر، أي أن يدعو نفسه إلى الصبر بل ويجبرها على ذلك، فإن ثقل ذلك عليه أوصلها إلى ذلك بالتدريج حتى تعتاد نفسه على الصبر لكي يصل إلى درجة الصابرين، قال رسول الله ﷺ: **«وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. والمؤمن لا يتمنى البلية ولكن إن أصيب بها صبر فقد ورد أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ في بعْضِ أَيَّامِهِ التي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، انْتَظرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمنَّوا لِقَاءَ الْعدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّه العَافِيَةَ، فَإِذَا لقيتُموهم فاصْبرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»**- متفقٌ عليه. وقال ﷺ: **«لا يتَمنينَّ أَحدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فاعلاً فليقُل: اللَّهُمَّ أَحْيني ما كَانَت الْحياةُ خَيرًا لِي وتوفَّني إِذَا كَانَتِ الْوفاةُ خَيْرًا لِي»** - متفق عليه. ومن الوسائل التي تساعد المؤمن في محاولته التصبر أن يتذكر حال من هو أشد منه بلاءً، فعن خَبَّابِ بْن الأَرتِّ رضيَ اللَّهُ عنه قال: **«شَكَوْنَا إِلَى رسول اللَّهِ ﷺ وَهُو مُتوسِّدٌ بُردةً لَهُ في ظلِّ الْكَعْبةِ، فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصرُ لَنَا أَلا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَد كَانَ مَنْ قَبْلكُمْ يؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ لَهُ في الأَرْضِ فيجْعل فِيهَا، ثمَّ يُؤْتِى بالْمِنْشارِ فَيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجعلُ نصْفَيْن، ويُمْشطُ بِأَمْشاطِ الْحديدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعظْمِهِ، ما يَصُدُّهُ ذلكَ عَنْ دِينِهِ، واللَّه ليتِمنَّ اللَّهُ هَذا الأَمْر حتَّى يسِير الرَّاكِبُ مِنْ صنْعاءَ إِلَى حَضْرمْوتَ لا يخافُ إلاَّ الله والذِّئبَ عَلَى غنَمِهِ، ولكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»** رواه البخاري.

ومن الصبر الذي يصعب على كثير من الناس أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب قال رسول اللَّه ﷺ قال: **«لَيْسَ الشديدُ بالصُّرَعةِ إِنَّمَا الشديدُ الَّذي يمْلِكُ نَفسَهُ عِنْد الْغَضَبِ»** متفقٌ عليه. ومن الصبر أن يملك المرء نفسه حينما تصيبه مظلمة فلا يظلم غيره من الأبرياء، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسولَ

اللَّه ﷺ:«**إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِى أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرونَها، قَالُوا: يا رسُولَ اللَّهِ فَما تَأْمرُنا؟ قالَ: تُؤَدُّونَ الْحقَّ الَّذي عَلَيْكُمْ وتسألون الله الذي لكم**» - رواه البخاري

ومن قصص الصابرين أنه أصيبت رِجل عروة بن الزبير رضي الله عنهما بالآكلة (داء خبيث) فقطعت رجله فما تضور (أي فما تغير) وجهه ولم يمسكه أحد ولم يدع تلك الليلة ورده (أي قيام الليل)، ودخل أبن له لاصطبله فرفسته دابة فقتلته فما سمع منه شيئ حتى قدم المدينة فقال: اللهم إنه كان لي أطراف أربع أخذت واحدًا وابقيت لي ثلاثة فلك الحمد وكان لي بنون أربعة فأخذت واحدًا وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد وأيم الله لئن أخذت لقد أبقيت وإن ابتليت لطالما عافيت. وكان أبو سعيد الخراز رضي الله عنه يقول: العافية سترت البرّ والفاجر، فإذا جاءت البلوى تبين عندها الرجال أي الصابرون بصدق.

فالتوجه إلى الله من باب الصبر باب عظيم يكفي القول فيه أن الله وعدهم بالأجر بغير حساب فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ **[الزُّمَر: ١٠]**.



٤- باب المراقبة

حقيقة المراقبة هي الشعور برؤية الله تعالى للعبد في كل أحيانه وشعوره أن الله قريب وأن الله معه وأنه يراه اين ما كان في كل سكناته وحركاته وهذا يحتاج إلى يقين وجهد وتدريب للنفس على هذه الحال لكي لا تغفل عن الله.

التوجه إلى الله من باب المراقبة يورث المؤمن حصانة ضد الوقوع في الزلل ويدفعه نحو مراقبة نفسه وايقافها عند حدها حينما تأمره بالفحشاء والسوء أو أية مخالفة لما أمر الله به أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام. فمن يشعر بأن الله معه دائمًا فإنه يراقب نفسه في خلواته وحضوره مع الناس ويعيش في محاسبة لنفسه قبل يوم الحساب ويكون مستعدًا ليوم الحساب متى قضى الله عليه الموت.

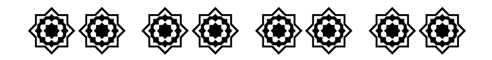
ومن يراقب نفسه يمنعها من اتباعها هواها أو اتباع خطوات الشيطان ويمنعها من الغفلة فهو دائم الحضور في طاعة أوامر الله وبعيد عن مخالفة اوامره، وبذلك يستحق أن يدخل على الله من هذا الباب. وهو في كل أحواله يتذكر قول اللهَ تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ **[الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]** وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ **[الحديد: ٤]** وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ **[آل عمران: ٥]** وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ **[غافر: ١٩]**.

وعن ابنِ عبَّاسٍ، رضيَ اللَّه عنهمَا، قال: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يوْمًا فَقال: **«يَا غُلامُ إِنِّي أُعلِّمكَ كَلِمَاتٍ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل اللَّه، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، واعلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمعتْ عَلَى أَنْ يَنْفعُوكَ بِشيْءٍ، لَمْ يَنْفعُوكَ إِلاَّ بِشيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإِن اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بَشَيْءٍ قد كَتَبَهُ اللَّه عليْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ»**. رواهُ التِّرمذيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ صَحيحٌ. وفي روايةِ غيرِ التِّرْمِذيِّ:

«احفظَ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يعرِفْكَ فِي الشِّدةِ، واعْلَمْ أَنّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَك، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ واعْلَمْ أنّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْب، وأَنَّ مَعَ الْعُسرِ يُسْرًا». فحفظ الله هو مراقبة النفس بأن لا تعصي الله حيث نهى وتطيعه في ما أمر.

قال سهل بن عبدالله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك، فقلت: كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك بثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك، الله معي، الله ناظري، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك، ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سِرّي، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معه وناظرًا إليه وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي إلى المكتب، فقلت إني لأخشى أن يتفرق عليّ همّي، ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع، فمضيت إلى الكُتّاب، فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة. هذه ثمرات مراقبة الله في الدنيا فما بالك بثواب ذلك يوم القيامة؟ وقال أبو شجاع الكرماني (من عمّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وكفّ نفسه عن الشهوات وغض بصره عن المحارم واعتاد أكل الحلال لم تخطيء له فراسة).

فالمتوجه إلى الله من باب المراقبة هو من راقب نفسه في كل لحظاته وتأكد أن كل عمل يقوم به وكل كلمة يتكلمها وكل خطرة تخطر على باله توافق ما ورد في كتاب الله عز وجل وهدي نبيه عليه الصلاة والسلام.



٥- باب المحاسبة

مراقبة المرء نفسه مرتبة عالية، أما من هو أقل من مرتبة تمام المراقبة فلا بد أن يغفل في بعض أحيانه عن مراقبة نفسه فيذنب، وعند ذلك يتخذ لنفسه وقتًا يحاسبها فيه على ما عملت من عمل وما قصرت في يومها أو ليلتها أو في ما مضى كل شهر أو كل عام. قالَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسِبُوا أنْفُسَكُم قبلَ أنْ تُحَاسَبُوا، وزِنُوا أنْفُسَكُم قبلَ أَنْ تُوزَنوا؛ فإِنَّهُ أهونُ عليكُم في الحسابِ غدًا أنْ تُحاسِبوا أنْفُسَكُمُ اليومَ، وتزَيَّنُوا للعَرْضِ الأكْبَرِ: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ **[الحاقة: ١٨]**».

وعنْ أَنَس رضي اللَّهُ عنه قالَ: **«إِنَّكُمْ لَتَعْملُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدقُّ في أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقاتِ»** رواه البخاري. «الْمُوبِقَاتُ» أي الْمُهْلِكَاتُ. وهكذا كان الرعيل الأول يحاسبون أنفسهم فيعنفونها على ارتكابها الزلل ويرون تلك المخالفات كبيرة. وعن النبي ﷺ قال: **«الكيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللَّهِ الأماني»** رواه التِّرْمِذيُّ وقالَ حديثٌ حَسَنٌ. قال التِّرْمذيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَى «دَانَ نَفْسَه»: حَاسَبَهَا. فمن الكياسة أن يحاسب المرء نفسه على صغائر الأمور قبل كبائرها لكي يوقفها عند حدود ما أمر الله تعالى.

ومحاسبة النفس هي من أول أبواب التقوى، فعنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: **«اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ»** رواهُ التِّرْمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ، فكيف يتبع السيئة بالحسنة إذا لم يحاسب نفسه ويعرف بأنه قد فعل سيئة ووجب عليه محوها بحسنة بعدها؟.

وقال السري السقطي رضي الله عنه: من حاسب نفسه استحيا الله من

حسابه. والغاية من محاسبة النفس هو أن يحسب على نفسه ما عمل من حسنات فيزداد في ذلك وما عمل من سيئات فيقلع عن ذلك ويستغفر. قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: إذا أسأت سيئة في سريرة فإحسن حسنة في سريرة، وإن أسأت سيئة في علانية فأحسن حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه.

ومُحاسَبَةُ النَّفْسِ نوعانِ: نوعٌ قبلَ العَمَلِ، ونوعٌ بعدَه. فأَمَّا النَّوعُ الأوَّلُ: فهو أَنْ يَقِفَ عندَ أَوَّلِ همِّهِ (يعني أول ما يخطر بباله) وإرادتِه، ولا يُبادِرَ بالعمَلِ حتى يتَبَيَّنَ لهُ رُجْحانُهُ على تركِه. قالَ الحسنُ رحمهُ اللهُ: «رَحِمَ اللهُ عبدًا وَقَفَ عندَ همِّهِ، فإنْ كانَ لله مَضى، وإنْ كانَ لغيره تأخّر».

وشرحَ هذا بعضُهُم ذلك فقالَ: إذا تحرَّكَتِ النَّفْسُ لعملٍ من الأعمالِ، وهَمَّ بهِ العبدُ، وَقَفَ أَوَّلاً ونَظَرَ: هل الباعث عليه إرادةُ وجه الله عز وجل وثوابِهِ أو إرادةُ الجاهِ والثّناءِ والمالِ من المخلوق؟ فإنْ كان الثاني لم يُقْدِمْ عليه وإنْ أفضى به إلى مطلوبه، لئلاّ تعتادَ النّفسُ الشِّرْكَ، ويخفَّ عليها العملُ لغير الله، فبقدْرِ ما يَخِفُّ عليها ذلك يَثْقُلُ عليها العملُ لله تعالى، حتىَّ يصيرَ أثقلَ شيءٍ عليها. أما النَّوعُ الثَّاني فهو مُحاسَبَةُ النَّفْسِ بعدَ العَمَلِ: وهو ثلاثةُ أَنواعٍ:

أَحَدُها: مُحَاسَبَتُها على طاعةٍ قصَّرَتْ فيها مِن حَقِّ اللهِ تعالى؛ فلم تُوقِعْها على الوجهِ الَّذي ينبغي.

وحقُّ اللهِ تعالى في الطَّاعةِ ستَّةُ أُمورٍ، وهي: الإخلاصُ في العملِ والنَّصيحَةُ للهِ فيهِ ومُتابعَةُ الرَّسولِ فيهِ وشُهودُ مَشْهَدِ الإحسانِ فيهِ وشُهودُ مِنَّةِ اللهِ عليهِ وشُهودُ تَقصيرِهِ فيهِ بعدَ ذلك كلِّهِ.

فيُحَاسِبُ نَفْسَهُ: هل وفَّى هذه المقاماتِ حقَّها؟ وهل أتى بها في هذه الطَّاعةِ؟

الثَّاني: أَنْ يُحاسِبَ نفسَهُ على كلِّ عملٍ كانَ تَرْكُه خيرًا لهُ مِن فِعْلِهِ. الثَّالثُ: أَنْ يُحاسِبَ نفسَهُ على أمْرٍ مُباحٍ، أو مُعتادٍ: لِمَ فَعَلَهُ؟ وهل أرادَ بهِ الله والدَّارَ الآخِرَةَ؟

فيكونَ رابحًا، أو أرادَ بهِ الدُّنيا وعاجِلَها؛ فَيَخْسَرَ ذلك الرِّبحَ ويفوتَه الظَّفَرُ بِهِ!

والذي يجمع ذلك كله: أَنْ يُحاسِبَ نفسَهُ أوَّلاً على الفرائِضِ، فإنْ تَذَكَّرَ فيها نَقْصًا تَدارَكَهُ، إمَّا بقضاءٍ أو إصلاحٍ ثمَّ يُحاسِبُها على المناهي، فإنْ عَرَفَ أنَّهُ ارتكَبَ منها شيئًا تدارَكَهُ بالتَّوبةِ والاستغفارِ والحسناتِ الماحِيَةِ، ثمَّ يحاسِبُ نفسَهُ على الغَفْلَةِ، فإنْ كان قد غَفِلَ عمَّا خُلِقَ لَهُ؛ تدارَكَهُ بالذِّكْرِ والإقبالِ على الله تعالى، ثمَّ يُحَاسِبُها بما تكلَّمَ بهِ، أو مَشَتْ إليهِ رجلاهُ، أو بَطَشَتْ يداهُ، أو سمعَتْهُ أُذناهُ: ماذا أرادَتْ بهذا؟ ولِمَنْ فَعَلَتْهُ؟ وعلى أيِّ وجهٍ فَعَلَتْهُ؟ ويعلم أنه لا بد أن يسأل لكل حركة وكلمة منه سؤالان هما: لِمَ؟ وكيف؟ أي: لمَ فعلتَ؟ وكيفَ فَعلتَ؟

وقد دلَّ على وُجوبِ محاسبة النَّفسِ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ﴾ **[الحشر: ١٨]**، فأمر سبحانه العبدَ أنْ ينظر ما قدَّمَ لِغد، وذلك يتضمَّن محاسبة نفسه على ذلك، والنظر: هل يصلُح ما قدّمه أن يلقى الله به أو لا يصلح؟.والمقصودُ مِن هذا النظرِ ما يُوجبه ويقتضيه، من كمال الاستعداد ليوم المعاد، وتقديم ما يُنجيه من عذاب الله، ويُبيض وجهه عند الله.

وفي محاسبةِ النَّفْسِ عِدَّةُ مصالحَ:

مِنْهَا: الاطِّلاعُ عَلَى عُيوبِها ونقائصها، فيمكِنُهُ السَّعي في إصلاحها، ومَن لَمْ يطَّلعْ عَلَى عَيْبِ نفسِهِ، لَمْ يُمْكِنْهُ إزالَتُه، فَإِذَا اطَّلَعَ عَلَى عَيْبِها؛ مَقَتَها فِي ذاتِ اللهِ تَعَالَى. قال أبوالدرداء رضي الله عنه: «لا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كلَّ الفِقْهِ حَتَّى يَمْقُتَ النَّاسَ في جَنْبِ اللهِ، ثم يَرْجِعُ إلى نفسِهِ فيكونَ لها أشدَّ مَقْتًا».

وكان السلف يذمون أنفسهم ويرون تقصيراتهم كالجبال. لما احْتُضِرَ سفيانُ الثَّوريُّ؛ دَخَل عليهِ أبو الأشهبِ وحمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، فقالَ لهُ حمَّادٌ: يا أبا عبدِ اللهِ! أَليس قد أمِنْتَ ممَّا كنتَ تخافُه؟ وتقْدَمُ على مَن ترجوهُ، وهو أَرْحَمُ الرَّاحمينَ. فقال: يا أَبا سلمة ! أَتَطْمَعُ لِمِثْلِي أَنْ ينجُو مِن النَّارِ؟ قَالَ: إيْ واللهِ؛ إنِّي لأرجو لكَ

ذلك". وقَالَ يُونُسُ بنُ عُبيدٍ: " إنِّي لأجِدُ مئةَ خَصْلَةٍ مِنْ خِصالِ الخيرِ، ما أَعْلَمُ أَنَّ في نفسي منها واحدةً". وقال محمَّد بنُ واسعٍ:"لو كانَ للذُّنوبِ ريحٌ؛ ما قَدِرَ أحدٌ يجلِسُ إليَّ". وذُكِرَ داودُ الطَّائِي عندَ بعضِ الأمراءِ، فأثْنَوا عليهِ، فَقَالَ: " لو يَعْلَمُ النَّاسُ بعضَ ما نحنُ فيهِ، ما ذلَّ لنا لسانٌ بذِكْرِ خيرٍ أبدًا".

وقالَ أَبو حفصٍ: مَنْ لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوامِ الأوقاتِ، ولم يُخالِفْها فِي جميعِ الأحوالِ، ولم يَجُرَّها إِلَى مكروهِها فِي سائِرِ أَوقاتِه كَانَ مغرورًا، ومَن نَظَرَ إِلَيْهَا باستحسانِ شيءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَها.

ومَقْتُ النَّفسِ فِي ذاتِ اللهِ مِن صفاتِ الصِّدِّيقينَ، وقد يتقرب العبدُ مِن اللهِ تَعَالَى فِي لحظةٍ واحدةٍ بِمقت نفسهِ أَضعافَ أَضعافِ مَا يَدنو بالعملِ. وأيضًا: فإنّ زكاتها وطهارتها موقوفٌ على محاسبتها، فلا تزكو ولا تَطْهُرُ ولا تَصْلُحُ ألبتَّة إلاّ بمحاسبتها.

وسئل ذو النون: بم ينال العبد الجنة؟ قال: بخمس: استقامة ليس بها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب.

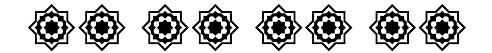
وعن سلمة بن منصور، عن مولى لهم، كان يصحب الأحنف بن قيس، قال: كنت أصحبه، فكان عامه صلاته الدعاء، وكان يجيء بالمصباح، فيضع أصبعه فيه، ثم يقول: حس ثم يقول: ياحنيف، ما حملك على ماصنعت يوم كذا، ما حملك على ماصنعت يوم كذا؟ وقال مالك بن دينار رحمه الله: (رحم الله عبدًا قال لنفسه النفيسة: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله، فكان لها قائدًا)

روى عن أحد الصالحين أنه قال: (حق على العاقل أن لا يشغل عن أربع ساعات، ساعة يناجي بها ربه وساعة يحاسب بها نفسه وساعة يفضي إلى أخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه في نفسه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذّاته فيما يحل

ولا يحرم فإنها عون له على تلك الساعات) وقال ميمون ابن مهران (لا يكون الرجل تقيًا حتى يحاسب نفسه محاسبة شريكه وحتى يعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه). وقالَ الحسنُ: "إنَّ العبدَ لا يزالُ بخيرٍ مَا كانَ لهُ واعِظٌ مِن نفسِهِ، وكانتِ المحاسبةُ مِن همَّتِهِ".

وقالَ ميمونُ بنُ مِهرانَ أيضًا: " أَنَّ التَّقِيَّ أشدُّ محاسبةً لنفسِهِ مِن سلطانٍ عاصٍ، ومِن شريكٍ شحيحٍ". ولهذا قيلَ: النَّفْسُ كالشَّريكِ الخوَّانِ، إنْ لم تُحاسِبْهُ؛ ذَهَبَ بمالِكَ". وكتبَ عمرُ بنُ الخطَّابِ إلى بعض عمَّالِه: "حاسِبْ نفسَكَ في الرَّخاءِ قبلَ حسابِ الشِّدَّةِ؛ فإنَّ مَنْ حَاسَبَ نفسَهُ في الرَّخاءِ قبلَ حِسابِ الشِّدَّةِ عادَ أمرُهُ إلى الرِّضى والغِبْطَةِ، ومَن أَلْهَتْهُ حياتُه وشَغَلَتْهُ أهواؤهُ؛ عادَ أمرُهُ إلى النَّدامَةِ والخسارةِ". وقال الفُضَيل بن عِياض: المؤمنُ يحاسب نفسه ويعلم أنّ له موقفًا بين يدي الله تعالى، والمنافق يغفل عن نفسه، فَرَحِمَ اللهُ عبدًا نظر لنفسه قبل نزول مَلَك الموتِ بِه.

ومحاسبة النفس هي أسهل طريق للوصول إلى تقوى الله التي أمر الله تعالى عباده في عشرات الآيات في كتابه. ومن أراد أن يحاسب نفسه على الدوام فعليه أن يتخذ لنفسه منهاجًا يوميًا، كأن يحاسبها قبل نومه، ثم كل اسبوع، كأن يحاسبها كل جمعة على ما فعلت في الأسبوع، ثم كل شهر، كأن يحاسبها نهاية كل شهر، ثم نهاية كل عام.



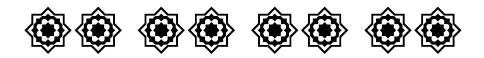
٦- باب التوكل على الله

قال اللَّه تعالى مادحًا المتوكلين: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ **[الأحزاب: ٢٢]**. وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ **[آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤]**. وهو أمر بالتوكل حين قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ **[الفرقان: ٥٨]**. وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ **[آل عمران: ١٢٢]**. وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ **[آل عمران: ١٥٩]**. والآيات في الأمر بالتوكل كثيرة.

المتوكل على الله يعمل جهده في حسن أداء عمله وبعد أن يؤدي العمل لا يقلق ولا يفكر بل يتوكل على الله ويكل النتائج لله وحده ويستوي عنده أن يكون ما يقضي به الله وفق ما يرغب هو أو عكس ذلك. فهو يثق بأنّ ما يقضي الله به هو الخير له في دينه ودنياه طالما هو قد أتقن عمله وأخذ بالأسباب. وهو يتوكل على الله في رزقه وعمله فلا يقلق على غده بل يرى أن الله هو المتكفل بالمستقبل، ذلك هو التوكل الحق، فالمتوكل مستسلم لأمر الله وهو يتذكر ربه ويردد ما روي عن رسول الله ﷺ أنه كانَ يقُولُ: **«اللَّهُم لَكَ أَسْلَمْتُ وبِكَ آمنْتُ، وعليكَ توَكَّلْتُ، وإِلَيكَ أَنَبْتُ، وبِكَ خاصَمْتُ. اللَّهمَّ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لا إِلَه إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْت الْحيُّ الَّذي لا تَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يمُوتُونَ»** متفقٌ عليه. وَهَذا لَفْظُ مُسْلِمٍ. وعن ابْنِ عَبَّاس رضي اللَّه عنهما أيضًا قال: «حسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الْوكِيلُ قَالَهَا إِبْراهِيمُ ﷺ حينَ أُلْقِى في النَّارِ، وَقالَهَا مُحمَّدٌ ﷺ حينَ قَالُوا: **«إِنَّ النَّاسَ قَدْ جمعُوا لَكُمْ**

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمانًا وقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوكِيلُ» رواه البخارى. وعن أبي عِمَارةَ الْبراءِ بْنِ عازبٍ رضي اللَّه عنهما قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«يا فُلان إذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُل: اللَّهمَّ أسْلَمْتُ نفْسي إلَيْكَ، ووجَّهْتُ وجْهي إِلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمري إلَيْكَ، والْجأْتُ ظهْري إلَيْكَ رغْبَة ورهْبةً إلَيْكَ، لا ملجَأَ ولا منْجى مِنْكَ إلاَّ إلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذي أنْزَلْتَ، وبنبيِّك الَّذي أرْسلتَ، فَإِنَّكَ إنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وإنْ أصْبحْتَ أصَبْتَ خيْرًا»** متفقٌ عليه. وكان النبيَّ ﷺإذَا خَرجَ مِنْ بيْتِهِ قالَ: **«بسم اللَّهِ، توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزلَّ، أَوْ أظلِمَ أَوْ أُظلَم، أَوْ أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ»** رواه أبو داود والتِّرمذيُّ وَغيْرُهُمَا بِأسانِيدَ صحيحةٍ. قالَ التِّرْمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وهذا لَفظُ أبي داودَ. وكان ﷺ يحث المؤمنين على التوكل على الله ويقُولُ: **«لَوْ أنَّكم تتوكَّلونَ على اللَّهِ حقَّ تَوكُّلِهِ لرزَقكُم كَما يرزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِماصًا وترُوحُ بِطَانًا»** رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ. معْناهُ تَذْهَبُ أوَّلَ النَّهَار خِماصًا: أي ضَامِرةَ الْبُطونِ مِنَ الْجُوعِ، وترْجِعُ آخِرَ النَّهَارِ بِطَانًا: أيْ مُمْتَلِئَةَ الْبُطُونِ. وفي الإشارة إلى الطير هنا أنها ترزق حينما تغدو باحثة عن الرزق وليست حين تبقى ماكثة في عشّها. وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، قالوا: من هم؟ يا رسول الله! قال: هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»** رواه مسلم.

والتوكل يبنى على يقين صادق، سأل رجل حاتمًا الأصم على ما بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟ قال: على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه.



٧- باب التوبة

إتفقت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة عَلَى وجوب التوبة. قال اللَّه تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **[النور: ٣١]**. وقال: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ **[هود: ٣]**. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ **[التحريم: ٨]**. وكان رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**يا أَيُّها النَّاس تُوبُوا إِلى اللَّهِ واسْتغْفرُوهُ فإِني أَتوبُ فِي اليَوْمِ مائة مَرَّة**» رواه مسلم. وعن أَنس بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ خَادِمِ رسول الله ﷺ، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**للَّهُ أَشدُّ فرحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِين يتُوبُ إِلْيهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كان عَلَى راحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فلاةٍ، فانْفلتتْ مِنْهُ وعلَيْها طعامُهُ وشرَابُهُ فأَيِسَ مِنْهَا، فأَتَى شَجَرةً فاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، وقد أَيِسَ مِنْ رَاحِلتِهِ، فَبَيْنما هوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِها قَائِمة عِنْدَهُ، فَأَخذ بِخطامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرحِ: اللَّهُمَّ أَنت عبْدِي وأَنا ربُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفرح**» رواه مسلم. وعن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إِن الله تعالى يبْسُطُ يدهُ بِاللَّيْلِ ليتُوب مُسيءُ النَّهَارِ وَيبْسُطُ يَدهُ بالنَّهَارِ ليَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مغْرِبِها**» رواه مسلم. وقال ﷺ: «**إِنَّ الله عزَّ وجَلَّ يقْبَلُ توْبة العبْدِ مَالَم يُغرْغرِ**» رواه الترمذي وقال: حديث حسنٌ.

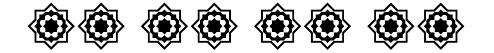
التوابون في هذا الباب صنفان: صنف أذنب ذنبًا عظيمًا ثم تاب فكانت صورة الذنب تجاهه أينما ذهب فهو يستغفر الله ويتوب إليه يخاف أن يؤاخذه الله بذلك الذنب، فيكثر من الإستغفار والطاعات حتى يتوفاه الله فيكتب من التوابين، **والصنف الثاني** من يكثر من الإستغفار والتوبة كل وقته فهو كلما ارتكب إثمًا أو قصّر في طاعة أو غفل عن مولاه تعالى استغفر وتاب وأناب، وعند ذلك يكتبه الله من التوابين.

أهل التوبة ممن أذنب ذنبًا عظيمًا فتاب يتوجه إلى الله من باب التوبة كالمرأة

مِنْ جُهينةَ التي أَتَت رَسُولَ الله ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَـا، **فقَالَـتْ: «يَـا رسـول الله أَصَبْتُ حَدًّا فأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ الله ﷺ وَلِيَّهَا فَقَالَ: أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَـعَتْ فَأْتِنِي فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُها، ثُمَّ أَمَرَ بِهَـا فرُجِمـتْ، ثُـمَّ صلَّى عَلَيْهَا. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ، قَالَ: لَقَدْ تَابَـتْ تَوْبةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْن سبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لوسعتهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَـلَ مِـنْ أَنْ جَادَتْ بِنفْسهَا للَّهِ عَزَّ وجَل؟»** رواه مسلم.

قال العلماء: التوبة واجبة مِنْ كل ذنب، فإن كانت المعصية بـين العبـد وبـين اللَّه تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها **ثلاثة شروط: أولها** أن يقلع عَنْ المعصية، **والثاني** أن يندم عَلَى فعلها، **والثالث** أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا؛ فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع هو أن يـبرأ مِـنْ حـق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف ونحـوه مكنَّـه مِنْـه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله مِنْها. ويجب أن يتوب مِنْ جميع الذنوب، فـإن تاب مِنْ بعضها صحت توبته عند أهل الحق مِنْ ذلك الذنب وبقى عليه الباقي.

سُئل سعيد بن جبير رضي الله عنه: من أعبَدُ الناس؟ قال رجل إجترح من الذنوب فكلما ذكر ذنوبه احقر عمله. هؤلاء التوابون بصدق يتوجهون إلى الله من باب عظيم فيقبل الله توبتهم ويبدّل سيئاتهم حسنات كما قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ **[الفرقان: ٧٠]**.



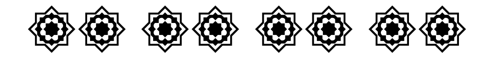
٨- باب الخوف من الله

الخوف من الله رادع قوي عن ارتكاب المعاصي والذنوب، فإذا كان العبد متوجهًا إلى الله من باب الخوف من الله قلّت ذنوبه وقلّت غفلته واستحضر بطش الله وخشيته قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ **[البقرة: ٤٠]**. وقال: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ **[البروج: ١٢]**. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ﴾ **[هود: ١٠٢ - ١٠٦]**. ومن يخاف الله بصدق يكون شديد الحذر من ربه، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ **[آل عمران: ٢٨]** وحساب يوم القيامة بين عينيه حين يقول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ **[عبس: ٣٤ - ٣٧]** وحين يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ **[الحج: ١]**﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ **[الحج: ٢]**. وقال تعالى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ **[الطور: ٢٥ - ٢٨]** وإذا استحضر المرء ما ورد في أحاديث رسول الله ﷺ في عذاب يوم القيامة حين يقول: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيامَة لَرَجُلٌ يُوضَعُ في أَخْمَصِ قَدميْهِ جمْرَتَانِ يغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ مَا يرى أَنَّ أَحدًا أَشَدُّ مِنْه عذَابًا، وَإِنَّه لأَهْونُهُمْ عذَابًا**» متفق عليه. وحين يقول «**مِنْهُمْ مَنْ تَأْخذُهُ النَّارُ إِلى كَعْبيهِ، ومِنْهُمْ منْ تأْخُذُهُ إِلى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ منْ تَأْخُذُهُ إِلى حُجزتِهِ، ومِنْهُمْ منْ تَأْخُذُهُ إِلى تَرْقُوَتِهِ**»

رواه مسلم. «الحُجْزَةُ»: مَعْقِدُ الإزار تحْتَ السُّرَّةِ و«التَّرْقُوَةُ» هِي العظْمُ الذِي عِندَ ثُغْرةِ النَّحْر، وللإِنْسَان ترْقُوتان في جَانِبي النَّحْر. وحين يقول ﷺ: **«عُرضَتْ عَلَيَّ الجنَّةُ والنَّارُ، فَلَمْ أَر كَالْيَوْمِ في الخَيْر وَالشَّرِّ، ولَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعلَمُ لَضحِكْتُمْ قليلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»** فَما أَتى عَلَى أَصْحَابِ رسول اللَّه ﷺ يوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ غَطَّوْا رُؤُسهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ و«الخَنِينُ» هُوَ البُكَاءُ مَعَ غُنَّةٍ وَانْتِشَاقُ الصَّوتِ مِنَ الأَنْفِ. ووصف الشمس يوم القيامة **«تُدْني الشَّمْسُ يَومَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْق حتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَار مِيل»** قَالَ سُلَيمُ بْنُ عَامر الرَّاوي عنْ المِقْدَاد: فَوَاللَّهِ مَا أَدْري ما يَعْني بالميل، أَمَسَافَةَ الأَرض أَم المِيلِ الَّذي تُكَحَّلُ بِهِ العيْنُ **«فَيكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْر أَعْمالِهمْ في العَرَق، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلى كعْبيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلى رُكْبَتَيْهِ، ومِنْهُمْ من يَكون إِلى حِقْوَيْهِ ومِنهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلجامًا»** وَأَشَارَ رسول اللَّه ﷺ بِيدِهِ إِلى فِيه – رواه مسلم.

والخائف من ربه يتخيل وقوفه بين يدي الله عز وجل كما قال رسول الله ﷺ: **«ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْس بيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمنَ مِنْهُ، فَلا يَرَى إِلاَّ ما قَدَّمَ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينْظُرُ بيْنَ يَدَيهِ، فَلا يَرَى إِلاَّ النَّار تِلْقَاءَ وَجهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»** متفقٌ عليه. وهو كذلك يتمثل وصف رسول الله ﷺ يوم الحساب بقوله: **«لا تَزُولُ قَدمَا عبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيم فَعَلَ فِيهِ، وعَنْ مالِهِ منْ أَيْنَ اكْتَسبهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَن جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ»** رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وهكذا فإن الخوف من الله يدعو صاحبه لكي يشمر عن ساعد الجدّ والعمل والسعي قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ، بَلَغَ المَنْزلَ ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعةَ اللَّهِ الجَنَّةُ»** رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. و«أَدْلَجَ»، ومعناه: سَارَ مِنْ أَوَّل اللَّيْلِ، وَالمُرَادُ: التَّشْمِيرُ في الطَّاعَة. فالمتوجه إلى الله من باب الخوف حريص على أن لا يعصي ربّه وبذلك هو على أمل كبير بأن يتلقاه الله بالعفو والمغفرة والقبول والمكانة الحسنة.



٩- باب الرجاء

هذا الباب يفتحه الله لمن كان قد تورط في ذنوب عظيمة ثم هداه الله الى سواء الصراط فندم على ما فعل وتاب وأناب. مثل هذا الشخص قد تسوِّل له نفسه أن باب التوبة مقفل وأن الله لن يغفر لمثل الخطايا التي ارتكبها، هنا يفتح الله تعالى له أبواب الرجاء حين يقول: ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ **[الزُّمَر: ٥٣]**. وحين يقول: ﴿ **وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ** ﴾ **[الأعراف: ١٥٦]**. وفي هذه الآية التفاتة عظيمة بنداء ياعبادي وأي عباد الذين أسندهم الله لنفسه وأي شرف لهم؟ إنهم الذين أسرفوا على أنفسهم. وهو جل وعلا لم يعين إسرافًا من إسراف وجاء بهذا اللفظ لكي يعم كل مسرف. قال النبيُّ ﷺ: **«يقولُ اللَّهُ عزَّ وجَلّ: مَنْ جاءَ بِالحَسَنَةِ، فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها أَوْ أَزْيَدُ، ومَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ، فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، ومنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذراعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعًا، وَمَنْ أَتاني يمشي، أَتَيْتُهُ هَرْولَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بمِثْلِها مغْفِرَةً»** رواه مسلم. ومعنى الحديث: «مَنْ تَقَرَّبَ» إِلَيَّ بِطاعَتِي «تَقَرَّبْتُ» إِلَيْهِ بِرحْمَتِي، وإِنْ زَادَ زِدْتُ، «فَإِنْ أَتاني يَمشي» وَأَسْرَعَ في طاعَتِي «أَتَيْتُه هَرْوَلَةً» أَيْ: صَبَبْتُ علَيْهِ الرَّحْمَة، وَسَبَقْتُهُ بها، ولَمْ أُحْوِجْهُ إِلى المَشْيِ الْكَثِيرِ في الوُصُول إِلى المَقْصُودِ، «وَقُرَابُ الأَرْضِ» بضمِّ القافِ على الأَصحّ، ومعناه: ما يُقارِبُ مِلأَها. كما قال عليه الصلاة والسلام: **«منْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وأَنَّ عِيسى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلى ما كانَ مِنَ العمَلِ»** متفقٌ عليه – وفي رواية لمسلم: **«مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ علَيهِ النَّارَ»**. وفي هذا رجاء عظيم لا ينبغي لمن ارتكب ذنبًا عظيمًا أن

يقنط من رحمة الله بل يرجو أن يشمله هذا الحديث فإن رحمة الله تسبق غضبه كما قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لما خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ في كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمتي تَغْلِبُ غَضَبِي»**. وفي روايةٍ: **«غَلَبَتْ غَضَبِي»** وفي روايةٍ **«سَبَقَتْ غَضَبِي»** متفقٌ عليه. وحكى النبي ﷺ عن ربه، تَبَارَكَ وَتَعَالى، قال: **«أَذنَب عبْدٌ ذنبًا، فقالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي ذَنبي، فقال اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعالى: أَذنَبَ عبدِي ذنبًا، فَعلِم أَنَّ لَهُ ربًّا يَغْفِرُ الذَّنبَ، وَيأْخُذُ بِالذَّنبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذنَبَ، فقال: أَيْ ربِّ اغفِرْ لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أَذنبَ عبدِي ذَنبًا، فَعَلَمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنبَ، وَيَأخُذُ بِالذنبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذنَبَ، فقال: أَي رَبِّ اغفرْ لي ذَنبِي، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالى: أَذنبَ عَبدِي ذَنبًا، فعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنبَ، وَيأْخُذُ بِالذَّنبِ، قدَ غَفَرْتُ لِعبدي.. فَلْيَفعَلْ ما شَاءَ»** متفقٌ عليه. وقوله تعالى: «فَلْيَفْعلْ ما شَاءَ» أَي: مَا دَامَ يَفْعَلُ هَكَذا، يُذْنِبُ وَيتُوبُ أَغْفِرُ لَهُ، فإِنَّ التَّوبَةَ تَهدِمُ ما قَبْلَهَا. وعن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي اللَّه عنه، قال كُنتُ رِدْفَ النبيِّ ﷺ على حِمارٍ فقال: «يَا مُعَاذُ هَل تَدري مَا حَقُّ اللَّه عَلى عِبَادِهِ، ومَا حَقُّ الْعِبادِ عَلى اللَّه؟ قلت: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَن يَعْبُدُوه، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحقَّ العِبادِ عَلى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشِركُ بِهِ شَيْئًا، فقلت: يا رسولُ اللَّهِ أَفَلا أُبشِّرُ النَّاسَ؟ قال: **«لا تُبَشِّرْهُم فَيَتَّكِلُوا»** متفقٌ عليه. وعلى المؤمن أن يرجو رحمة ربه عندما يرتكب صغائر الذنوب متذكرًا قوله ﷺ: **«مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ»** رواه مسلم «الْغَمْرُ» هو الْكَثِيرُ. وعلى المؤمن إن ارتكب ذنوبًا بينه وبين الله فعليه أن يسترها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ويستغفر ربه ويعاهده أن لا يعود فيها، فعن ابن عمَر رضي اللَّه عنهما قال: سمِعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: **«يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يومَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيهِ، فَيُقَرِّرَهُ بِذُنُوبِه، فيقولُ: أَتَعرفُ ذنبَ كَذا؟ أَتَعرفُ ذَنبَ كَذَا؟ فيقول: رَبِّ أَعْرِفُ، قال: فَإِنِّي قَد سَتَرْتُهَا عَلَيكَ فِي الدُّنيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعطَى صَحِيفَةَ حسَنَاته»** متفقٌ عليه. كَنَفُهُ: سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ. ولا ينبغي لمسلم إلا أن يكون حسن الظن بالله قال ﷺ قَبلَ موْتهِ

بثلاثَةِ أَيَّامٍ: **«لا يموتن أَحَدُكُم إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ باللَّه عزَّ وَجَلَّ»** رواه مسلم. ولذلك على المرء أن يحسن الظن بربه في كل حال فلا يدري متى قد كتب الله أجله فيكون ممن أوصاهم رسول الله ﷺ بأن لا يموتوا إلاّ وهم يحسنون الظن بالله.

وهكذا يجب على المرء أن لا يعتمد على عمله فهو يرجو رحمة ربه سواء عمل او لم يعمل لكنه عند زلـله يبقى على رجائه ولا يقـنط مـن رحمـة الله. قـال الإمـام الشافعي رضي الله عنه عند وفاته:

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سُلّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود بعفو منّة وتكرّما

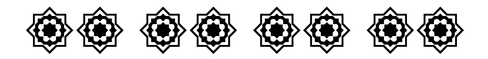
والرجاء من الله لا يتعلق بالدار الآخرة فقط بل بالدنيا أيضًا، فالرجاء منـه أن ينصف المظلوم وينتقم من الظالم ولو بعد حين وأن يوفي بما وعد من عز ونصر لمـن نصره وأن يحيي المؤمن حياة طيبة بعز وكرامة وأن يستجيب لدعائه وما شابه ذلك، فليس لليأس والقنـوط مكانـة في نفـس المـؤمن، قـال تعـالى:﴿ **قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ** ﴾ **[الحجر: ٥٦]** وقـال: ﴿ **إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ** ﴾ **[يوسف: ٨٧]**.

وعلى المؤمن أن يجمع بصورة متقاربة بين الخوف والرجـاء في حالتـه العاديـة من صحة وأمن. أما عند المرض فعليه أن يغلب رجاؤه خوفه. وحينما ينـوي فعـل سيئة عليه أن يغلب خوفه رجاءه لكي يرتدع عن فعل السيئة. قال اللَّه تعالى: ﴿ **فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ** ﴾ **[الأعراف: ٩٩]**. أما بعد أن يبتلـى بالمعصـية ويندم عليها فعند ذلك عليه أن يغلب رجاؤه خوفه طمعًا في مغفرة الله وعفوه. قال

تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ **[يوسف: ٨٧]**. وهكذا يكون التوازن بين الخوف والرجاء قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **[الأعراف: ١٦٧]**. وقال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكافِرُ مَا عِنَد اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنطَ مِنْ جنَّتِهِ أَحَدٌ**» رواه مسلم. كما قال عليه الصلاة والسلام: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِه وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك**» رواه البخاري.

عن أبي بكر الصديق رضي الله علنه أنه قال: إن الله ذكر أهل الجنة، فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوء أعمالهم، ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنِّط الناس من رحمة الله ولا يؤمِّنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم في معاصي الله.

وعلى هذا فالتوجه إلى الله من باب الخوف والرجاء باب عظيم من سلكه في حياته أمل أن يفوز برضوان الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين.



١٠- باب محبة الله

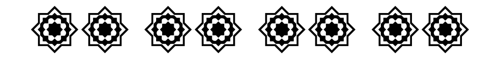
محبة الله باب من أبواب التوجه إلى الله فمن أحبّ الله أحبّ ما يحبّ الله فيحبه الله ومن أحبه الله هداه الله للمزيد من الطاعات والمزيد من القرب منه جل وعلا، فمن نتائج حب الله محبة الله للعبد فقد وردت عبارة **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ»** في ١١ آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ **[البقرة: ١٩٥]** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ **[البقرة: ٢٢٢]** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ **[آل عمران: ١٥٩]** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ **[المائدة: ٤٢]** و **[الحجرات: ٩]** و **[الممتحنة: ٨]** ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ **[آل عمران: ٧٦]** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ **[التوبة: ٤ و ٧]** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ **[الصف: ٤]** وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ **[المائدة: ٥٤]**. فمن أراد أن يحبه الله فليتخلق بهذه الصفات التي يحبها الله تعالى.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إِنَّ اللَّه تعالى قال: مَنْ عادَى لِيَ وليًّا، فقدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، ومَا تَقَرَّبَ إِليَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتقرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتِي يبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِها وإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»** رواه البخاري. - معنى «آذَنْتُهُ»: أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ له. وقوله: «اسْتَعَاذَنِي» روي بالباءِ (أي استعاذ بي)

وروي بـالنون. فـالحرص علـى أداء الفـرائض عبوديـة لله علـى وجـه الطاعـة والإضطرار، أما التمسك بالنوافل فهو عبودية الإختيار فلذلك كلما تقرب العبد بنافلة قرب من الله بها ولا يزال كذلك حتى يحبه الله فيـنعم عليـه برعايتـه في كـل حركاته وسكناته ويبارك له في أوقاته ويظهر عليه آثار طاعته. وعـن عائشـةَ رضـي اللَّهُ عنها، **أَن رسول اللَّه ﷺ، بعَثَ رَجُـلاً عَلَـى سـرِيَّةٍ، فَكَـانَ يَقْـرأُ لأَصْـحابِهِ في صلاتِهِمْ، فَيخْتِمُ بــ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } فَلَمَّا رَجَعُوا، ذكَروا ذلكَ لرسولِ اللَّه ﷺ، فقال: «سَلُوهُ لأَيِّ شَيءٍ يَصْنَعُ ذلكَ؟» فَسَأَلوه، فَقَالَ: لأَنَّهَا صِـفَةُ الـرَّحْمَنِ، فَأَنَـا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّه تعالى يُحبُّهُ»** متفقٌ عليه.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كـره لقـاء الله كـره الله لقـاءه»**. قالـت عائشـة أو بعـض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: **«ليس ذاك، ولكن المـؤمن إذا حضـره المـوت بُشِّـر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكـره إليـه ممـا أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»** رواه البخاري.

إن أول دلائل صدق محبة الله هو اتباع رسول الله ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ **[آل عمران: ٣١]**، ومع هذا فإن ذلك لا يعني عدم الوقوع في الذنوب لكن من يحب الله بصدق ويذنب فإنه يعود إلى محبوبه فيتوب ويستغفر.



١١- باب محبة رسول الله ﷺ

هذا باب عظيم من أبواب التوجه إلى الله تعالى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ **قال: (وماذا أعددت لها). قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ، فقال: (أنت مع من أحببت). قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: (أنت مع من أحببت). قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم** - رواه البخاري. فبشدة حب المؤمن لرسول الله ترتفع مكانته كثيرًا فوق أقرانه ممن عمل مثل عمله. إن المحبة والعمل هما وسيلتا التقرب إلى الله، فإذا اجتمعا كان المرء من السابقين، والمحبة هنا لمن اجتنب الكبائر ولم يصر على الصغائر وأدى الفرائض ثم افرط في حب الله ورسوله فذلك الذي يتوجه إلى الله من هذا الباب وليس من إدعى محبة الله ورسوله وهو مستهتر في المعاصي والذنوب. والمحبة شيئ في سريرة المسلم ولكن لا بد أن تدل عليها دلائل، فمن دلالته الشوق إلى لقائه أو زيارة قبره والسلام عليه وكثرة الصلاة والسلام عليه والتمسك بسنته ومحبة ما يحب رسول الله وكره ما يكره والإستيناس بسيرته ولوم النفس على مخالفة سنته ومحبة من يتفانى في محبته ورقّة العبرة بدمع العين عند تذكره، فهذه كلها مؤشرات على ما في النفس من محبة. ومن علامات محبته كثرة الصلاة عليه وعلى آله وأزواجه وصحابته ومحبتهم وإهداء الدعاء له ولهم، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: **كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أبي قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي فقال ما شئت قال قلت الربع قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت النصف قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قال قلت فالثلثين قال ما شئت فإن زدت فهو خير**

لك قلت أجعل لك صلاتي كلها قال: إذًا تُكفى همك ويُغفر لك ذنبك، رواه الترمذي وقال حسن صحيح. وفي رواية للإمام أحمد بإسناد جيد عنه قال: «**قال رجل يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: إذن يكفيك الله تبارك وتعالى همّك من دنياك وآخرتك**». قال الحافظ المنذري: قوله يعني أبي بن كعب: أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي ، معناه أكثر الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي.

قال في جلاء الأفهام:{كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه ﷺ فقال إن زدت فهو خير لك ، فقال له النصف فقال إن زدت فهو خير لك إلى أن قال أجعل لك صلاتي كلها أي أجعل دعائي كله صلاة عليك ، قال إذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك}، لأن من صلى على النبي ﷺ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ومن صلى الله عليه كفاه همه وغفر له ذنبه. { انتهى كلامه رضي الله عنه. وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي عن معنى قوله "أجعل صلاتي كلها" أي أصرف بصلاتي عليك جميع الذي كنت أدعو به لنفسي. ومعنى "تكفى همك" يعني تعطى خيري الدنيا والآخرة.

التوجه إلى الله من باب كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ باب عظيم، قال اللّه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ **[الأحزاب: ٥٦]**. وعنْ عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، رضي اللَّه عنْهُمَا أَنَّهُ سمِع رسُول اللَّه ﷺ يقُولُ: «**من صلَّى عليَّ صلاَةً، صلَّى اللَّه علَيّهِ بِهَا عشْرًا**» رواهُ مسلم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**أَوْلَى النَّاسِ بِي يوْمَ الْقِيامةِ أَكْثَرُهُم عَليَّ صلاةً**» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. وعن أبي محمد كَعب بن عُجرَةَ، رضي اللَّه عنْهُ، قال: خَرج علَيْنَا النبي ﷺ فقُلْنا: يا رسول اللَّه، قَدْ علِمْنَا كَيْف نُسلِّمُ علَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي علَيْكَ؟ قال: «**قُولُوا: اللَّهمَّ صَلِّ على مُحمَّدٍ، وَعَلى آلِ**

مُحمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مجيدٌ. اللهُمَّ بـارِكْ عَلـى مُحَمَّـد، وَعَلى آلِ مُحَمَّد، كَما بَارَكْتَ على آلِ إبراهِيم، إِنَّكَ حَميدٌ مجيدٌ». متفـقٌ عليـهِ، وفي رواية **«قولُوا: اللَّهُمَّ صلِّ على مُحمَّدٍ، وعَلى أزْواجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كمـا صَـلَّيْتَ علـى إِبْراهِيمَ، وباركْ عَلى مُحَمَّدٍ، وعَلى أَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ، كما بارَكتَ على إِبْراهِيم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مجِيدٌ»** متفقٌ عليهِ.

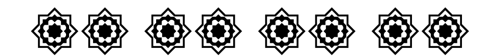
وعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي اللَّه عنه أَن رسولَ اللَّه ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنهُ وَعَن يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَن يسارِهِ الأَشْيَاخُ، فقال لِلْغُلام: **«أَتَأْذَنُ لي أَن أُعْطِيَ هُؤلاءِ؟ فَقَالَ الغُلامُ: لا وَاللَّهِ يا رسُولَ اللَّه لا أُوثِرُ بِنَصيبي مِنكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رسولُ اللَّه ﷺ في يَدِهِ».** متفقٌ عليه، «تَلَّهُ» بالتاءِ المثناةِ فـوق، أَيْ: وَضَـعَهُ، وَهَـذَا الغُـلامُ هُـوَ ابـنُ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما. وهذا يدل على شدة حب صحابة رسول الله ﷺ له حتـى أن عبدالله بن عباس وهو غلام كان لشدة حبه لرسول الله ﷺ لم يكـن ليفـرط بـأن يكون أول من يشرب من إناء شرب منه رسول الله عليه الصـلاة والسـلام. وفيمـا روى البخاري حين قدم عروة بن مسعود الثقفي رضـي الله عنـه ليفـاوض رسـول الله ﷺ في صلح الحديبية ورأى تعظيم الصحابة لـه عـاد إلى قـريش فقـال لهـم: **أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، على قيصر وكسري والنجاشي، والله ما رأيت ملكًا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن تَنَخَّمَ نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليـه النظر تعظيمًا له، فقد كان حب أصحاب رسول الله له عليه الصلاة والسلام يفوق كل تصور. دخل رجل على أنس بن مالك وهو يأكل القرع وهـو يقـول يـا لـك شجرة ما أحبك إلي لحب رسول الله ﷺ إياك** - رواه الترمذي وقال غريب من هذا الوجه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه**

وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلاّ لله، ومن يكره أن يعود في الكفر، بعد إذ أنقذه الله، كما يكره أن يلقى في النار» رواه البخاري.

وعن عبدالله بن هشام بن زهرة القرشي قال: كنا مع النبي ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلاّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: **(لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك). فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: (الآن يا عمر)**. رواه البخاري.

وحب رسول الله ﷺ قد يكون من رجل ابتلي بالمعاصي فعن عمر بن الخطاب: أن رجلاً على عهد النبي، كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي: **(لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله)** رواه البخاري.



١٢- باب محبة آل بيت رسول الله ﷺ

ومن تمام محبة رسول الله والصلاة عليه ﷺ الصلاة والسلام على آله ومحبتهم وإكرام ذريته الأحياء منهم. قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ **[الأحزاب: ٣٣]**. وقال: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ **[الحج: ٣٢]**. فعن زَيْدِ بْنِ أَرقَمَ رضي اللَّه عنهم، قال: قام رسول اللَّه ﷺ يَوْمًا فِينَا خطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعي خُمّاء بَيْنَ مكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّه، وَأَثْنى عَلَيْه، ووعَظَ، وَذكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: **«أَمَّا بعْدُ: أَلا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رسولُ ربي فَأُجيبَ، وأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُما كِتابُ اللَّهِ، فِيهِ الهُدى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتابِ اللَّه، وَاسْتَمْسِكُوا به» فَحثَّ على كِتَابِ اللَّه، ورغَّبَ فِيهِ. ثمَّ قَالَ «وأَهْلُ بَيْتِي، أُذكِّركم اللَّه في أهلِ بيْتِي، أذكِّرُكم اللَّه في أهل بيتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: ومَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يا زيْدُ؟ أليس نساؤُه من أهلِ بيتهِ؟ قال: نساؤُه منْ أهلِ بيتِهِ وَلَكِن أَهْلُ بيْتِهِ منْ حُرِم الصَّدقَة بعْدَهُ، قَال: ومَنْ هُم؟ قَالَ: هُمْ آلُ عليٍّ، وآلُ عَقِيلٍ، وآلُ جَعْفَر، وَآلُ عبَّاسٍ، قَالَ: كلُّ هُؤلاءِ حُرِمَ الصَّدقَةَ؟ قَالَ: نعَمْ»**. رواه مسلم، وكان أبو بَكْر الصِّدِّيق رضي اللَّه عنه يقول: **ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ في أَهْلِ بيْتِهِ**، رواه البخاري.

آل محمد ﷺ الأقربون هم فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام. ودائرة الآل بعد ذلك تمتد إلى العباس وآله وجعفر وآله وعقيل وآله وآل علي وهم الذين حرمت عليهم الصدقة. أما أهل بيت رسول الله فهم آله وأزواجه رضي الله عنهم وأما ذريته فقد انحصرت في ذرية الحسن والحسين عليهما السلام.

ويجب أن لا يخشى المسلم من إعلان محبته وولائه وتقديره وعرفان الفضل لآل رسول الله ﷺ خشية أن يتهم بأية تهمة كما يقول الإمام الشافعي:

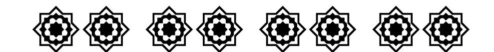
إن كـــان رفضًـــا حـــب آل محمـــد فليشـــهد الـــثقلان أنـــي رافضـــي

وفي الوقت الذي يترضى المسلمون عن صحابة رسول الله ﷺ فإن آل رسـول الله يُخصون بالصلاة والسلام كما مر بنا في الحـديث الـذي مـر سـابقًا وبـالأخص الأربعة الأقربون من بين آل رسول الله: فاطمـة وعلـي والحسـن والحسـين علـيهم السلام. وقد أكد ذلك الإمام البخاري في صـحيحه أنـه حـين يـذكر فاطمـة يقـول عليها السلام.

إن حب آل بيت رسول الله ﷺ فرع من حبه عليه الصلاة والسلام وقد دعـى رسول الله ﷺ لمن يحبهم بأن يحضى بحب الله تعالى، فعن البراء أن النبي أبصر حسـنًا وحسينًا فقال: "**اللهم إني أحبهما فأحبهما**" رواه الشيخان - وفي رواية - في الحسن: اللهم إني أحبُّه فأحبَّ من يحبُّه.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يجلون آل بيت رسول الله ﷺ كثيرًا فقـد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته حين قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: **اللهم إنا كنـا نتوسـل إليـك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون**. رواه البخاري.

وقبّل زيد بن ثابت يد إبن عباس رضي الله عنهما وقال هكذا نفعل بآل بيـت رسول الله ﷺ، وحين تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علـي بـن أبـي طالـب رضي الله عنهم قال **(ألا تهنئوني سمعت رسول الله يقول كل سبب ونسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري)**- مجمع الزوائد.



١٣- باب محبة صحابة رسول الله وزوجاته وأولياء الله الصالحين

قال الله تعالى في مدح صحابة رسول الله ﷺ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ **[الفتح: ٢٩]**، فكما أن الله تعالى اختار رسوله ﷺ من خير بيت على الإطلاق ليحمل أعباء الرسالة كذلك اختار له صحبًا ليعينوه في حمل الرسالة ويبلغوا عنه رسالته إلى البلادد التي فتحوها وإلى الأجيال التي تعقبهم. فهم على الإطلاق خير جيل من هذه الأمة بل ومن الأمم على مر التأريخ.

وقد أوصى رسول الله ﷺ الأمة بصحابته فعن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله: "**الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه**" قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه. والصحابة بعضهم افضل من بعض فقد ورد في فضل أبي بكر رضي الله عنه ما لم يرد بفضل غيره من الصحابة رضوان الله عليهم، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: (أما صاحبكم فقد غامر). فسلّم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن

يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: (يغفر الله لك يا أبا بكر). ثلاثًا، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثم أبو بكر، فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي ﷺ: **(إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي)**. مرتين، فما أوذي بعدها – رواه البخاري

كما ورد في فضل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ صعد جبل أحد، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: **(اسكن أحد – أظنه: ضربه برجله – فليس عليك إلا نبي، وصديق، وشهيدان)** – رواه البخاري. وقد وردت أحاديث في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحاديث كثيرة، فهو من الصحابة ومن آل البيت.

وقد ورد في العشرة المبشرين بالجنة أحاديث عديدة وكذلك في فضل أصحاب بدر وفي الذي بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ **[الفتح: ١٨]**. وقد أوصى رسول الله ﷺ أمته بأصحابه، عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ:**«لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»** رواه البخاري كما ورد عنه رضي الله عنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال **يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب**

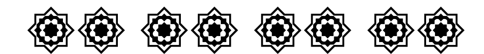
أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم – رواه البخاري.

إن محبة رسول الله ﷺ تستوجب محبة آل بيته وصحابته وأزواجه وهذه المحبة هي باب من أعظم أبواب التوجه إلى الله تعالى ما اجتنبت الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر. ومن تمام محبتهم حسن الظن بما جرى بينهم من خلاف. ومن الكبائر سب أصحاب رسول الله ﷺ والمسلم ليس بلعان ولا فاحش ولا بذيئ مع الكفار فكيف بصحابة رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله تعالى ليكونوا له أصحابًا وأمناء لإبلاغ الأمة بأحاديثه وسنته وسيرته.

الصحابة وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم هم من أولياء الله وعلى المسلمين محبتهم واحترامهم والحذر من ذكرهم بسوء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: **من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته** – رواه البخاري.

وحب الأولياء الصالحين يقرب من الله تعالى، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى. قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم، قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور: لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]**» رواه أبو داؤود بسند صالح والترغيب

والترهيب بسند حسن على شرط الصحيحين. لذلك فإن حب الصحابة وأمهات المؤمنين وأولياء الله من صالحي هذه الأمة السابقين منهم والأحياء هو وسيلة من وسائل التقرب إلى الله وإذا ما منحهم الله تعالى الشفاعة فيرجى أن تشمل تلك الشفاعة من يحبهم في الله تعالى.



١٤- باب الحب في الله

قال اللَّه تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾**[الفتح: ٢٩]** وقال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ **[الحشر: ٩]**. فالمؤمنون بعضهم محبون لبعض وعلى قدر ايمان المسلم تزداد محبته لإخوانه محبة خالصة لله لا لنفع دنيوي ولا لمصلحة عاجلة، فعن النبي ﷺ قال: **«ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حلاَوَةَ الإِيمَان: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا، سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ للَّهِ، وَأَنْ يَكْرَه أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»** متفقٌ عليه. ومن بين السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة **"رَجُلان تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ"** متفق عليه. وهؤلاء جزاؤهم يوم القيامة **«إن اللَّه تعالى يقولُ يَوْمَ الْقِيَامةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَومَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي»** رواه مسلم.

إن أحدى وسائل نشر المحبة بين المسلمين هي إلقاء السلام كما قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَ لا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوه تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بينَكم»** رواه مسلم. وعن النبي ﷺ: **«أَنَّ رَجُلاً زَار أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَد اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هذِهِ القَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيهِ**

مِنْ نِعْمَة تَرُبُّهَا عَلَيهِ؟ قَالَ: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في الله تَعَالَى، قَالَ: **فإِنِّي رَسُول الله إِلَيْكَ بَأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»** رواه مسلم. يقال: «أَرْصَدَهُ» لِكَذَا: إِذَا وَكَّلَهُ بِحِفْظِهِ، وَ«المَدْرَجَةُ» بِفَتْحِ الميمِ والرَّاءِ: الطَّرِيقُ، ومعنى «تَرُبُّهَا»: تَقُومُ بِهَا، وَتَسْعَى في صَلاحِهَا. وعن مُعَاذٍ رضي اللَّه عنه قال: سمِعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: **«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: المُتَحَابُّونَ فِي جَلالي، لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»** - رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وعن مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي اللَّه عنه قال سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: **«قالَ اللَّهُ تعالى وَجَبَتْ مَحبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، والمُتَجالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»** حديث صحيح رواه مالِكٌ في المُوطَّإِ بإِسنادِهِ الصَّحيحِ. وعن النَّبِيِّ ﷺ قال **«إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ، فَلْيُخْبِرْه أَنَّهُ يُحِبُّهُ»** رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

وعلى المرء أن لا يتخذ صاحبًا إلاّ من الصالحين فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: "**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**" رواه الترمذي وقال حسن غريب.

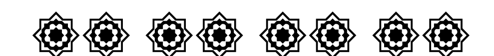
وهكذا فإن باب الحب في الله باب من أبواب التوجه إلى الله للمتحابين فيه حبًا خالصًا لوجهه لا يبغون نفعًا ولا غاية دنيوية. وبذلك تُنال ولاية الله، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إحب في الله وابغض في الله ووالِ في الله وعادِ في الله فإنك لا تنال ولاية الله إلاّ بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك.

وعَن أَبي الدَّرداءِ رَضِي اللَّه عنْهُ أَنَّهُ سمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«ما مِن عبْدٍ مُسْلِمٍ يَدعُو لأَخِيهِ بِظَهرِ الغَيْبِ إِلاَّ قَالَ المَلكُ ولَكَ بمِثْلٍ»** رواه مسلم. وعَنْهُ أَنَّ رسُول اللَّه ﷺ كانَ يقُولُ: **«دَعْوةُ المرءِ المُسْلِمِ لأَخيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابةٌ، عِنْد رأْسِهِ ملَكٌ مُوكَّلٌ كلَّمَا دعا لأَخِيهِ بخيرٍ قَال المَلَكُ المُوكَّلُ بِهِ: آمِينَ، ولَكَ بمِثْلٍ»** رواه مسلم.

فالحب في الله باب عظيم من أبواب الوصول إلى رضوان الله والتوجه إليه. قال عليه الصلاة والسلام «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يظْلِمُه، ولا يُسْلِمهُ، منْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حاجتِهِ، ومَنْ فَرَّج عنْ مُسْلِمٍ كُرْبةً فَرَّجَ اللَّهُ عنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يوْمَ الْقِيامَةِ، ومَنْ ستر مُسْلِمًا سَتَرهُ اللَّهُ يَوْم الْقِيَامَةِ**» متفقٌ عليه. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ **[الحُجُرات: ١٠]**.

وقيل: الأخ الصالح خير لك من نفسك، لأن النفس أمارة بالسوء والأخ الصالح لا يأمر إلاّ بخير.

والحبّ في الله يشمل الحبّ لكل مسلم من أهل لا إله إلا الله، فهم إخوة في الدين وإن أخطأوا فالبغض هو لبغض ما يقومون به من سيئات لا بغضًا لهم. وحبّ أهل لا إله إلا الله يحرِّم محاربتهم وعداوتهم، إلاّ أن تتحقق عداوتهم لله بالشرك أو الكفرالصريح وعند ذلك يكون التبرؤ منهم وعداوتهم علانية أو سرًا. أما من جُهل حاله فليس لعداوته سبيل.



١٥- باب التذلل لله

التواضع لله والتذلل له ذلك هو فحوى العبودية. فالعبودية لله علاقة بين عبد وسيده وصدق هذه العلاقة هو تعلق العبد بالمعبود له على صفة التذلل والطاعة والإنقياد.

العبودية تتحقق في أركان الإسلام كلها، فالعبودية في الشهادتين تتضمن التصديق بالقلب والإقرار باللسان بهذه العبودية والإنقياد له. والعبودية في الصلاة تتضمن الخشوع فيها والإنقياد لتأديتها على الهيئة المفروضة وإقامتها بتأدية سننها على النحو الوارد عن رسول الله ﷺ. وتمام تأديتها التذلل عند أدائها واستشعار عظمة الخالق أثناء كل ركن أو حركة أو سكون فيها. فالتذلل في الصلاة هو الذي يضفي عليها صفة العبادة والإنقياد والتوجه نحو الخالق. وعلامة التذلل في الصلاة هي الخشوع، قال تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ **[المؤمنون: ١ - ٢]**.

والدعاء هو مخ العبادة بل هو العبادة فقد روى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ: "**الدعاء هو العبادة**" ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ **[غافر: ٦٠]** رواه الترمذي بسند صحيح – والدعاء هو خطاب من عبد ذليل لخالق عظيم فكيف يتأتى مثل هذا الخطاب بدون تذلل وانقياد؟ أيجوز أن يكون هناك دعاء بلا تذلل لمن تطلب منه وأنت محتاج حقيقة لإجابة دعائك منه؟

الصدقة قال الله فيها ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ **[المؤمنون: ٦٠]** فوجل القلوب أهم ركن في الصدقة. ولا يتأتى ذلك بالمنّ

والأذى كالذين قال الله فيهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ **[البقــرة: ٢٦٤]** فإيتـــــاء الصدقات يجب أن يصاحبه التذلل لله والرجـاء منـه بقبـول تلـك الصـدقات فهـو القادر على أن يجعل المعطي محتاجًا والآخذ معطيًا. واستشعار الفضـل مـن الآخـذ على المعطي يحفز المنفق على استشعار التذلل لله بأن يسّرالله من يأخذ حقه، فالمـال مال الله والمعطي خـازن عليـه. قـال تعـالى:﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ ﴾ **[النـور: ٣٣]** ولولا أن الله سخّر هذا المحتاج لأخـذ الصـدقة لمـا حصـلت الطهـارة والتزكية للنفوس، قال تعـالى:﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ **[التوبـة: ١٠٣]** وفي الصيام تذلل لله بالإنقياد لأمره وطاعته والإلتزام بما أمر. وفرح الصائم عند إفطاره مع التذلل لله بالدعاء وعدم التباهي بالصوم، هو إتمام للصوم.

وفي الحج تذلل لله بترك مباهج الدنيا عند الإحـرام والتـذلل عنـد الـدعاء في أثناء الطواف وفي التعلق بأستار الكعبة والتمسـح بـالملتزم وفي السـعي بـين الصـفا والمروة وفي الوقوف في عرفات والدعاء عند المشعر الحرام وأيام التشريق وفي رمـي الجمار. وفي الحج مناسبة لإظهار تذلل الحاج تجاه إخوانه المسلمين وفي الرفـق بهـم والتسامح معهم وعدم ايذائهم وترك جدالهم واجتناب الرفث والفسوق.

وفي الأمربالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة التذلل لله بسؤاله تعالى أن يوفق لأداء هذا الواجب والشكر له على تيسير أداء هذا الواجب ولـيس بالتبـاهي علـى خلق الله والترفع عنهم واشعارهم بالإهانـة والمذلـة، فمـن أمـر بمعـروف عليـه أن يكون أمره هذا بمعروف.

وفي التعامـل مـع المسـلمين واجـب التواضـع تجـاههم ومسـاعدة محتـاجهم وضعيفهم من طاعن في السن أو طفل صغيرأو يتيم أو امرأة ضـعيفة أو مـريض أو مقعد. فالتواضع تجاههم وتقديم المساعدة لهم بتذلل وانقياد مـاهو إلا انقيـاد لأمـر

الله وتذلل تجاهه. وما وصف الله تعالى للمسلمين﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ **[المائدة: ٥٤]** سوى وصف لهذا الإنقياد وتنفيذ له، وفي حسن الخلق تجاه المسلمين تذلل لله تعالى وطاعة له بالإحسان إلى خلقه. وفي الإحسان إلى غير المسلم عند السلم تذلل لله بالإحسان الى خلقه وتبيانًا لما أوجب الله من الإحسان في كل شيء حتى في القتال فإن التذلل لله والدعاء منه والأخذ بالأسباب واعتقاد أن النصر ما هو إلاّ من عند الله وهو صلب الجهاد. لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا. فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه (اللهم! أنجز لي ما وعدتني. اللهم! آت ما وعدتني. اللهم! إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه، مادًا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله! كذاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ **[الأنفال: ٩]**، فأمدّه الله بالملائكة – رواه مسلم

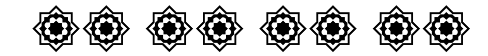
وفي شعور المرء في نفسه بالتذلل تجاه خلق الله مهما كانوا حتى الحيوان هو عين العبادة، فمن عاب على خلق من خلق الله نقصًا فيه ابتلاه الله بمثله عقوبة على عدم استشعار التذلل لله والتعالي على ما خلق الله، فالله تعالى قادر على أن يسلب النعمة ويؤتيها من يشاء وينزعها عن من يشاء. فالرأفة بخلق لله في التعامل معهم هو تذلل له وعبادة له، فالتذلل في هذا التعامل هو تذلل لله، قال تعالى:﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ **[الإسراء: ٣٧ - ٣٨]**.

يبقى توضيح: فليس التذلل معناه ترك التجمل وحسن الهيئة والتنعم بما منّ الله على المرء من نعم، ولكن التذلل عدم استعمال نعم الله في التعالي والتكبر على خلق الله ومن تواضع لخلق الله ابتغاء وجه الله رفعه الله وأعلى من مكانته بين خلقه، فالأمر بيد الله وهو الذي يرفع من يشاء ويخفض من يشاء، فإذا تذلل المرء لله صار عزيزًا بعزة الله ومن إبتغى العزة بغير الله أذله الله.

التذلل هو العبودية، فالله هو المتكبر ومن تكبر فقد وضع نفسه شريكًا لله، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. والمتكبرون يحشرون يوم القيامة كمثل الذر يطأهم الناس بأقدامهم. عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "**يحشر المتكبرون الجبارون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله عز وجل**" (رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول).

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "أتيت الأبواب (أي أبواب التوجه إلى الله تعالى) كلها، فوجدت عليها الزحام، فأتيت من باب الذل والافتقار فوجدته خاليًا، فدخلت منه، وقلت: هلّموا" وهكذا فهذا الباب من أبواب التوجه إلى الله باب عظيم لا يدخله إلاّ الصادقون في عبوديتهم لله الذين تغلبوا على شهوات نفوسهم فانقادوا لأمر الله بكلياتهم فأدخلهم الله من باب التذلل فكانوا حقّا عبادًا له وهم من الناس قليلون.

ومما زادني شرفًا وفخرًا وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك ياعبادي وأن صيّرت لي أحمد نبيًا



١٦- باب العفة

المتجه إلى الله من باب العفة على خير كثير. والعفـة هـي أن يعـف المـرء عـن سؤال الناس إذا كان باستطاعته تأمين حاجاتـه بنفسـه وهـو يتكـل علـى الله في أن يعينه لقضاء حاجاته مستغنيًا عن الناس. قال رسول الله ﷺ: **«اليدُ العُليا خَيْـرُ مِـنَ اليَدِ السُّفْلى، وابْدَأْ بمنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ ما كان عنْ ظَهْرِ غِنِي، ومَنْ يَسْتعْفِفْ يُعفُّهُ اللَّه، ومَنْ يَسْتغْنِ يُغْنِهِ اللَّه»** متفقٌ عليه. وهذا لفظ البخاري، وقالَ رسولُ اللَّه ﷺ: **«لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُم أَحبُلَهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بحُزْمَةٍ مِن حَطَبٍ عَلـى ظَهـرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّه بها وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَن يَسأَلَ النَّاسَ، أَعطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»** رواه البخاري.

وعن عَوف بن مالك الأَشْجَعِيِّ رضي اللَّه عنه قالَ: كُنَّا عِنْدَ رسُـولِ اللَّـه ﷺ تِسَعْةً أَوْ ثمانيةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَال: أَلاَ تُبَايعُونَ رَسُولَ اللَّه ﷺ وكُنَّا حَدِيثي عَهْدٍ بِبيْعَـةٍ، فَقُلْنا: قَدْ بايعْناكَ يا رسُولَ اللَّهِ، ثم قال: **«ألا تبايعون رسول الله؟» فبسـطنا أيـدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فَعَلاَمَ نَبَايِعُـكَ؟ قـال: «علـى أَنْ تَعْبُـدُوا اللَّـه ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، والصَّلَوَاتِ الخَمْس وَتطيعُوا» وَأَسـرَّ كلمَـة خَفِيـةً: «وَلاَ تَسْـأَلُوا النَّاسِ شَيْئًا»** فَلَقَدْ رَأَيتُ بَعْضَ أُولِئكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحدِهِمْ فَمـا يَسْـأَلُ أَحَـدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ – رواه مسلم.

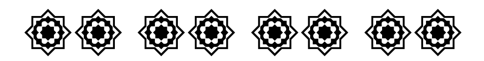
فهؤلاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم حين كانت تسقط عصا أحدهم وهو على راحلته فينزل فيتناولها دون أن يطلب من أحـد أن يناولـه إياهـا، إنمـا يفعلـون ذلك تعففًا أن يسألوا أحدًا ولو لأمر يسير كمناولة العصا من الأرض لأن ذلك لمن يرفعها صدقة يتصدق بها على من يناوله إياها، وهؤلاء النفر يأبون أن يسألوا أحدًا صدقة إلاّ على اضطرار مما لا بد منه تنفيـذًا للعهـد الـذي قطعـوه لرسـول الله ﷺ حينما بايعوه على أن لا يسألوا أحدًا شيئًا. ومصداق ذلك ما ورد في قـول رسُـولُ

اللَّه ﷺ: «**إِنَّ المَسأَلَةَ كَدٌّ يكدُّ بها الرَّجُلُ وجْهَهُ، إِلاَّ أَنْ يَسأَلَ الرَّجُلُ سُلْطانًا أَوْ في أَمْر لابُدَّ مِنْهُ**» رواهُ الترمذي وقال: حديث حسن صحيح «الكَدُّ»: الخَدشُ وَنحوُهُ. والمقصود بالمسألة هنا هو سؤال الناس لكي يتصدقوا عليه. ولفظة "ما لا بد منه" أوضحه رسول الله لخبيصة حين قال له «**ياَ قَبِيصَةُ إِنَّ المَسأَلَةَ لا تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاثَةٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حمالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصيبَها، ثُمَّ يُمْسِكُ. ورجُلٌ أَصابَتْهُ جائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مالَهُ، فَحَلَّتْ لهُ المَسأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عيْشٍ، أَوْ قال: سِدادًا مِنْ عَيْشٍ، ورَجُلٌ أَصابَتْهُ فاقَة، حَتى يقُولَ ثلاثَةٌ مِنْ ذَوي الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلانًا فَاقَةٌ، فحلَّتْ لَهُ المسْأَلةُ حتَّى يُصِيبَ قِوامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قالَ: سِدادًا مِنْ عَيْشٍ. فَمَا سِواهُنَّ مِنَ المَسأَلَةِ يا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يأَكُلُها صاحِبُها سُحْتًا**» رواهُ مسلم. و«الجائِحَةُ»: الآفَةُ تُصِيبُ مالَ الإِنْسانِ و«القَوامُ» بكسر القاف وفتحها: هوَ ما يقومُ بِهِ أَمْرُ الإِنْسان مِنْ مَال ونحوِهِ و«السِّدادُ» بكسر السين: مَا يَسُدُّ حاجةَ المُعْوِزِ ويَكْفِيهِ، و«الفَاقَةُ»: الفَقْرُ و«الحِجَى»: العقلُ.

وعلى ذلك فمن يعفّ عن سؤال الناس محتسبًا ذلك لوجه الله تعالى وحده فإنه يتجه إلى ربه وقد ضمن رسول الله ﷺ أن يدخله الله الجنة، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حين قال: «**مَنْ تَكَفَّلَ لي أَن لا يسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ له بالجَنَّة؟**» فقلتُ: أَنا، فَكَانَ لاَ يسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، رواه أبو داود بإِسنادٍ صحيح.

وقد عاهد حكيم بن حزام النبي ﷺ ألا يأخذ شيئًا من أحد أبدًا حتى يفارق الدنيا، فكان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه- يطلبه ليعطيه نصيبه من المال، فيرفض أن يقبل منه شيئًا، وعندما تولى عمر – رضي الله عنه- الخلافة دعاه ليعطيه فرفض حكيم، فقال عمر: يا معشر المسلمين، أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء (الغنيمة)، فيأبى أن يقبله. وهكذا ظلَّ حكيم قانعًا، لا يتطلع إلى المال بعد نصيحة رسول الله ﷺ التي تعلَّم منها ألا يسأل أحدًا شيئًا؛ حتى إنه كان يتنازل عن حقه من بيت المال، ويعيش من عمله وجهده.

ولما فتح الله للمسلمين بلاد كسرى، استولى سعد بن أبي وقاص على كنوز كسرى وذخائره وملابسه وجميع النفائس التي ظل الأكاسرة يجمعونها قروناً من سائر أنحاء العالم. وأرسل بها كاملة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فلما رآها عمر – رضي الله عنه – قال: (إن قوماً أدوا هذا لأمناء)، فقال علي بن أبي طالب: عففَت فعَفت الرعية، ولو رَتَعت لرتعوا!



١٧- باب الشكر

الشكر باب من أبواب التوجه إلى الله، فالشاكر منتبه إلى نعم الله عليه، فكلما حلّت به نعمة من نعم الله تذكر الله فشكره، فهو لا يغفل عن نعم الله، وهو دائم النظر إلى النعم ويرى هذه النعم حتى ولو كانت بصيغة ابتلاء فيشكر الله على كل حال، قال اللّه تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ **[البقرة: ١٥٢]** وقال:﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ **[إبراهيم: ٧]**. وعَن أبي مُوسى الأشعريَّ رضي اللّه عنْهُ، أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**إذا ماتَ ولَدُ العبْدِ قال اللّه تعالى لملائِكَتِهِ: قَبضْتُمْ ولَدَ عبْدِي؟ فيقولُون: نَعمْ، فَيقولُ: قبضتُم ثَمرةَ فُؤَادِهِ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقولُ: فَمَاذَا قال عَبْدي؟ فيقولون: حمِدكَ واسْتَرْجَع، فَيقُولُ اللّه تَعالى: ابْنُوا لِعَبْدِي بيْتًا في الجنَّةِ، وسَمُّوهُ بَيْتَ الحمْدِ**» رواهُ الترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ اللّه لَيرضي عنِ العبْدِ يَأْكُلُ الأكْلَةَ فَيحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرب الشَّرْبَةَ فَيحْمَدُهُ عَلَيْهَا**» رواهُ مسلم.

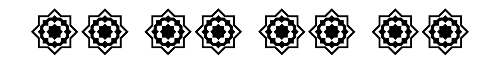
والحمد والشكر ليسا باللسان فقط بل بمقابلة النعمة بصدقة من جنسها ابتغاء وجه الله. قال اللّه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ **[الليل: ٥ - ٧]**. وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ **[الليل: ١٧ - ٢١]**، فكل نعمة تحتاج إلى ما يقابلها من الصدقات ولن يحصي المرء نعم الله مهما حاول.

قال محمد بن أبي الورد رحمه الله: أشكَر الخلق لله من لم ير أنه شكر الله، فالمتوجه إلى الله من باب الشكر لا يفتر لسانه بشكر المنعم جل جلاله ويرى أنه لم يؤدّ حق الشكر لله، ولا تفوته نعمة إلاّ وحاول أن يتبعها بحسنة أو صدقة، وإن

أحسن إليه أحد بإحسان كافأه بمثل إحسانه أو بـأكثر مـن ذلـك أو بشـكر باللسـان وأفضل الشكر أن يقول له جزاك الله خيرًا. فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قـال قال رسول الله ﷺ **"من صُنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء"** رواه الترمذي بإسناد حسن.

وشكر الناس على معروفهم جزء من شكر العبد لربه فقد ورد عنه ﷺ: **"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"** رواه الترمذي بإسناد حسن صحيح.

إن المتوجه إلى الله تعالى من باب الشكر يتفكر في كل ما حوله من نعـم فـيرى يد الله المنعم المتفضل الكريم فيتعلق قلبه بحمد الله وشكره وتذكر المزيد مـن آلائـه وأفضاله ويترجم شكر اللسان بشكر الجوارح من صدقة أو معـروف إلى خلـق الله أو عمل صالح أو عبادة أو وقوف عند حدود الله أو كفارة. كل ذلك وهو يرى أنه مقصر وأنه لم يؤد إلاّ جزءًا لا يكاد يذكر مما عليه من حقوق الله تعالى.



١٨- باب الذكر

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ **[البقرة: ١٥٢]** ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ **[العنكبوت: ٤٥]** وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ **[الأعراف: ٢٠٥]**{الآصال} جمع أصيل وهو: ما بين العصر والمغرب. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **[الأنفال: ٤٥]**. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ **[الأحزاب: ٣٥]**. وقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ **[الأحزاب: ٤١ - ٤٢]**. وقال تعالى:﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾**[النور: ٣٦]** وقال اللَّه تعالى:﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**[آل عمران: ١٩١]**.

عنْ أبي هُريرةَ، رضي اللَّه عنْهُ، أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «**يقُولُ اللَّه تَعالى: أَنـا**

عِنْدَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا مَعهُ إذا ذَكَرَني، فَإن ذَكرَني في نَفْسهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفسي، وإنْ ذَكَرَني في ملإٍ، ذكَرتُهُ في ملإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» متَّفقٌ عليهِ. وعَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «سبقَ المُفَرِّدُونَ» قالوا: ومَا المُفَرِّدُونَ يا رسُول اللَّـهِ؟ قـال: **«الـذَّاكِرُونَ اللَّـه كَـثيرًا والذَّاكِراتُ»** رواه مسلم. وعنْ عبد اللَّه بن بُسْرٍ رضي اللَّه عنْهُ أنَّ رَجُـلاً قـال: **يـا رسُولَ اللَّهِ، إنَّ شَرائِع الإسْلامِ قَدْ كثُرتْ علَيَّ، فَأخبرْني بِشيءٍ أتشَبَّثُ بهِ قال: «لا يَزالُ لِسانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»** رواهُ الترمذي وقـال: حـديثٌ حَسَـنٌ. وعـنْ أَبـي الدَّرداءِ، رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قـالَ رسـولُ اللَّـهِ ﷺ: **«ألا أُنَبِّـئُكُم بِخَيْـرِ أَعْمَـالِكُم، وأَزْكَاهَا عِند مليكِكم، وأَرْفعِها في دَرجاتِكم، وخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاق الذَّهَبِ والفضَّةِ، وخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقوْا عدُوَّكم، فَتَضربُوا أَعْنَاقَهُم، ويضـربوا أَعْنَـاقكُم؟» قـالوا: بلَى، قال:«ذِكْرُ اللَّهِ تَعـالى»**. رواهُ الترمـذي، قـالَ الحـاكمُ أَبـو عبـد اللَّـهِ: إِسـناده صحيح.

والذاكرون الله يذكرون الله في كل حال، في السر والعلن وفي أنفسهم وفي الملأ وذكرهم لله في الضراء: "الحمـد لله علـى كـل حـال" وفي السـراء: " الحمـد لله المـنعم المتفضل"، فالقلب يستشعر ذكر الله فيستنير بنور الذكر وعند ذلك يرزقـه الله النـور الذي يكشف له الأشياء على حقيقتها فيعظم ما هو عظيم عند الله ويقف عنـد مـا أمر الله ان يوقف عنده. وحقيقة الذكر هو ليس ذكر اللسان ولكن استشعار عظمـة ما يلفظ من أذكار، فالذكر مرتبط باستشعار مراقبة الله للمرء.

وعَنْ أبي هُريرةَ رضي اللَّه عنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: **«كَلِمتَـانِ خَفِيفتَـانِ عَلى اللِّسانِ، ثَقِيلَتَانِ في المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمنِ: سُبْحان اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبحانَ اللَّه العظيمِ»** متفقٌ عليهِ. وعَنْهُ رضي اللَّه عنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **«لأن أَقُولَ سبْحانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ للَّهِ، ولا إلَه إلاَّ اللَّه، وَاللَّه أكْبرُ، أَحبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَت عليهِ الشَّمْسُ»** رواه مسلم، وقالَ: **«من قالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبحمْدِهِ، في يوْم مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خطَاياهُ، وإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»** متفقٌ عليهِ. وعَنْ أبي أيوبَ الأنصَاريِّ رضـي

اللَّه عَنْهُ عَن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قالَ لا إله إلاَّ اللَّه وحْدهُ لا شَريكَ لهُ، لَـهُ الْمُلْـكُ، ولَهُ الحمْدُ، وَهُو على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، عشْر مرَّاتٍ: كان كَمَنْ أَعْتَقَ أرْبعةَ أَنفُسٍ مِن وَلِد إسْماعِيلَ**» متفق عليهِ. وعَنْ سعْدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضـي اللَّـه عنْـهُ قـال: جـاءَ أَعْرَابي إلى رسُول اللَّه ﷺ فقالَ: علِّمْني كَلامًا أَقُولُهُ، قالَ: «**قُل لا إله إلاَّ اللَّه وحدَهُ لا شرِيكَ لهُ، اللَّهَ أكْبَرُ كَبِيرًا، والحمْدُ للَّهِ كَثيرًا، وسُبْحانَ اللَّـه ربِّ العـالِمِينَ، ولا حوْل وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ العَزيز الحكيم**»، قال: فَهؤلاء لِرَبِّي، فَما لـي؟ قـال: «**قُـل: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي وارْحمْني واهْدِني وارْزُقْني**» رواه مسلم. وعنْ ثوبانَ رضي اللَّه عنْـهُ قال: كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إذا انْصَرَف مِنْ صلاتِهِ اسْتَغفَر ثَلاثًا، وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، ومِنكَ السَّلامُ، تباركْتَ يَاذا الجلالِ والإكرام**» قِيل للأَوْزاعـي وهُـوَ أَحَـد رُواةِ الحديث: كيفَ الاستِغفَارُ؟ قال: تقول: أَسْتَغْفرُ اللَّه، أَسْتَغْفِرُ اللَّه. رواهُ مسلم. وعَن المُغِيرةِ بن شُعْبَةَ رضي اللَّه عَنْهُ أنَّ رَسُول اللَّـه ﷺ كَـان إذا فَـرغَ مِـنَ الصَّـلاة وسلَّم قالَ: «**لا إلهَ إلاَّ اللَّه وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ. اللَّهُمَّ لا مانِعَ لما أعْطَيْتَ، وَلا مُعْطيَ لما مَنَعْتَ، ولا ينْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجدُّ**» متفقٌ عليهِ. **وعَنْ عبد اللَّه بن الزُّبَيْرِ رضي اللَّه تعالى عنهُما أنَّهُ كان يقُول دُبُرَ كَلِّ صلاةٍ، حينَ يُسَلِّمُ: لا إلَه إلاَّ اللَّه وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ. لا حوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّه، لا إله إلاَّ اللَّه، وَلا نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لهُ النعمةُ، ولَهُ الفضْلُ وَلَهُ الثَّناءُ الحَسنُ، لا إله إلاَّ اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ولَـوْ كَـرِه الكَافرُون.قالَ ابْنُ الزُّبَيْر: وكَان رسولُ اللَّه ﷺ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُر كُلِّ صَلاةٍ مكتوبـةٍ،** رواه مسلم. وعنْ أبي هُريرةَ رضي اللَّه عَنْهُ أنَّ فُقَرَاءَ المُهاجِرينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّه ﷺ فقالُوا: ذَهب أهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرجَاتِ العُلى، وَالنَّعِيمِ المُقيمِ: يُصَلُّونَ كَما نُصلِّي، وَيصُومُونَ كما نَصُومُ، ولهمُ فَضْلٌ مِنْ أمْـوال: يحجُّـونَ، ويَعْتَمِـرُونَ، ويُجاهِـدُونَ، ويَتَصَدَّقُون. فقالَ: «**ألا أُعلمُكُمْ شَيْئًا تُدْركُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وتَسبِقُونَ بِـهِ مـنْ بَعْدكُمْ، ولا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَع مِثلَ ما صَنَعْتُم؟**» **قالُوا: بَلَى يـا**

رسول اللَّه، قال: **«تُسبِّحُونَ، وتَحْمدُونَ وتُكبِّرُونَ، خلْفَ كُلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثَلاثينَ»** قال أبُو صالحٍ الرَّاوي عنْ أبي هُرَيْرةَ، لَّما سئِل عنْ كيْفِيـةِ ذِكْـرِهنَّ، قـال: يقـول: **سُبْحان اللَّه، والحمْدُ للَّه، واللَّه أكْبرُ، حتَّى يكُونَ مِنْهُنَّ كُلّهنَّ ثلاثًا وثلاثين** – متفقٌ عليهِ وزاد مُسْلمٌ في روايتِهِ: فَرجع فُقَراءُ الُمهَاجِرِينَ إلى رسُول اللَّهِ ﷺ، فقالوا: سمِع إخْوانُنا أهلُ الأمْوال بِما فعَلْنَا، ففعَلُوا مِثْلهُ؟ فقالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «ذلكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتِيهِ منْ يشاءُ». «الدُّثُورُ» جمع دَثْرٍ «بفتحِ الدَّالِ وإسكانِ الثاء المثلَّثـةِ» وهـو المـالُ الكثيرُ. وعنْ معاذٍ رضي اللَّه عَنْهُ أَنَّ رسُول اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بيَدِهِ وقال: **«يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إنِّي لأُحِبُّكَ»** فقال: **«أُوصِيكَ يَا معاذُ لا تَدعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تقُولُ: اللَّهُمَّ أعِنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وَحُسنِ عِبادتِكَ»** – رواهُ أبو داود بإسناد صحيحٍ.

وعنْ أبي ذَرٍّ رضي اللَّه عنْهُ أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: **«يُصْبِحُ عَلى كُلِّ سُـلامَى مِنْ أَحدِكُمْ صَدَقةٌ: فكلُّ تَسْبِيحةٍ صدقةٌ، وكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وكُلُّ تَكْبِيرةٍ صدقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمعْرُوفِ صَدقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الُمنكَرِ صدقَةٌ. وَيُجْزِيءُ مِنْ ذلكَ ركْعتَانِ يَرْكَعُهُما منَ الضُّحَى»** رواه مسلم.

وعَنْ أُمِّ المؤمنينَ جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارِثِ رضي اللَّه عَنْها أنَّ الـنبي ﷺ قـال: **«ألا أُعلِّمُكِ كَلماتٍ تَقُولِينَها؟ سُبْحانَ اللَّهِ عَدَدَ خلْقِهِ، سُبْحانَ اللَّهِ عَددَ خَلْقِهِ، سُبْحانَ اللَّه عدد خَلْقِهِ، سُبْحانَ اللَّه رضا نَفْسِهِ، سُبْحان اللَّهِ رضا نَفْسِهِ، سُبْحانَ اللَّه رضا نَفْسِهِ، سُبحَانَ اللَّه زِنَةَ عرْشِهِ، سُبحَانَ اللَّه زِنَةَ عرْشِهِ، سُبحَانَ اللَّـه زِنَـةَ عرْشِـهِ، سُبحَانَ اللَّهِ مِدادَ كَلماتِهِ، سُبحَانَ اللَّهِ مِدادَ كَلماتِهِ، سُبحَانَ اللَّـهِ مِـدادَ كَلماتِـه»**. رواه الترمذي

وعن جابر رضي اللَّه عَنْهُ قالَ: سمِعْتُ رسُول اللَّه ﷺ يقولُ: **«أَفْضَلُ الـذِّكرِ: لا إله إلاَّ اللَّه»**. رواهُ الترمِذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ. وعنْ جابرٍ رضي اللَّه عنهُ، عَنِ النبي ﷺ قال: **«منْ قال: سُبْحانَ اللَّهِ وبحَمـدِهِ، غُرِسـتْ لـهُ نَخْلَـةٌ في الجنَّـةِ»**. رواه الترمذي وقال: حديث حسنٌ. وعن ابن مسْعُودٍ رضي اللَّه عَنْهُ قـال: قـال رسُـول

اللَّه ﷺ «**لَقِيتُ إبراهيمَ صلى الله عليه وآله وسلم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بي فقال: يا مُحمَّـدُ أقرِيءْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلام، وأَخبِرْهُمْ أنَّ الجَنَّةَ طَيِّبةُ التُّربةِ، عذْبةُ الماءِ، وأنَّها قِيعـانٌ وأنَّ غِرَاسَها: سُبْحانَ اللَّه، والحمْدُ للَّه، ولا إله إلاَّ اللَّه واللَّه أكْبَرُ**». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. قال أبو سليمان الداراني: إن في الجنة قيعانًا فإذا أخـذ الـذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فيها، فربما يقف بعـض الملائكـة فيقـال له: لم وقفت؟ فيقول: فتر صاحبي.

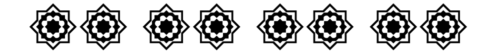
وعنْ أَبي مُوسى رضي اللَّه عنْه قال: قالَ لي رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلا أَدُلُّك على كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجنَّةِ؟**»، **فقلت: بلى يا رسول اللَّه، قال: «لا حول ولا قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ» متفقٌ عليه. وعن حُذَيْفَةَ، وأَبي ذَرٍّ رضيَ اللَّه عَنْهُمَا قالا: كانَ رسولُ اللَّـهِ ﷺ إذا أَوَى إلى فِراشِهِ قال: «بِاسمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ» وإذا اسْتيقَظَ قال: «الحمْدُ للَّـهِ الذِي أَحْيَانَا بعد مَا أَماتَنَا وَإليْهِ النُّشورُ»** رواه الترمذي. وعنْ أبي هريرة رضـي الله عنه **عن النبيِّ ﷺ أنَّه كان يقول إِذَا أَصْبَحَ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبحْنَا وبِـكَ أَمسَـيْنَا وبِـكَ نَحْيا، وبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ» وإذا أَمْسى قال: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وبِكَ نَحْيا، وبِك نمُوتُ وإلَيْكَ المَصِير»**. رواه أَبو داود والترمذي وقال: حديث حسن. وعنهُ أَنَّ أَبا بَكرٍ الصِّدِّيقَ، رضيَ اللَّه عنه، قال: يَا رَسُـولَ اللَّـهِ مُرْنـي بِكَلمَـاتٍ أَقُـولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وإِذَا أَمْسَيتُ، قال: قُلْ: «**اللَّهُـمَّ فَـاطِرَ السَّـمَواتِ والأرضِ عَـالمَ الغَيْـب وَالشَّهَادةِ، ربَّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيكَهُ. أَشْهَدُ أَن لاَ إِله إِلاَّ أَنتَ، أَعُوذُ بكَ منْ شَرِّ نفسي وشَرِّ الشَّـيْطَانِ وَشِـرْكِهِ» قـال: «قُلْهـا إِذا أَصْـبحْتَ، وَإِذا أَمْسَـيْتَ، وإذا أَخـذْتَ مَضْجِعَكَ**» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وعَن ابْن مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنهُ قالَ: **كانَ نبيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمسى قـال: أَمْسَـيْنَا وأَمْسـى المُلـكُ للَّـهِ، والحمْدُ للَّهِ، لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّه وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه»** قالَ الرواي: أَرَاهُ قال فـيهنَّ: «**لَـهُ المُلكُ وَلَه الحمْدُ وهُوَ عَلى كلِّ شَيءٍ قدِيرٌ، ربِّ أَسْأَلُكَ خَيْـرَ مَـا في هـذِهِ اللَّيلَـةِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وأَعُوذُ بِكَ منْ شَرِّ مَا في هذِهِ اللَّيْلَةِ وشَرِّ ما بعْدَهَا، ربِّ أَعُوذُ بِكَ**

من الكَسَلِ، وَسُوءِ الكِبْرِ، أعوذُ بِكَ منْ عذابٍ في النّـار، وَعَـذابٍ في القـبر» وَإِذَا أَصْبحَ قال ذلك أَيْضًا: «أَصْبحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْك للَّهِ» رواه مسلم. وعنْ عُثْمَـانَ بْـنِ عَفَانَ رضيَ اللَّه عنهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ في صَبَاحِ كلِّ يَوْمٍ ومَسَاءِ كلِّ لَيْلَةٍ:بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَع اسْمِهِ شيء في الأرضِ ولا في السـماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعلِيمُ، ثلاثَ مَرَّاتٍ، إِلاَّ لَمْ يَضُرَّهُ شَيءٌ» رواه أبـو داود، والتِّرمـذي وقال: حديث حسن صحيح. وعنْ حُذيفةَ. وعَنْ عليٍّ رضـي اللّـه عَنْـهُ أَنَّ رسُـولَ اللَّهِ ﷺ قالَ له وَلِفَاطِمةَ رضيَ اللَّه عنهما: «إِذَا أَوَيْتُمَا إِلى فِراشِكُما، أَوْ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُما فَكَبِّرا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِين» وفي روايةٍ: «التَّسْبِيحُ أَرَبعًا وَثَلاثِينَ» وفي روايةٍ: «التَّكبيرُ أَربعًـا وَثَلاثِـينَ» متفـقٌ عليـه. وعن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّه عنهُ، قال: قـال رسـولُ اللَّـهِ ﷺ: «إذا أَوَى أَحَـدُكُم إِلى فِراشِهِ، فَلْيَنْفُض فِراشَهُ بداخِلَةِ إِزَارِهِ فإِنَّهُ لاَ يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِـكَ أَرْفَعُـهُ، إِنْ أَمسَـكْتَ نَفْسِـي فَارْحَمْهـا، وإِنْ أَرْسَـلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِه عِبادَكَ الصَّالحِينَ» متفقٌ عليه. وَعنِ البرَاءِ بن عازبٍ، رَضِيَ اللَّه عنْهمَا، قَالَ: قال لي رسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «إِذَا أَتيـتَ مَضْـجَعَكَ فَتوضَّـأْ وضُـوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلى شِـقِّكَ الأَيْمَـنِ، وقـلْ: اللَّهُـمَّ أَسْـلَمْتُ نفِسـي إِلَيـكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ. وَفَوَّضتُ أَمري إِلَيْكَ، وَأَلَجَأْتُ ظَهرِي إِلَيْكَ، رغبةً ورهْبَةً إِلَيْكَ، لامَلجأَ ولا مَنجي مِنْكَ إِلاَّ إِليكَ، آمنتُ بِكِتَابِكَ الذِي أَنزَلْت، وَبِنَبِيِّكَ الذِي أَرسَلتَ، فإِنْ مِتَّ مِتَّ على الفِطرةِ، واجْعَلهُنَّ آخِرَ ما تَقُولُ» مُتَّفَقٌ عليهِ. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا أَوَى إِلى فِرَاشِهِ قَال: «الحمْدُ للَّهِ الَّذي أَطْعَمنَـا وسقَانا، وكفَانَا وآوانَا، فكمْ مِمَّنْ لا كافِيَ لَهُ ولا مُؤْوِيَ» رواهُ مسلمٌ. وعنْ حُذَيْفَةَ، رضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رسُول اللَّهِ ﷺ كَانَ إذا أَرَاد أَنْ يرْقُدَ، وضَع يَـدهُ اليُمنَـى تَحْـتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يقُولُ: «اللَّهمَّ قِنِي عَذَابكَ يوْمَ تَبْعثُ عِبادَكَ» رواهُ الترمِذيُّ وقال: حديثٌ حَسنٌ وَرَواهُ أَبو داودَ مِنْ روايةِ حفْصةَ، رَضِي اللَّه عنْها، وَفيهِ أَنَّهُ كَانَ يقُولهُ ثَلاثَ مرَّاتٍ.

والذاكرون الحافظون هم أولئك المستهامون بحب الله، الممتلئة نفوسهم بحقيقة وجوده، والوَلِهَة بجمال صفاته، الخاشعة لجلال آثاره، المسبحة بحمده، المقدسة له، والعاكفة على طاعته، فهم بين دائم الذكر لايغفل وذاكر اذا غفل لم يتماد بغفلته: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ **[الأعراف: ٢٠١]**. فالمتوجه إلى الله من باب الذكر هو من لا يغفل لسانه عن ذكر الله وقلبه خاشع لله مرتبط بالذكر وقد بدت آثار الذكر على جوارحه من خشوع وطاعات ووقوف عند حدود الله.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله علنه قال قال رسول الله ﷺ: **"من قال في سوق جامع يباع فيه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيى ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، وبنى له بيتًا في الجنة"** - البغوي في شرح السنة – حديث حسن غريب

وعلى ذلك فإن ذكر الله بين الغافلين من أفضل الذكرويشمل ذلك ذكر الله في السوق وفي أماكن العمل. وقال ذو النون المصري: من ذكر الله تعالى ذكرًا على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضًا عن كل شيء. وعلى من يذكر الله أن يبقى حذرًا من الرياء فلا يرائي بذكره ولكن إن استغرق بذكر الله ناسيًا الناس فعليه أن لا يبالي بمن حضر أوغاب حتى وإن قالوا عنه مجنون.



١٩- باب التفكر في خلق الله ونعمه

باب التفكر في خلق الله ونعمه هو باب استخدام نعمة من أكبر نعم الله على الإنسان في ما خلقت له ألا وهي نعمة العقل. هذا العقل الذي وهبه الله للبشر إذا ما تفكر في عظيم مخلوقات الله وهبه الله تعالى زيادة في اليقين وزيادة في خشية الله وتواضعًا وذلاً لله. فالتفكر والتدبرعبادات من أعظم العبادات، ففيهما استزادة بالعلم وهو زيادة في خشية الله تعالى قل تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ **[فاطر: ٢٨]**، فمن قضى وقته في التفكر في ما خلق الله أدرك بعض عظمة الله وبعضًا من حكمته وكتب الله له عبادة طالما كان في تفكره.

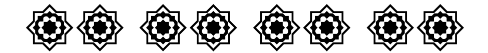
قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ ﴾ **[سبأ: ٤٦]** وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ **[آل عمران: ١٩٠ - ١٩١]**. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ **[الغاشية: ١٧ - ٢١]**. وقال تعالى: ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ﴾ **[محمد: ١٠]**.

المتجهون إلى الله من باب التفكر يقضون أوقاتهم في عبادة من أعظم العبادات فهم يعيشون مع ملكوت الله في السماوات وفي الأرض وفي ما خلق الله تعالى يستشعرون عظمته ويتلمسون حكمته ولطفه وبدائع صنعه، وهم يتلذذون بالسياحة في مملكته.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال في وصف جميل: تعلموا العلم فإن تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقه، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، وهو إمام للعمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء. وعلى ذلك فإن التفكر في بديع خلق الله في الأرض وفي الكون وفي نفس الإنسان وفي غيره من المخلوقات على وجه الأرض يعطي المرء طمأنينة ويقينًا ويدفعه إلى التواضع لله وإلى حسن التعامل مع خلق الله والرأفة بهم وإلى الزهد ودوام العبادة والتمتع بالوقوف بين يدي الله تعالى. وقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله"** - الجامع الصغير- وذلك لأن عقل الإنسان غير مهيئ للتفكر في ذات الله.

إن البحث العلمي فيما يخدم البشرية اليوم إذا ما ارتبط باستشعار عظمة الله هو عبادة عظيمة، فهو خدمة للبشرية من جهة ووسيلة لشكر المنعم جل وعلا وعبادة تفكر في عظمته وتبيان لآلائه وتحبيب الله لخلقه كي يزيدوا من شكره.

لقد نعى القرآن الكريم على الكافرين تقليدهم لأسلافهم دون تفكير وحثهم على التفكير المستقل للوصول إلى حقائق الكون وعجائب خلقه ومن ثم التعرف على آلائه، فمن استعمل نعمة العقل في التفكير والتدبر في سنن الله في خلقه وفي الكون والإستنباط لما فيه خيره وخير سواه من البشر فقد توجه إلى الله من باب عظيم.



٢٠ - باب ذكر الموت

ذكر الموت فرع من تذكر الآخرة. فمن داوم على تذكّر الموت كانت صورة الآخرة قريبة منه، فهو مستعد لها على الدوام فهي آتية لا محالة. قال اللَّه تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ **[آل عمران: ١٨٥]**.

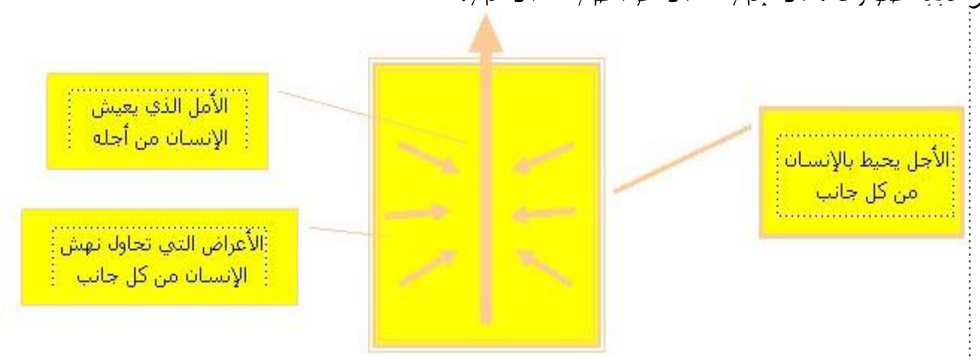
وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾**[لقمان: ٣٤]**. وقال تعالى:﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ **[الأعراف: ٣٤]**. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ **[المنافقون: ٩ - ١١]**.

والمستعد للموت لن يفاجأ به يوم يأتي كما يفاجأ به الكفار، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ **[المؤمنون: ٩٩ - ١٠١]**.

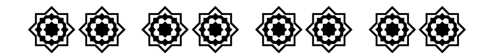
ويحث الله المؤمنين على تذكر الموت فإن تذكّره يقلل من قسوة القلب قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ **[الحديد: ١٦]**. وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: أَخَذَ رَسولُ اللَّه ﷺ بِمنكِبِي فَقَالَ: «**كُنْ**

في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَو عابرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي اللَّه عنهما يقول: «إِذا أَمسَيتَ، فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخذ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِك وَمِن حَيَاتِكَ لِمَوتِكَ» رواه البخاري. والمستعد للموت لا تلهيه الدنيا بطول الأمل وكان ﷺ يوصي بكثرة تذكر الموت حين كان يقول: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ» يَعني المَوْتَ، رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

وحث على الإستعداد للموت فقال رسول اللَّه ﷺ: «ما حَقُّ امْرِيءٍ مُسلِمٍ لَهُ شَيءٌ يُوصِي فِيهِ يبيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» متفقٌ عليه وهذا لفظ البخاري. قال ابن عمر رضي الله عنهما: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنذُ سَمِعتُ رسولَ اللَّه ﷺ قال ذلِكَ إلاَّ وَعِنْدِي وَصِيَّتِي. وعن ابن مسعُودٍ رضيَ اللَّه عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وخَطَّ خَطًّا في الْوَسَطِ خَارجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إلى هَذَا الَّذِي في الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي في الوَسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا الإِنسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ أو قَد أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذا» رواه البخاري.
وَهَذِهِ صُورَتُهُ: الأجل – الأعراض – الأمل.



فمن يكثر من ذكر الموت ويستعد له حق الإستعداد، إذا ما توفاه الله وجد نتيجة ذلك الإستعداد ونال من الله الثواب والرضوان.



٢١- باب الورع

باب الورع باب عظيم للتوجه إلى الله لأنه تتضاعف بواسطته أجور الأعمال. والورع يوضحه حديث عن رسول الله ﷺ حين قال: **«إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهما مُشْتَبِهاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَن اتَّقى الشُّبُهاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ في الشبُهاتِ، وقَعَ في الحَرامِ، كالرَّاعي يرْعى حَوْلَ الحِمى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَع فِيهِ، أَلاَ وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمهُ، أَلاَ وإِنَّ في الجسَدِ مُضغَةً إذا صلَحَت صَلَحَ الجسَدُ كُلُّهُ، وَإِذا فَسَدَتْ فَسدَ الجَسَدُ كُلُّهُ: أَلاَ وَهِي القَلْبُ»** متفقٌ عليه. كما أوضحه في حديث آخر إذ قال: **«البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ وَالإِثمُ ما حاكَ في نفْسِكَ، وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»** رواه مسلم. «حاكَ» أَيْ تَرَدَّدَ فيهِ. وعن وابصةَ بنِ مَعْبدٍ رضيَ اللَّه عنه قال: أَتَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ فقال: **«جِئْتَ تسأَلُ عنِ البِرِّ؟» قلت: نعم، فقال: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: ما اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفسُ، واطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، والإِثمُ ما حاكَ في النَّفْسِ وتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ، وإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوكَ»** حديثٌ حسن، رواهُ أحمدُ، والدَّارَمِيُّ في مُسْنَدَيْهِما. وعن الحَسَنِ بن عَليٍّ رضّيَ اللَّهُ عنهما، قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ: **«دَعْ ما يَرِيبُكَ إِلى مَا لا يرِيبُك»** رواهُ الترمذي وقال حديث حسن صحيح. ومعناهُ: اتْرُكْ ما تَشُكُّ فِيهِ، وخُذْ ما لا تَشُكُّ فِيهِ. وعن عطِيَّةَ بنِ عُرْوةَ السَّعْدِيِّ الصَّحَابِيِّ رضيَ اللَّه عنهُ قالَ قال رسول اللَّه ﷺ **«لايبلغ العبدُ أَنْ يكون من المتقين حتى يَدَعَ مالا بَأْس بِهِ حَذرًا مما بِهِ بَأْسٌ»**. رواهُ الترمذي وقال: حديثٌ حسن. وعن الحسن البصري قال: **«ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه»**.

ويضرب أبوبكر الصديق رضي الله عنه مثالاً في الورع، فعن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها، قالت: كانَ لأبي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ، رضيَ اللَّهُ عنهُ غُلامٌ يُخرِجُ لَهُ الخَراجَ وكانَ

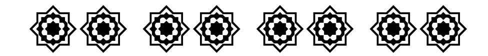
أَبو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَومًا بِشَيءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلامُ: تَدْرِي مَا هَذا؟ فَقَالَ أَبو بَكْرٍ: ومَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ في الجاهِلِيَّةِ ومَا أُحْسِنِ الكَهَانَةَ إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيني، فَأَعْطَاني بِذلكَ هَذَا الذي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبو بَكْرٍ يَدَه فَقَاءَ كُلَّ شَيءٍ في بَطْنِهِ، رواه البخاري. «الخَراجُ»: شَيءَ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلى عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ إلى السيِّد كُلّ يَومٍ، وَبَاقي كَسبِهِ يَكُونُ للعَبْدِ. وكان عمر بن عبد العزيز إذا زاره أحد وهو يعمل في مصلحة الأمة على ضوء مصباح من بيت مال المسلمين أطفأ المصباح وأوقد مصباحًا آخر من ماله الخاص يضيء لجالسيه، فإن سئل عن ذلك أوضح أن المصباح الأول من بيت المال ولا يحل له أن يستضيء به مع زواره.

واليوم قد كثر التعامل بكثير من المعاملات الربوية واصبح التحري عن الحلال في غاية الصعوبة أحيانًا واختلطت الهدية بالرشوة وغير ذلك من أبواب الشبهات. وفي مثل هذه الظروف يصبح من يسلك طريق الورع في امتحان عسير، إذا ما سلكه فاز بخير كثير.

فالتوجه إلى الله من باب الورع يعني أخذ الإحتياط للدين وعدم الإقتراب من الحرام بشكل مباشر بل ترك مسافة بين العمل وبين الحرام الصريح، هذه المساحة المشكوك بها قد تكون مغرية أو فيها منافع دنيوية أو فيها سهولة أو يسر في هذه الحياة الدنيا. فالورع يكون في الكسب وفي أداء الأمانة وفي أداء الفرائض وفي البعد عن المحرمات والشبهات وفي كثرة النوافل رجاء أن تسد النقص في أداء الفرائض وفي الحرص على الكمال في أداء حقوق الناس وفي الحرص على اتقان العمل وفي مكافأة كل من تقدم بعمل خير او إحسان.

ولكمال الورع لا بد من مراقبة العبد لنفسه ومحاسبتها حسابًا عسيرًا وعدم التساهل معها في الرخص فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **إن المؤمن يرى**

ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مـر على أنفه فقـال به هكذا - رواه البخاري. والذي يلتزم بالورع يحقق معنى التقوى، فقد وصفها علي رضـي الله عنـه بقولـه: "الخـوف مـن الجليـل، والعمـل بالتنزيـل، والاستعداد ليوم الرحيل، والرضا بالقليل". ووصفها عمر بن عبد العزيز رضـي الله عنه بقوله: ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيمـا بـين ذلـك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلـك خـيرًا فهو خير إلى خير. وورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سأل أُبيًّا بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكتَ طريقا ذا شوك؟قال بلى، قال:فما عملت؟ قال شمَّرتُ واجتهدت، قال: فذلك التقوى.



٢٢- باب الطهارة ودوام الوضوء

مدح الله تعالى الأنصار الذين أقاموا مسجد قباء حين قال عنهم ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ **[التوبة: ١٠٨]**، فالله تعالى حين يحب المتطهرين ويجزيهم خير الجزاء. فمن أحب أن يتطهر وبالغ في البعد عن النجاسات وحافظ على استمرار بقائه على طهارة قدر امكانه كان ممن توجه إلى الله من باب عظيم.

وعَنْ أبي مالكٍ الأشْعَرِيِّ رضي اللَّه عنْهُ قال: قال رسُولُ اللَّـه ﷺ: **«الطُّهُـورُ شَطْرُ الإيمان، والحمدُ للَّهِ تَمْلأُ المِيْزانَ، وسُبْحَانَ اللَّهِ والحمْدُ للَّه تَمْلآنِ أو تَمْلأُ مـا بَيْنَ السَّمَواتِ والأَرْضِ»** رواهُ مسلم.

قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ **[المائدة: ٦]**. عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّه عَنْه قال: سمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُول: **«إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوضوءِ فَمنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيل غُرَّتَه، فَلْيفعلْ»** متفقٌ عليه. وعنه قَالَ: سَمِعْت خَلِيلي ﷺ يقُول: **«تَبْلُغُ الحِلية مِنَ المؤمِن حَيْث يبْلُغُ الوضـوءُ»** رواه مسـلم. وعنْهُ أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«أَلا أَدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو اللَّه بِهِ الخَطَايا، ويرْفَعُ بِهِ الدَّرجاتِ؟ قَالُوا: بلى يا رَسُول اللَّهِ، قَالَ: إِسْباغُ الوُضُوءِ على**

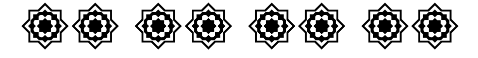
المكَارِهِ وكَثْرَةُ الخُطَا إلى المساجِدِ، وانْتِظَارُ الصَّلاةِ بعْد الصَّلاةِ، فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ، فذلِكُمُ الرِّباطُ» رواه مسلم. وعنْ عُمَر بْنِ الخَطَّابِ رضي اللَّه عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«ما مِنْكُمْ مِنْ أَحدٍ يتوضَّأُ فَيُبْلِغُ أَو فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهدُ أَنْ لا إله إلاَّ اللَّه وحْدَه لا شَرِيكَ لهُ، وأَشْهدُ أَنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ وَرسُولُه، إلاَّ فُتِحَت لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ»** رواه مسلم. وزاد الترمذي: **«اللَّهُمَّ اجْعلْني من التَّوَّابِينَ واجْعلْني مِنَ المُتَطَهِّرِينَ»**.

وإسباغ الوضوء على المكاره يعني عدم التقصير في اتمام الوضوء على الوجه الأكمل عند البرد بحيث لا يكون هناك فرق بين وضوءه صيفًا أو شتاءً. كما أن من تمام الوضوء المحافظة على السواك وتخليل اللحية وغير ذلك من مراعاة دقائق اتمام الوضوء على الوجه الأكمل كما ورد عن رسول الله ﷺ.

والمتوجه إلى الله من باب الطهارة والوضوء يحافظ على الوضوء طيلة يومه وليلته. فلا يكاد ينتقض وضوءه حتى يجدده ولا ينام إلاّ على وضوء بل ويتوضأ أحيانًا دون انتقاض وضوءه تقربًا إلى الله وطردًأ للشيطان.

وكان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله إلا وهو على وضوء، إجلالاً له. قال ضرارة بن مرة: كانوا يكرهون أن يحدثوا بحديث على غير وضوء. وكان الأعمش إذا حدث وهو على غير وضوء تيمم. وكان قتادة لا يقرأ حديث النبي إلاّ على وضوء. بل وكان بعض أهل العلم لا يكتب في الفقه أو التفسير أو غيره من العلوم الشرعية إلاّ على وضوء. والمحافظة على الطهارة والوضوء دأب الصالحين على مر الأزمان فمنهم من لا يكتب حديثًا أو مقالاً مما يرجى أن ينتفع به الناس إلاّ على وضوء رغبة في أن يطرح الله البركة في ما يكتبوا أو يؤلفوا.

ومن تمام رعاية الطهارة غسل الجمعة والعيدين والإحرام بالحج والعمرة ودخول مكة وغيرها، فعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل يوم الجمعة – مسند الشافعي – .



٢٣- باب الصلاة

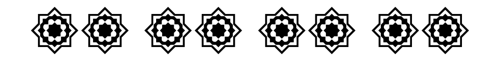
باب الصلاة لا يقصد به من يؤدي الصلوات الخمس ولا يدري ما يقول في صلاته ولكن يدخل في باب الصلاة من جعلت قرة عينه في الصلاة فهو يحب الوقوف بين يدي مولاه ويناجيه بكل جوارحه وفكره ويكرر ذلك في يومه وليلته ويطيل الوقوف بين يدي مولاه ويخشع قلبه عند مناجاة مولاه فهو عند ذلك يكون من أهل الصلاة. قال تعالى﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ **[المؤمنون: ١- ٢]** ومن أهل الصلاة من يراقب وقتها ويحرص على أدائها بأول وقتها جماعة ويخشع فيها ويتلذذ بالوقوف بين يدي الله تعالى وكأنه يناجي الله بغير حجاب.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "**حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة**" – ميزان الإعتدال بإسناد قوي –، وعنْ أَبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**لا يَزَالُ أَحَدُكُمْ في صَلاةٍ مَا دَامتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاةُ**» متفقٌ عليه. وعنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**» رواه البخاري. فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإطالة المكث في المسجد بعد الصلاة والإنشغال فيه بذكر الله وتلاوة القرآن وتعلم العلم أو تعليمه كل ذلك يرفع من درجات العبد فيكون ممن يكتب من أهل الصلاة وهي أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة.

إن المتوجهين إلى الله من باب الصلاة يدخلون باب الصلاة من خلال حرص على جوانب من الصلاة كما سيمر بنا. فمنهم من يحرص على السنن والنوافل ومنهم من يحرص على قيام الليل ومنهم من يحرص على الصلاة في المساجد ومنهم من يحرص على أداء الصلاة جماعة ومنهم من يحرص على السعي إلى

المساجد في الظلم لأداء صلاتي العشاء والفجر. كل أولئك هم من أهل الصلاة.

إن الحرص على الصلاة يحتاج إلى الإخلاص فأداء الصلاة بحضور الناس قد يدخله الرياء بتحسين الصلاة أو تطويلها أو انشغال القلب بماذا يقول الناس عنه، فإن أداها في خلوة استعجل فيها وما اكترث في القيام بها على خير وجه. إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا يزال يوسوس له وخاصة في صلاته كي يصرفه عن الشعور بالطمأنينة واستشعار مناجاة الله عز وجل. ولا تتأتى تلك الحالة إلاّ بإجبار النفس على التخلي عن شوارد الفكر في أمور الدنيا والتركيز على الصلاة كلما شرد الفكر، وهي لا شك معاناة كبيرة، وعلى المصلي أن يجهد نفسه في الحرص عليها وحسن القيام بها.



٢٤- باب صلاة السنن والنوافل

عنْ أُمِّ المؤمِنِينَ أُمِّ حبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنـتِ أَبـي سُـفيانَ رضـيَ اللَّـه عنهمـا، قَالـتْ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ:«**مَا مِنْ عبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للَّهِ تَعَالى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عشْرةَ رَكْعَةً تَطوعًا غيْرَ الفرِيضَةِ، إلاَّ بَنَى اللَّه لهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ، أَوْ: إلاَّ بُنِي لَهُ بيتٌ في الجنَّةِ**» رواه مسلم. وعَنِ ابنِ عُمَر رَضيَ اللَّه عنْهُمـا، قـالَ: **صَـلَّيْتُ مَـعَ رسُـول اللَّـهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، ورَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعةِ، ورَكْعتيْنِ بَعْد المغرِبِ، وركْعتيْنِ بعْد العِشَاءِ** – متفقٌ عليه. وعنْ عبدِ اللَّهِ بن مُغَفَّلٍ رضِيَ اللَّه عنـهُ، قـال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بيْنَ كلِّ أَذَانيْنِ صَلاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَـيْنِ صَلاةٌ**» **وقالَ في الثَالِثَة:** «**لمَنْ شَاءَ**» متفقٌ عليه. والمُرَادُ بـالأَذَانَيْن: الأَذَانُ وَالإِقَامـةُ. وعن عائشةَ رضِيَ اللَّه عنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **كانَ لا يدَعُ أَرْبعًا قَبْلَ الظُّهْـرِ، وركْعَتَـيْنِ قبْلَ الغَدَاةِ** – رواه البخاري.

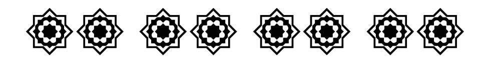
وَعَنها قالتْ: **كانَ النبيُّ ﷺ يُصَليِّ في بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْر أَرْبَعًا، ثم يخْرُجُ فَيُصـليِّ بِالنَّاسِ، ثُمَّ يدخُلُ فَيُصَليِّ رَكْعَتَيْنْ، وَكانَ يُصليِّ بِالنَّاسِ المَغْرِب، ثُـمَّ يَـدْخُلُ بـيتِي فَيُصليِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَليِّ بِالنَّاسِ العِشـاءَ، وَيَـدْخُلُ بَـيْتِي فَيُصـليِّ ركْعَتَـيْنِ** – رواه مسلم. وعن أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّه عنها قَالَتْ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**منْ حَافظَ عَلـى أَرْبَعِ ركعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْـرِ وَأَرْبـعٍ بَعْـدَهَا حَرَّمـهُ اللَّـه علـى النَّـارَ**».رواه أبـو داود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وعنْ عليِّ بنِ أَبي طَالبٍ رضي اللَّه عنْـهُ، قـالَ: كانَ النَّبي ﷺ يُصلِّي قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعَ رَكعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْليمِ عَلى الملائِكَةِ المقربِينَ وَمَنْ تبِعَهُمْ مِنَ المسْلِمِين وَالمؤمِنِينَ – رواه الترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّه عنهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**صَلُّوا قَبلَ المَغرِب**» **قَالَ في الثَّالِثةِ:** «**لمَنْ شَاءَ**» رواه البخاريُّ. وعنْ أَبي هُريرةَ رضِيَ اللَّه عَنْـهُ قـالَ: قـال رسـولُ اللَّـهِ ﷺ: «**إذا صَـلَّى أَحدُكُمُ الجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بعْدَهَا أَرْبعًا**» رواه مسلم.

وعَنْ زيدِ بنِ ثابتٍ رضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ الـنَّبِيَّ ﷺ قـالَ: **«صـلُّوا أَيُّهـا النَّـاسُ في بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أفضلَ الصَّلاةِ صلاةُ المَرْءِ في بَيْتِهِ إلاَّ المكْتُوبَةَ»** متفقٌ عليه. وعَنْ جابرٍ رَضِي اللَّه عَنْهُ قالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذا قَضَـى أَحَـدُكُمْ صـلاتَهُ في مسْـجِدِهِ، فَلَيجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاتِهِ، فَإِنَّ اللَّه جَاعِلٌ في بيْتِـهِ مِـنْ صـلاتِهِ خَيْـرًا»** رواه مسلم. وعَنْ عليِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: الوترُ لَيْس بِحَتْمٍ كَصَلاةِ المكْتُوبَةِ، ولكِنْ سَنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ قالَ: **«إنَّ اللَّه وِترٌ يُحِبُّ الْوتْرَ، فأَوْتِرُوا، يَا أَهْلَ الْقُـرْآنِ»**. رواه أبـو داود والترمذي وقَالَ: حديثٌ حسنٌ. وَعَنْ عَائِشَةَ رضِيَ اللَّه عنْهَا، قَالَتْ: **مِنْ كُـلِّ اللَيْلِ قَدْ أَوْتَر رسولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، ومَن أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ وَانْتَهى وِتْرُهُ إلى السَّحَرِ** – متفقٌ عليه. وعنْ أَبي هُريرةَ رَضي اللَّه عنْهُ قال: **«أوصَاني خَليلي ﷺ بصِيامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شهر، وركْعَتِي الضُحَى، وأَنْ أُوتِـرَ قَبـل أَنْ أَرْقُـد»** متفـقٌ عليه.

والإيتار قبل النوم إنما يُسْتَحَبُّ لمن لا يَثِقُ بالاستيقاظ آخر اللَّيل فإنْ وثق فآخر اللَّيل أفضل. وعَنْ أَبي ذَر رَضِي اللَّه عَنْهُ عـن الـنبيِّ ﷺ قـال: **«يُصـبِحُ عَلـى كُـلِّ سُلامَى مِنْ أَحدِكُمْ صدقَةٌ: فَكُلُّ تَسبيحة صدَقةٌ وكل تحميدة صدقة وكُـل تهليلَـةٍ صدَقَةٌ وَكُلُّ تكبيرة صدَقةٌ، وأَمر بالمعْروفِ صدقَةٌ، ونهيٌ عنِ المُنْكَرِ صدقَةٌ، ويُجْزِئ مِن ذلكَ ركْعتَانِ يركَعُهُما مِنَ الضحى»** – رواه مسـلم. وعَـنْ عائشـةَ رضـيَ اللَّـه عَنْها، قالتْ: **كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يصلِّي الضُحَى أَرْبعًا، ويزَيدُ ما شاءَ اللَّـه** – رواه مسلم. وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسـولَ اللَّـهِ ﷺ قـالَ لِـبلال: **«يَـا بِـلالُ حَدِّثْني بِأَرْجَى عَمَل عَمِلْتَهُ في الإِسْلامِ، فَإِنِّي سمِعْـتُ دَفَّ نَعْلَيْـكَ بـيْنَ يَـديَّ في الجَنَّة»** قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عنْدِي مِنْ أَنِّي لَم أَتَطَهَّرْ طُهُورًا في سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذلكَ الطُّهور ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ – متفقٌ عليـه. وهـذا لفـظ البخاري. «الدَّفُّ» بالفاءِ: صَوْتُ النَّعْـلِ وَحَرَكَتُـهُ عَلـى الأَرْضِ، وعـن أَبـي قتـادةَ رضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذا دَخَلَ أَحدُكم المسْـجِدَ، فَـلا يَجلِـسْ**

حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ» متفقٌ عليه. وعن جابِرٍ رضيَ اللَّه عنْهُ قـالَ: أَتيْـتُ النَّبِـيَّ ﷺ وهَو فِي المسْجدِ، فَقَالَ: **«صَلِّ ركْعَتَيْن»** متفقٌ عليه.

ولا تصح صلاة النافلة إذا كان هناك تهاون في أداء الفريضة، فمن صلى طول وقت الظهر صلوات نافلة دون أن يصلي الفريضة لم تسقط عنه الفريضة. ولكن ما نقص من كمال الفريضة فإنه يرجى أن تجبره النوافـل يـوم القيامـة، لمـا صـح عـن رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "إن أول مـا يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلـح وأنجـح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضة شيئًا، قال الـرب تبـارك وتعـالى: أنظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما أنتقص من الفريضـة، ثـم يكـون سـائر عمله على ذلك". وليس لكثرة صلاة النافلة حد، فالصلاة خير موضوع ولـو صـلى المرء مئات الركعات. فمن كان حريصًا على أداء الصلاة المفروضـة علـى أتم وجـه وحرص على السنن التي مرت في الأحاديث السابقة وقام بهـا علـى أكمـل وجـه، كان ممن توجه إلى الله من باب عظيم يرجى أن يدخله الله بها من باب الصلاة.



٢٥- باب كثرة السجود

حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي سَلْ فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ هُوَ ذَاكَ قَالَ "فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ" رواه مسلم.

ينبغي التمعن في هذا الحديث فهو يشير إلى مدى محبة الصحابي هذا والصحابة عامة لرسول الله ﷺ وحرصهم ليس على مرافقته وخدمته في هذه الدنيا بل في الجنة أيضًا. بل إن الطلب الوحيد الذي يسأله رسول الله ﷺ هو فقط مرافقته في الجنة.

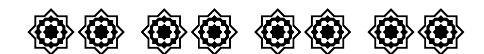
الأمر الثاني الذي يجب التنبيه عليه هو أن رسول الله ﷺ قبل الشفاعة للصحابي بأن يطلب من الله أن يكون رفيقه في الجنة، وإن هذا الطلب من الله تعالى له حد أدنى للإجابة وليس مطلقًا، فلذلك طلب من الصحابي أن يعينه على شفاعته له أمام الله تعالى بأن يكثر من السجود تقربًا إلى الله تعالى لكي يستحق أن يقبل الله شفاعة رسوله ﷺ فيه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **"أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء"** رواه مسلم.

وفي هذا دليل على أن حب صلاة التطوع والإكثار من السجود وكثرة الدعاء في السجود تُقرِّب أشواطًا من الله تعالى وهي باب عظيم من أبواب التوجه إلى الله تعالى.

ومما ورد في دعائه ﷺ في سجوده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده **"اللهم! اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، واجعل لي نورًا، أو قال واجعلني نورًا"** - رواه مسلم، وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ **يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة**

العشاء إلى أن ينصدع الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم من كل ثنتين ويوتر بواحدة ويمكث في سجوده قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فإذا سكت المؤذن بالأولى من صلاة الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن – رواه أبو داؤد وسكت عنه وقد قال في رسالته لأهل مكة ما سكت عنه فهو صالح، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ **كان يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره، وفي رواية: علانيته وسره** – رواه أبو داؤد وسكت عنه، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحكي عن النبي ﷺ **إذا ركع كان كلامه في ركوعه أن يقول اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وأنت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي له رب العالمين فإذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده ثم يتبعها اللهم ربنا ولك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد فإذا سجد قال في سجوده اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت وأنت ربي سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ويقول عند انصرافه من الصلاة اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت** – رواه الترمذي وقال حسن صحيح – وروى إبن عبد البر وصححه عن رسول الله ﷺ يقول في سجوده سجد وجهي للذي خلقه فشق سمعه وبصره.



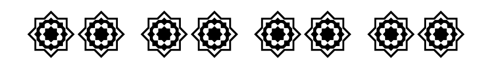
٢٦ - باب صلاة الجماعة

عن أَبي هُرَيْرة، رَضِيَ اللَّه عنْهُ، أَنَّ رَسُول اللَّه ﷺقال: **«لوْ يعلَمُ الناسُ ما في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُم لَمْ يجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهمُوا»** متفقٌ عليه.

وعنه أيضًا قال قال رسـول الله ﷺ: "**صلاة الرجل في جماعة تزيد على صـلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد،لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسـجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه**" رواه مسلم، وعن عثمان بن عفان رضي لله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء ثـم مشـى إلى الصـلاة المكتوبـة، فصلاها مع الناس أو مع الجماعة أو في المسجد، غفر الله له ذنوبه**" – رواه مسـلم، وعن القاسم أبو عبد الرحمن قـال دخـل رجـل المسـجد ولم يـدرك الصـلاة، فقـال رسول الله ﷺ: **ألا رجل يتصدق على هذا فتتم له صلاته؟ فقام رجل فصلى معه، فقال النبي ﷺ: وهذه من صلاة الجماعة** – رواه أبو داؤد في المراسيل. وعن أنس بن مالك رضي الله علنه أن رسول الله ﷺ قال: "**من صلى لله أربعين يومـا في جماعـه، يدرك التكبيرة الأولى، كتب له براءتان: براءة مـن النـار، و بـراءة مـن النفـاق**" – الجامع الصغير –

فـالحرص علـى صـلاة الجماعـة سـواء كانـت في المسـجد أو في البيـت أو في غيرهما يزيد من ثواب الصـلاة أضـعافًا مضـاعفة، ومـا أحـوج المـرء إلى مضـاعفة حسناته، فمن تضاعفت حسـناته نـال مكانـة خاصـة عنـد الله تعـالى. إن في صـلاة

الجماعة جمع للمسلمين وتوحيد لوجهتهم ووقوفهم صفًا واحدًا خلف إمام واحد وتراص في صفوفهم وملاصقة منكب بمنكب، كل هذا إذا استشعره المسلم يزيده تقربًا من الله تعالى ويجعله أكثر ارتباطًا بجماعة المسلمين وبالتآخي معهم وبالطاعة لمن ولوه أمرهم وكل هذه قربات ترفع من قدر المسلم وتقربه من الله تعالى.



٢٧- باب التعلق بالمساجد

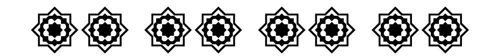
عن أَبي سعيدٍ الخدْرِيِّ رضيَ اللَّهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺقال: «**إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِد فاشْهدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ**» وقال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ**﴾ **[التوبة: ١٨]**- رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن أَبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنهُ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ غَدا إِلى المسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّه لهُ في الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**» متفق عليه. وعن أُبَيِّ بن كعْبٍ رضيَ اللَّه عنه قال: كانَ رجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ لا أَعْلم أَحدًا أَبْعدَ مِنَ المسْجِد مِنْهُ، وكَانَتْ لا تُخْطِئُهُ صَلاةٌ، فَقيلَ له: لو اشتَرَيْتَ حِمَارًا لِتَرْكَبَهُ في الظَّلْمَاءِ وفي الرَّمْضَاءِ قالَ: ما يَسُرُّني أَنَّ مَنْزلي إِلى جنْبِ المَسْجدِ، إِنِّي أُريدُ أَنْ يُكتَب لي مَمْشاي إِلى المسْجِدِ، ورجُوعِي إِذا رَجَعْتُ إِلى أَهْلي، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَدْ جَمَع اللَّه لكَ ذَلكَ كُلَّه**» رواه مسلم. وعن جابرٍ رضيَ اللَّه عنهُ قال: خَلَتِ البِقَاعُ حَوْلَ المسْجِد، فَأَرادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يْنتقلُوا قُرْبَ المَسْجِد، فَبَلَغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فقالَ لهم: «**بَلَغَني أَنَّكُمْ تُريدُونَ أَن تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِد؟ قالوا: نعم يَا رَسولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدنَا ذَلكَ، فقالَ: «بَنِي سَلمَةَ ديارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ، ديارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ» فقالوا: ما يَسُرُّنا أَنَّا كُنَّا تَحَوَلْنَا**: رواه مسلم، وروى البخاري معناه من رواية أنس. وعنْ أَبي موسى رضيَ اللَّه عنه قالَ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الناس أَجرًا في الصَّلاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْها مْشًى فَأَبْعَدُهُمْ. والَّذي يَنْتَظرُ الصَّلاَةَ حتَّى يُصلِّيها مَعَ الإِمامِ أَعْظَمُ أَجرًا مِنَ الذي يُصلِّيها ثُمَّ يَنَامُ**» متفقٌ عليه. وعن أَبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ قالَ: «**أَلا أَدُلُّكُمْ عَلى مَا يمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلى يا رسولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِسْباغُ الْوُضُوءِ عَلى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بعْد الصَّلاةِ، فَذلِكُمُ الرِّباطُ، فَذلكُمُ الرِّباطُ**» رواه مسلم.

ومعنى كثرة الخطا إلى المساجد تعني كثرة التردد إلى المساجد بحيث يعتاد المرء على صلاة الجماعة في المسجد وإن بعدت المسافة بين المسجد وداره. وعن أَبي هريرة رضيَ اللَّه عنهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«صَلاةُ الرَّجُلِ في جَماعةٍ تُضَعَّفُ عَلى صلاتِهِ في بَيْتِهِ وفي سُوقِهِ خمسًا وَعِشْرينَ ضِعفًا، وذلكَ أَنَّهُ إذا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خرَجَ إلى المَسْجِدِ، لا يُخْرِجُه إلاَّ الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوةً إلاَّ رُفِعَتْ لَه بهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنْه بهَا خَطِيئَةٌ، فَإذا صَلى لَمْ تَزَل المَلائِكَة تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ في مُصَلاَّه، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارحَمْهُ. وَلا يَزَالُ في صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ»** متفقٌ عليه. وهذا لفظ البخاري.

وفيما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: **سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: بينهم: ورجل قلبه معلق في المسجد** (رواه البخاري)، فتعلق القلب بالمسجد هو سبب الحصول على الظل يوم القيامة يوم لا ظل إلاّ ظل الله تعالى. وتعلق القلب بالمسجد يعني حب الصلاة في المساجد واستغلال الوقت للسعي نحوها وقضاء وقت فيها للصلاة أو الاعتكاف أو انتظار الصلاة أو سماع موعظة أو حضور حلقة علم أو ذكر لله تعالى أو تفكر في آلاء الله،

كل ذلك يفتح لمن قلبه معلق بالمساجد بابًا للتوجه إلى الله تعالى والله عنده حسن الثواب.

ومن التعلق بالمساجد كثرة الإعتكاف فيها فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه كان النبي ﷺ "**يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً**" رواه البخاري.



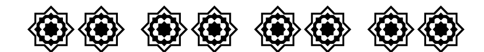
٢٨- باب السعي الى المساجد في الظلم

السعي لصلاتي العشاء والفجر والحرص عليهما جماعة في المسجد حث عليها رسول الله ﷺ فعن بُرَيدَةَ رضي اللَّه عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**بشِّروا المَشَائِينَ في الظُّلَمِ إلى المسَاجِدِ بِالنور التَّامِّ يَوْمَ القِيامَةِ**» رواه أبو داود والترمذي. وعن أَبي هُريرة رضيَ اللَّه عنهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**وَلَوْ يعْلَمُونَ مَا في العَتمَةِ والصُّبْحِ لأَتَوْهُما وَلَو حبْوًا**» متفقٌ عليه.

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله**. وعن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: "**من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم**" – رواه مسلم.

كما حذر من ترك هاتين الصلاتين في المساجد فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا**" – صحيح إبن ماجة.

فالحرص على صلاة العشاء والفجر جماعة في المسجد كفيلة بأن ينال صاحبه النور التام يوم القيامة الذي ينير له الدرب إلى الجنة.



٢٩- باب قيام الليل

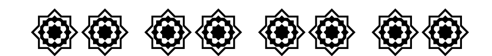
قال اللَّه تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ **[الإسراء: ٧٩]** وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ **[السجدة: ١٦]** وقال تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ **[الذاريات: ١٧]**.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل، وتكفير للذنوب، ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم»** – العراقي في تخريج الإحياء بإسناد حسن. وعَنْ جابرٍ رضِي اللَّه عنْهُ، قَالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«منْ خَافَ أَنْ لا يَقُوم مِنْ آخرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، ومنْ طمِع أَنْ يقُومَ آخِرَهُ، فَليوتِرْ آخِرِ اللَّيْل، فإِنَّ صلاة آخِرِ اللَّيْلِ مشْهُودةٌ، وذلكَ أَفضَلُ»** رواه مسلم. وَعَن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتى تَتَفطَّر قَدَمَاه، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رسُول اللَّهِ وَقد غُفِرَ لَكَ ما تَقدَّم مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: **«أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»** – متفقٌ عليه. وعَن سالِمِ بن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضِي اللَّه عَنْهُم، عَن أَبِيه: أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«نِعْمَ الرَّجلُ عبدُ اللَّهِ لَو كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» قالَ سالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بعْدَ ذلكَ لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ قَلِيلاً** – متفقٌ عليه. وَعن عبدِ اللَّهِ بن سَلاَمٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيْل وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ»** – رواهُ الترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وَعنْ أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَفْضَلُ الصيَّامِ بعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ المُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بعدَ الفَرِيضَةِ صَلاةُ اللَّيْل»** رواه مُسلِمٌ. وعنْ أَنَسٍ رضِي اللَّه عَنْهُ، قالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **يُفطِرُ**

منَ الشَّهْرِ حتَّى نَظُنَّ أَنْ لا يصوم مِنهُ، ويصَومُ حتَّى نَظُن أَن لا يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكانَ لا تَشَاءُ أَنْ تَراهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلا رَأَيْتَهُ، وَلا نَائمًا إِلا رَأَيْتَهُ - رواهُ البخاريُّ. وعَنْ حُذيفَةَ رَضِيَ اللَّه عنْهُ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ذاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَح البقَرَةَ، فقلتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ، ثُمَّ مضى، فقلتُ: يُصَلِّي بها في ركْعَةٍ، فمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بها، ثُمَّ افْتَتَح النِّسَاءَ فَقَرأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آل عِمْرَانَ، فَقَرَأَها، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً إِذا مَرَّ بِآيَةٍ فِيها تَسْبيحٌ سَبَّحَ، وَإِذا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وإذا مَرَّ بتَعوُّذ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فجعَل يَقُولُ: سُبْحَانَ ربِّي العظيمِ، فكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قال: سمِع اللَّه لِمَنْ حَمِدَه، رَبَّنَا لك الحَمْدُ، ثُمَّ قامَ طَويلاً قَرِيبًا مِمَّا ركع، ثُمَّ سَجد فَقَالَ: سُبْحانَ رَبِّيَ الأَعْلى فكَانَ سَجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم. وَعَنْ جابرٍ رضِي اللَّه عنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الصَّلاةِ أَفْضَلُ؟ قال: «طُولُ القُنُوتِ». رواه مسلم. المرادُ بِالقنُوتِ: القِيَامُ. وَعَنْ عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرو بنِ العَاصِ، رَضيَ اللَّه عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلى اللَّهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأَحبُّ الصيامِ إِلى اللَّهِ صِيامُ دَاوُدَ، كانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْل وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيصومُ يومًا وَيُفطِرُ يومًا» متفقٌ عليه. وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّه عنْهُ قَالَ: سمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «إِنَّ في اللَّيْلِ لَسَاعةً، لا يُوافقُهَا رَجُلٌ مُسلِمٌ يسأَلُ اللَّه تعالى خيرًا من أمرِ الدُّنيا وَالآخِرةَ إِلاَّ أَعْطاهُ إِيَّاهُ، وَذلكَ كلَّ لَيْلَةٍ» رواه مسلم. وَعَنْ أَبي هُريرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذا قَامَ أَحَدُكُم مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفتَتِح الصَّلاةَ بِركعَتَيْن خَفيفتيْنِ» رواهُ مسلِم. وعَنْ عائشة رضِي الله عنها، قالَتْ: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إِذا فاتتْهُ الصَّلاةُ من اللَّيل مِنْ وجعٍ أَوْ غيرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهارِ ثِنَتي عشَرة ركْعَة - رواه مسلِم. وعنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِي اللَّه عنْهُ قَال: قَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ نَام عن حِزْبِهِ أَو عَنْ شْيءٍ مِنهُ فَقَرأَهُ فِيما بينَ صَلاةَ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهْرِ، كُتِب لَهُ كأَنَّما قَرَأَهُ منَ اللَّيْلِ» رواه مسلم. وعَنْ أَبي هُريرة رَضِيَ اللَّه عنْهُ، قال: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رحِمَ اللَّه رَجُلا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فصلىَّ وأَيْقَظَ امرأَتهُ، فإِنْ أَبَتْ نَضح في وجْهِها

الماءَ، رَحِمَ اللَّهُ امرَأَةً قَامت مِن اللَّيْلِ فَصلَّتْ، وأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فإن أَبي نَضَحَتْ في وجْهِهِ الماءَ» رواهُ أبو داود. بإسنادٍ صحيحٍ. وَعنْهُ وَعنْ أَبي سَعيدٍ رَضِي اللَّه عنهمَا، قَالا: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذا أَيقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْل فصَلَّيا أَوْ صَلَّى ركْعَتَينِ جَمِيعًا، كُتِبَ في الذَّاكرِينَ وَالذَّكِراتِ»** رواه أبو داود بإسناد صحيحٍ. وعــن عائِشة رضِيَ اللَّه عَنْها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم قَالَ: **«إِذا نَعَس أَحَدُكُمْ في الصَّـلاةِ، فَلْيَرْقُـدْ حتـى يَذهَب عَنْهُ النَّومُ، فَإِنَّ أَحدكُمْ إذا صَلى وهو ناعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذهَبُ يَسـتَغفِرُ فَيَسُـبَّ نَفسهُ»** متفقٌ عليهِ. وعن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رضَيَ اللَّه عَنْهُمَا قـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَا عَبْدَ اللَّهِ لا تكن مِثْلَ فُلانٍ: كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْـلِ»** متفقٌ عليه.

فقيام الليل من أفضل أبواب التوجه إلى الله لأنـه أبعـد عـن الريـاء وأصـفى للنفس كي تناجي ربها وحدها في سكون الليل.



٣٠- باب الدعاء

الدعاء توجه إلى الله بطلب شيء ما، ولو لم يكن الداعي موقنًا بقدرة الله على إجابة دعائه وأنه وحده الذي يقدر على تحقيق ذلك لما توجه إلى ربه بالدعاء قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ **[النمل: ٦٢]**، فالداعي متوجه إلى الله طالما هو داع لله، والله قد تعهد بأنه قريب من الداعي حين قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ **[البقرة: ١٨٦]**، فكلما استكثر العبد من الدعاء كلما كان أكثر توجهًا إلى الله تعالى لأنه كلما كان في دعاء فهو في عبادة، فعَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **«الدُّعاءُ هوَ العِبَادةُ»**. رواه أبو داود والترمذي وقالا حديث حسن صحيح. والداعي مستجيب لأمر الله تعالى عباده بالدعاء حين قال ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ **[غافر: ٦٠]** وكلما كان حال الداعي أكثر تضرعًا كان أقرب من الله تعالى قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ **[الأعراف: ٥٥]**. وقال تعالى إخبارًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ **[إبراهيم: ٤١]**. قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ **[الكهف: ٢٨]**.

عنْ أُسامَةَ بْنِ زيْدٍ رضِيَ اللَّه عنْهُما قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: **«مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ**

معْرُوفٌ، فقالَ لِفَاعِلِهِ: جزَاكَ اللَّه خَيْرًا، فَقَد أَبْلَغَ في الثَّنَاءِ»- رواه الترمذي وقَالَ: حَدِيثٌ حسنٌ صَحِيحٌ.

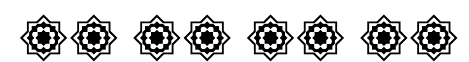
عَن جَابرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْه قال: قَال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لا تَدعُوا عَلى أَنْفُسِكُم، وَلا تدْعُوا عَلى أَولادِكُم، ولا تَدْعُوا على أَمْوَالِكُم، لا تُوافِقُوا مِنَ اللَّهِ ساعة يُسأَلُ فِيهَا عَطاءً، فَيسْتَجيبَ لَكُم»** رواه مسلم. وعن أَبي هُريرةَ رضي اللَّه عنهُ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«أَقْرَبُ ما يَكُونُ العَبْدُ مِن ربِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»** رواه مسلم. وَعَنْهُ أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُم ما لَم يعْجلْ: يقُولُ قَد دَعوتُ رَبِّي، فَلَم يستَجبْ لي»**- متفقٌ عليه، وفي رِوَايَةٍ لمُسْلِمٍ: **«لا يزَالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَم يدعُ بإِثمٍ، أَوْ قَطِيعةِ رَحِمٍ، ما لَمْ يَسْتعْجِلْ»** قِيلَ: يا رسُولَ اللَّهِ مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: **«يَقُولُ: قَدْ دعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَم أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْد ذلك، ويَدَعُ الدُّعَاءَ»**.

وَعَنْ أَبي أُمامَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمعُ؟ قَالَ: **«جوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المكْتُوباتِ»** رواه الترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ. وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضِي اللَّه عنْهُ أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَا عَلى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّه تَعالى بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللَّه إِيَّاهَا، أَوْ صَرَف عنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، ما لَم يدْعُ بإِثْم، أَوْ قَطِيعَةِ رحِمٍ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: «اللَّه أَكْثَرُ»**. رواه الترمذي وقال حَدِيثٌ حَسنٌ صَحِيحٌ: وَرَواهُ الحاكِمُ مِنْ روايةِ أَبي سعيدٍ وَزَاد فِيهِ: **«أَوْ يَدَّخر لهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَها»**. وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنْهُما أَنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ كَان يقُولُ عِنْد الكرْبِ: **«لا إِلَه إِلاَّ اللَّه العظِيمُ الحلِيمُ، لا إِله إِلاَّ اللَّه رَبُّ العَرْشِ العظِيمِ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه رَبُّ السموَاتِ، وربُّ الأَرْض، ورَبُّ العرشِ الكريمِ»** متفقٌ عليه.

والداعي لله معترف بقدرة الله على تحقيق ما يدعوه به ولا جناح عليه أن يكثر من الدعاء حتى أن النبي كان يحث على أن يسأل المرء ربه حتى في صغائر الأمور، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال **«ليسألن أحدكم**

ربه حاجته أو حوائجه كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع وحتى يسأله الملـح»
- الهيثمي في مجمع الزوائد ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة -

فالمكثر من الدعاء يتوجه إلى الله بدعائه وشعوره بالإفتقار إلى قـدرة الله وهـو باب عظيم من أبواب التوجه إلى الله تعالى، فمـن اعتـاد سـؤال الله في كـل أحوالـه ارتبط قلبه بالله في كل أوقاته وتذكر أن له ربًا قادرًا على إجابة حاجته مهما كانـت صغيرة. وينبغي ان يدعو الداعي لنفسه وكذلك يدعو لغيره وللمسلمين كافة فعَـن أَبي الدَّردَاءِ رَضِي اللَّه عنْهُ أَنَّهُ سمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«ما مِن عبْدٍ مُسْلِمٍ يَدعُو لأَخِيهِ بِظَهرِ الغَيْبِ إلاَّ قَالَ المَلكُ ولَكَ بمِثْلٍ»** رواه مسلم. وعَنْهُ أَنَّ رسُول اللَّـه ﷺ كانَ يقُولُ: **«دَعْوةُ المرءِ المُسْلِمِ لأَخيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابةٌ، عِنْد رأْسِهِ ملَكٌ مُوكَّلٌ كلَّمَا دعا لأَخِيهِ بخير قَال المَلَكُ المُوكَّلُ بِهِ: آمِينَ، ولَكَ بمِثْلٍ»** رواه مسلم.



٣١- باب الإستغفار

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ **[آل عمران: ١٦ - ١٧]**.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:«**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له**» رواه مسلم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**» رواه الترمذي. وأخرج مسلم في صحيحه من حديث معرور بن سويد عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا ومن تقرب منى ذراعًا تقربت منه باعًا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة**» - رواه البخاري-

وأخرج أحمد من طريق أخشن السدوسى قال: دخلت على أنس فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والذي نفسي بيده أو قال والذي نفس محمد بيده لو**

أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله عز وجل لغفر لكم والذي نفس محمد بيده أو والذي نفسي بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم» - مجمع الزوائد رجاله ثقات.

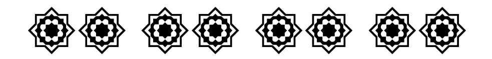
قال وهب بن منبه رضي الله عنه: أوحى الله إلى داؤود عليه السلام هل تدري من أغفر له ذنوبه من عبيدي؟ قال من هو يا رب؟ قال الذي إذا ذكر ذنوبه ارتعدت فرائصه، فذاك العبد الذي آمر ملائكتي أن تمحي عنه ذنوبه.

عن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني به وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته فإذا حلف لي صدقته وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلّا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]**». أخرجه أحمد والأربعة وصححه ابن حبان. وفي حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»، أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح الأسناد. وعن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**». رواه البخاري.

قال حذيفة «كنت رجلا ذرب اللسان على أهلي قلت يا رسول الله قد خشيت أن يدخلني لساني النار، قال النبي ﷺ: «**فأين أنت من الاستغفار؟ إني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة**»؛ رواه أحمد والحاكم والنسائى وابن حبان. واخرج

النسائى وابن ماجة عن عبدالله بن بسر قال: سمعت النبي ﷺ يقـول: **«طـوبى لمـن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا»** قال الهيثمى إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقـال الأمام النووي: جيد الإسناد. وجـاء في هـذا المعنـى حـديث الـزبير بـن العـوام أن رسول الله ﷺ قال: **«من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاسـتغفار»** رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وعن حديث عائشة رضي الله عنها عـن الـنبي ﷺ كان يقول: **«اللـهم اجعلـني مـن الـذين إذا أحسـنوا استبشـروا، وإذا أسـاءوا استغفروا»**، أخرجه أحمد وابن ماجة وابى يعلى.

فالمستغفرون الله كثيرًا موقنون أن لهم ربًا يغفر الذنوب وهذا اليقين هو الـذي يفتح لهم باب التوجه إلى الله من باب الاستغفار.



٣٢- باب الصيام

باب الصيام يدخل منه من أدّى حق صيام رمضان حق قيامه مبتعدًا عن الرفث وغض بصره وحفظ لسانه وأحب الصيام وحرص على الإكثار منه كصيام يوم عرفة وعاشوراء وستة أيام من شوال والأيام الثلاثة التي تسمى بالأيام البيض من كل شهر (أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري) والإثنين والخميس والإكثار من الصيام في رجب وشعبان أو صيام يوم وإفطار يوم طيلة السنة. والداخل من باب الصيام يعرف بصبره وغض بصره وحفظ لسانه والسماحة مع غيره وحسن خلقه والإكثار من عمل الخير وهكذا يكون باب الصيام مدخلاً لعمل خيرات كثيرة. وباب الصيام في الجنة يدعى الريان فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: **«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْن في سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْواب الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هذا خَيْرٌ، فَمَنْ كَان مِنْ أَهْلِ الصَلاةِ دُعِي مِنْ باب الصَّلاةِ، ومَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِي مِنْ باب الجِهَادِ، ومَنْ كَانَ مِنْ أَهْل الصِّيامِ دُعِيَ مِنْ باب الرَّيَّانِ ومنْ كَانَ مِنْ أَهْل الصَّدقَة دُعِي مِنْ باب الصَّدقَةِ»** قال أبو بكر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: بأَبي أَنت وأُمِّي يا رسولَ اللَّه ما عَلى مَنْ دُعِي مِنْ تِلكَ الأَبْوابِ مِنْ ضَرُورةٍ، فهلْ يُدْعى أَحدٌ مِنْ تلك الأَبْوابِ كلِّها؟ قال: **«نَعَم وَأَرْجُو أَنْ تكُونَ مِنهم»** متفقٌ عليه. وعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي اللَّه عنهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: **«إِنَّ فِي الجَنَّة بابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يدْخُلُ مِنْهُ الصَّائمونَ يومَ القِيامةِ، لا يدخلُ مِنْه أَحدٌ غَيرهُم، يقالُ: أَينَ الصَّائمُونَ؟ فيقومونَ لا يدخلُ مِنهُ أَحَدٌ غيرهم، فإِذا دَخَلوا أُغلِقَ فَلَم يدخلْ مِنْهُ أَحَدٌ»** متفقٌ عليه.

قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قال اللَّه عَزَّ وجلَّ: كُلُّ عملِ ابْنِ آدم لهُ إِلاَّ الصِّيام، فَإِنَّهُ لي وأَنَا أَجْزِي بِهِ، والصِّيام جُنَّةٌ فَإِذا كَانَ يوْمُ صوْمِ أَحدِكُمْ فلا يرْفُثْ ولا يَصْخَبْ، فَإِنْ سابَّهُ أَحدٌ أَوْ قاتَلَهُ، فَلْيقُلْ: إِنِّي صَائمٌ ـ والَّذِي نَفْس محَمَّدٍ بِيدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ**

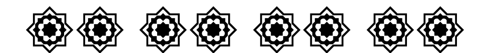
الصَّائمِ أَطْيبُ عِنْد اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، للصَّائمِ فَرْحَتَانِ يفرحُهُما: إذا أَفْطرَ فَرِحَ بفِطْرِهِ، وإذَا لَقي ربَّهُ فرِح بِصوْمِهِ» متفقٌ عليه – وهذا لفظ روايةِ الْبُخَاري. وفي رواية له: **«يتْرُكُ طَعامَهُ، وَشَرابَهُ، وشَهْوتَهُ، مِنْ أَجْلي، الصِّيامُ لي وأَنا أَجْزي بِهِ، والحسنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»**. وفي رواية لمسلم: **«كُلُّ عَملِ ابنِ آدَمَ يُضَاعفُ الحسَنَةُ بِعشْرِ أَمْثَالِهَا إِلى سَبْعِمِائة ضِعْفٍ، قال اللَّه تعالى: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وأَنا أَجْزي بِهِ، يدعُ شَهْوتَهُ وَطَعامَهُ مِنْ أَجْلي، لِلصَّائم فَرْحتَانِ: فرحة عند فطره وفَرْحةٌ عِنْدَ لقَاء رَبِّهِ، ولَخُلُوفُ فيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ريحِ المِسْكِ»**.

وعَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضيَ اللَّه عنهُ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ: **«مَا مِنْ عبْدٍ يصُومُ يَومًا في سبِيلِ اللَّه إِلاَّ باعَدَ اللَّه بِذلك اليَومِ وجهَهُ عَن النَّارِ سبعينَ خرِيفًا»** متفقٌ عليه. وعنْ أَنسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«تَسَحَّرُوا فَإِنَّ في السُّحُورِ بَركَةً»** متفقٌ عليه.

وعَنْ أَبي هُريرَةَ أيضًا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **«أَفْضَلُ الصِّيَامِ بعْدَ رَمضَانَ: شَهْرُ اللَّهِ المحرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْد الفَرِيضَةِ: صَلاةُ اللَّيْلِ»** رواه مسلمٌ. وعَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قالَتْ: **لَمْ يَكُنِ النبيُّ ﷺ يَصُوم مِنْ شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّه كانَ يَصُوم شَعْبَانَ كلَّه، وفي رواية: كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** – متفقٌ عليه.

وعن مجيبَةَ البَاهِلِيَّةِ عَنْ أَبِيهَا أَوْ عمِّها، أَنَّهُ أَتى رَسولَ اللَّه ﷺ، ثُمَّ انطَلَقَ فَأَتَاهُ بعدَ سَنَة، وَقَد تَغَيَّرتْ حَالهُ وَهَيْئَتُه، فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تعْرِفُنِي؟ قَالَ: **«وَمَنْ أَنتَ؟» قَالَ: أَنَا البَاهِلِيُّ الذي جِئتك عامَ الأَوَّل، قَالَ: «فَمَا غَيَّرَكَ، وقَدْ كُنتَ حَسَنَ الهَيئةِ؟» قَالَ: ما أَكلتُ طعامًا منذ فَارقْتُكَ إِلاَّ بلَيْلٍ، فَقَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَذّبْتَ نَفسَكَ»، ثُمَّ قَالَ: «صُمْ شَهرَ الصَّبرِ، ويومًا مِنْ كلِّ شَهر» قال: زِدْني، فإِنَّ بي قوَّةً، قَالَ: «صُمْ يَومَيْنِ» قال: زِدْني، قال: «صُمْ ثلاثَةَ أَيَّامٍ» قالَ: زِدْني. قال: صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتْرُكْ، صُمْ مِنَ الحرُم وَاترُكْ، صُمْ مِنَ الحرُمِ وَاتْرُكْ» وقالَ بِأَصَابِعِهِ الثَّلاثِ فَضَمَّهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا** – رواه أبو داود. و«شهرُ الصَّبرِ»: رَمضانُ. وعن ابنِ عبَّاسٍ

رَضيَ اللَّه عَنْهُمَا قالَ قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«ما مِنْ أَيامٍ العَمَلُ الصَّالحُ فِيها أَحَبُّ إِلى اللَّهِ مِنْ هذِهِ الأَيَّامِ»** يعني: أَيامَ العشرِ، قالوا: يا رسول اللَّهِ وَلا الجهادُ في سبِيلِ اللَّهِ؟ قالَ: **«ولا الجهادُ في سبِيلِ اللَّهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرجَ بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ فَلَم يَرجِعْ مِنْ ذلك بِشَيءٍ»** رواه البخاريُّ. وعنْ أَبي قَتَادةَ رضِي اللَّه عَنْهُ، قالَ: **سئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ: عَنْ صَوْمِ يوْمِ عَرَفَةَ؟ قال: «يكفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيةَ وَالبَاقِيَةَ»** رواه مسلمٌ. وعنْ ابنِ عباسٍ رضيَ اللَّه عنهما، **أَنَّ رَسول اللَّهِ ﷺ صَامَ يوْمَ عاشوراءَ، وأَمَرَ بِصِيَامِهِ** – متفقٌ عليه. وعنْ أَبي قَتَادةَ رضيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عاشُوراءِ، فَقَال: **«يُكفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ»** رواه مُسْلِمٌ. وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عنْهُمَا، قَالَ: قالَ رسُول اللَّهِ ﷺ: **«لَئِنْ بَقِيتُ إِلى قَابِلٍ لأصُومَنَّ التَّاسِعَ»** رواهُ مُسْلِمٌ. وعَنْ أَبي أَيوبِ رضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ صَامَ رَمَضانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كانَ كصِيَامِ الدَّهْرِ»** رواهُ مُسْلِمٌ. وعن أَبي قَتَادَة رَضِيَ اللَّه عنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ فقالَ: **«ذلكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنزلَ عليَّ فِيهِ»** رواه مسلمٌ. وعَنْ أَبي هُريْرَةَ رَضِيَ اللَّه عنه، عَنْ رسول اللَّهِ ﷺ قالَ: **«تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يوْمَ الاثنَيْن والخَميسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَملي وَأَنَا صَائِمٌ»** رَواهُ التِرْمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ، وَعَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا، قَالَتْ: **كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَحَرَّى صَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالخَميسِ** – رواه الترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ. وعن أَبي هُريرةَ رضِيَ اللَّه عَنْهُ قال: **أَوْصَاني خلِيلي ﷺ، بثَلاثٍ: صِيَامِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِن كلِّ شَهرٍ، وَرَكعَتَي الضُحى، وأَن أُوتِر قَبْلَ أَنْ أَنامَ** – متفقٌ عليه. وعنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّه عنهُ، قَالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثًا، فَصُمْ ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبعَ عَشْرَةَ، وخَمْسَ عَشْرَةَ»** رواه الترمِذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.



٣٣- باب قيام رمضان

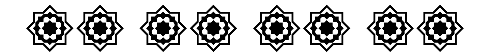
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة. فيقول: "**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه**"، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك. ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر على ذلك - رواه مسلم.

وعن عبد الرحمن بن عبد القاري أن عمر خرج ليلة في شهر رمضان وهو معه، فرأى أهل المسجد يصلون أوزاعًا متفرقين، فأمر أبي بن كعب أن يقوم بهم في شهر رمضان، فخرج عمر والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال: نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكانوا يقومون في أوله، - ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير بإسناده حسن.

والمقصود هنا بقيام رمضان صلاة القيام أو صلاة التراويح، لكن قيام الليل بشكل عام يشمل الصلاة والعبادة في أي وقت من الليل سواء أول الليل أو أوسطه أو آخره وسواء صلاة التراويح أو التهجد أو التطوع.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال "**كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان**" رواه البخاري

فقيام ليالي شهر رمضان واعتكاف نهاره بصدق يشمل توبة نصوحة مما مضى من الخطايا والعزم على اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر ومعاهدة الله تعالى أن يكون قابل أيامه خيرًا من ماضيها في عبادته ومعاملاته مع الناس وفي أخلاقه وأن يكون صيام رمضان على أتمه من اجتناب للرفث وحفظ البصر والجوارح فمن فعل ذلك فقد أدّى حق القيام وبذلك استحق أن يكون هذا القيام بابًا يتوجه فيه إلى الله تعالى.



٣٤ - باب قيام ليلة القدر

قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ **[القدْر: ٣]**.

سميت ليلة القدر من القدر وهو الشرف كما تقول فلان ذو قدر عظيم، أي ذو شرفولأن للعبادة فيها قدر عظيم لقول النبي ﷺ **(من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه)** - متفق عليه، وعن أبي هريرة رضي الله علنه قال قال رسول الله ﷺ: **"من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"** – صحيح النسائي.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **(تحروا ليلة القدر في الوتر، من العشر الأواخر من رمضان)** - رواه البخاري. وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالت: **كان رَسُول اللَّهِ ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره** - رَوَاهُ مُسلِمٌ.

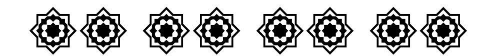
ولله حكمة بالغة في إخفائها عنا، فلو تيقنا أي ليلة هي لتراخت العزائم طوال رمضان، واكتفت بإحياء تلك الليلة، فكان إخفاؤها حافزًا للعمل في الشهر كله، ومضاعفته في العشر الأواخر منه، وفي هذا خير كثير للفرد وللجماعة. وهذا كما أخفى الله تعالى عنا ساعة الإجابة في يوم الجمعة، لندعوه في اليوم كله، وأخفى اسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب لندعوه بأسمائه الحسنى جميعًا.

إن قيام ليلة القدر يحتاج إلى مقدمات لكي تستجاب فيها الدعوات فكيف يستجيب الله لمن مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب له**!** وكيف يستجاب لظالم غمط حقوق الناس وهو مصرّ على ظلمة وجوره**!**

وينبغي للإنسان أن يشغل عامة وقته في ليلة القدر بالدعاء والصلاة، قال

الشـافعي: اسـتحب أن يكـون اجتهـاده في نهارهـا، كاجتهـاده في ليلـها. وقـال سفيان الثوري: "**الدعاء في الليلة أحب إلي من الصلاة**". وقال النـووي: ويُسـتحب أن يُكثر فيها من الدعوات بمهمـات المسـلمين، فهـذا شـعار الصـالحين، وعبـاد الله العارفين" ا.هـ.

وروى أحمد، وأبن ماجه والترمذي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يـا رسول الله**!** أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال قـولي: اللـهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

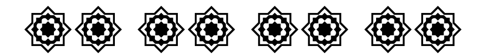


٣٥- باب الحج والعمرة

في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: **سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد فى سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور** متفق عليه. وفي الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ: **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.** وعند الترمذي وصححه عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكيرخبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة جزاء إلا الجنة.** وعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال: **ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟** أخرجه مسلم. ووفي صحيح مسلم أيضًا أنه – ﷺ- قال لعمرو بن العاص: **" أما علمتَ أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟"** أخرجه مسلم

ولما سألت عائشة رسول الله ﷺ عن الجهاد، قالت: **"نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟" قال: "لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور"** البخاري (٢٧٨٤)، وفي رواية عند أحمد بسند صحيح قال – ﷺ-: **"عليهن جهاد لا قتال فيه؛ الحج والعمرة"**

الحج والعمرة بالنفقة الحلال الخالصة وبأداء تام دون فسوق أو رفث أو جدال مع توبة من الكبائر وعدم إصرار على الصغائر باب عظيم من أبواب التوجه إلى الله تعالى وليس جزاء لهما إلا الجنة. ومن اعتاد المتابعة بين الحج والعمرة وحرص على العمرة في رجب أو رمضان وأكثر من زيارة مسجد قباء وأكثر من الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي نال بكل واحدة من هذه ثوابًا عظيمًا وازداد قربًا من الله تعالى وكان ممن توجه إلى الله من باب الحج والعمرة.



٣٦- باب القرآن

صاحب القرآن ذو مكانة خاصة عند الله بما يحمل في جوفه. قال ﷺ: **«خَيرُكُم مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعلَّمهُ»** رواه البخاري. وقال: **«اقْرَؤُا القُرْآنَ فإِنَّهُ يَأْتي يَوْم القيامةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ»** رواه مسلم. وقال: **«يُؤْتى يوْمَ القِيامةِ بالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الذِين كانُوا يعْمَلُونَ بِهِ في الدُّنيَا تَقدُمُهُ سورة البقَرَةِ وَآل عِمرَانَ، تحَاجَّانِ عَنْ صاحِبِهِمَا»** رواه مسلم. وقال: **«يُقَالُ لِصاحبِ الْقُرَآنِ: اقْرأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا، فَإِنَّ منْزِلَتَكَ عِنْد آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا»** رواه أبو داود، والترْمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وأورد الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله اهلين من الناس قيل: من هم يا رسول الله قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته. وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو أن النبى ﷺ قال: **"الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه قال فيشفعان**".

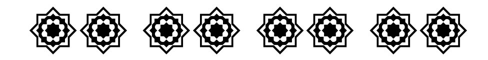
وهذا الحديث من أوضح الإشارات إلى أن القرآن من أهم أبواب التوجه إلى الله فهو كلام الله وهل في التقرب إلى الله بتعظيم كلامه من شك.

وصاحب القرآن هو من يشغف بحب القرآن وبحفظه وبتلاوته. وحين يقرأ القرآن يعتبر نفسه هو المخاطب من الله بكل أمر ونهي وهو يسعى لتطبيق هذه الأوامر واجتناب النواهي ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وهو يسعى للتخلق بكل خلق مدحه الله تعالى بكتابه واجتناب كل خلق ذمه الله تعالى في كتابه.

وعنْ أَنسٍ رضي اللَّهُ عنهُ أَنَّ رجُلا قال: **يا رسول اللَّهِ إِني أُحِبُّ هذِهِ السُّورَةَ: قُلْ هُوَ اللَّه أَحدٌ، قال: «إِنَّ حُبَّها أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ»** رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسن.

رواه البخاري في صحيحه تعليقًا. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«مِنَ القُرْآنِ سُورَةٌ ثَلاثُونَ آيَةً شَفعتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وهِيَ: تبارَكَ الذِي بِيَدِهِ المُلْكُ»** - رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن. وفي رواية أبي داود: «تَشْفَعُ».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفرطون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون.



٣٧- باب التمسك بالسنة

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ **[الحشر: ٧]**، وقال تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ**﴾ **[النجم: ٣ - ٤]**، وقال تعالى: ﴿**قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ**﴾ **[آل عمران: ٣١]**، وقال تعالى: ﴿**لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا**﴾ **[الأحزاب: ٢١]**، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ **[النساء: ٦٥]**، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ **[النساء: ٥٩]**.

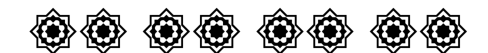
على المسلم أن يحرص على أداء الفرائض التي فرض الله تعالى بالصيغة التي أمر الله بها على لسان رسوله ﷺ وأن يجتنب النواهي، فإذا قام من ذلك فللسنن والنوافل مجال كبير لكي يتخير منها ما يستطيع. عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**دَعُونِي ما تَركتُكُم: إنَّما أَهلَكَ من كانَ قبْلكُم كَثْرةُ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبيائِهِمْ، فَإِذا نَهَيْتُكُمْ عنْ شَيْءٍ فاجْتَنِبُوهُ، وَإِذا أَمَرْتُكُمْ بأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ**» متفقٌ عليه. وعَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَة رضي اللَّه عنه قال: وَعَظَنَا رسولُ اللَّه ﷺ مَوْعِظَةً بليغةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُون، فقُلْنَا: يا رَسولَ اللَّه كَأَنَها موْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا. قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوى اللَّه، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وإِنْ تَأَمَّر عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حبشيٌّ، وَأَنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيرى اخْتِلافًا كثِيرا، فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وإِيَّاكُمْ ومُحْدثَاتِ الأُمُور فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**» رواه أبو داود والترمذِي وقال حديث حسن صحيح. «النَّواجِذُ»: الأَنْيابُ، وقيلَ: الأَضْرَاسُ. وعَنْ أَبِي هريرة

رضي اللَّه عنه أَن رسول اللَّه ﷺ قالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يدْخُلُونَ الْجنَّةَ إلاَّ مَنْ أَبِي**». قِيلَ وَمَنْ يَأَبى يا رسول اللَّه؟ قالَ: «**منْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجنَّةَ، ومنْ عصَانِي فَقَدْ أَبِي**» رواه البخاري. وعنْ عابسٍ بن ربيعةَ قال: رَأَيْتُ عُمَرَ بنَ الخطاب، رضي اللَّه عنه، **يُقَبِّلُ الْحَجَرَ يَعْنِي الأَسْوَدَ ويَقُولُ: إني أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ، ولَوْلا أَنِّي رأَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ، يُقَبِّلُكَ ماَ قَبَّلْتُكَ** - متفقٌ عليه. وعن جابرٍ، رضي اللَّه عنه، قال: **كان رسولُ اللَّه ﷺ، إذَا خَطَب احْمرَّتْ عيْنَاهُ، وعَلا صوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبهُ، حتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ ومَسَّاكُمْ» وَيقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعةُ كَهَاتيْن» وَيَقْرِنُ بين أُصْبُعَيْهِ، السبَابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيرَ الْحَديثَ كِتَابُ اللَّه، وخَيْرَ الْهَدْى هدْيُ مُحمَّد ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدثَاتُهَا وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**» رواه مسلم.

قال أحمد بن عطاء الله رضي الله عنه من ألزم نفسه بآداب السنة عمّر الله تعالى قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "**من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد**" - الترغيب والترهيب بإسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما-

فالتوجه إلى الله من باب التمسك بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام عمليًا من أهم أبواب التوجه إلى الله. لكن ينبغي عدم الشطط في التمسك بسنة تؤدي إلى ترك فريضة. ويتبع التمسك بالسنة تعلم أحاديث الرسول ﷺ وتعليمها والعناية بها رواية وسندًا ومتنًا وتحقيقًا ونشرًا فخدمة الحديث تعظيم لسنته ﷺ ويتبع ذلك علم الجرح والتعديل وكل ما يخدم حفظ السنة.



٣٨- باب العلم

قال اللـه تعـالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ **[طه: ١١٤]**. وقـال تعـالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ **[الزُّمَر: ٩]**. وقال تعـالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ **[فاطر: ٢٨]**.

عَنْ مُعاوِيةَ رضي اللَّه عنهُ، قال: قَال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ يُرِد اللَّه بِـهِ خيْـرًا يُفقِّهْهُ في الدِّينِ»** متفقٌ عليه. وعنْ ابنِ مسْعُودٍ، رضي اللَّه عنْه، قَال: قَال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لا حَسَد إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّه مَالاً فَسلَّطهُ عَلى هلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّه الحِكْمَةَ فهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا»** مُتَّفَقٌ عَليهِ. والمرادُ بالحسدِ هنـا الْغِبْطَـةُ، وَهُوَ أنْ يتَمنَّى مثْلَهُ. وعَنْ سَهْلِ بن سعدٍ رضي اللَّـه عنْـهُ أنَّ الـنبي ﷺ قَـالَ لِعَلـيًّ رضي اللَّه عنْهُ: **«فو اللَّهِ لأنْ يهْدِيَ اللَّه بِكَ رجُلاً واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم»** متفقٌ عليهِ. وعنْ أبي هُريرةَ رضي اللَّه عَنْهُ أنَّ رسُـول اللَّـه ﷺ، قـالَ: **«.... ومَـنْ سلَك طرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سهَّلَ اللَّه لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ»** رواهُ مسـلمٌ. وَعَنـهُ أيضًا أنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: **«مَنْ دعا إلى هُدىً كانَ لهُ مِنَ الأَجْر مِثْلُ أُجـورِ مـنْ تَبِعهُ لا ينْقُصُ ذلكَ من أُجُورهِم شَيْئًا»** رواهُ مسلمٌ. وعنْهُ قال قَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: **«إذا ماتَ ابْنُ آدَم انْقطَع عَملُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدقَةٍ جارية، أوْ عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِـهِ، أوْ وَلدٍ صالحٍ يدْعُو لَهُ»** رواهُ مسلمٌ. وَعَنْ أنسٍ، رضي اللَّه عنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: **«مَن خرَج في طَلَبِ العِلمِ، فهو في سَبيلِ اللَّهِ حتى يرجِعَ» رواهُ التِّرْمِذيُّ وقال: حديثٌ حَسنٌ. وعَنْ أَبي أُمَامة، رضي اللَّه عنْهُ، أنَّ رَسُول اللَّـه ﷺ قـال: «فضْـلُ الْعالِم على الْعابِدِ كَفَضْلي على أَدْنَاكُمْ»** ثُمَّ قال: رسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إنَّ اللَّه وملائِكَتَهُ وأَهْلَ السَّمواتِ والأرضِ حتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا وحتـى الحُـوتَ لَيُصَـلُّونَ عَلـى مُعلِّمِي النَّاسِ الخَيْرْ»** رواهُ الترمذي وقالَ: حَديثٌ حَسنٌ. وَعَنْ أبي الدَّرْداءِ، رضي اللَّه عَنْهُ، قَال: سمِعْتُ رَسُول اللَّهِ ﷺ يقولُ: **«منْ سـلك طَرِيقًـا يَبْتَغِـي فِيـهِ علْمًـا**

سهَّل اللَّه لَه طَرِيقًا إلى الجنةِ، وَإنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضًا بِما يَصْنَعُ، وَإنَّ الْعالِم لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ منْ في السَّمَواتِ ومنْ في الأرْضِ حتَّى الحِيتانُ في الماءِ، وفَضْلُ الْعَالِم على الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمر عَلى سائر الْكَوَاكِبِ، وإنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأنْبِياءِ وإنَّ الأنْبياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وإنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ، فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ». رواهُ أبو داود والترمذيُّ. وعنِ ابن مسْعُودٍ، رضي اللَّه عنْهُ، قال: سمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: **«نَضَّرَ اللَّه امْرءًا سمِع مِنا شَيْئًا، فبَلَّغَهُ كما سَمِعَهُ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعى مِنْ سَامِعٍ».** رواهُ الترمذيُّ وقال: حديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ. وعنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«منْ تَعلَّمَ عِلمًا مِما يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عز وَجَلَّ لا يَتعلَّمُهُ إلا ليصِيبَ بِهِ عرضًا مِنَ الدُّنْيا لَمْ يجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يوْم القِيامةِ»** يعني: ريحها، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

حقيقة العلم النافع هو الفقه، وليس المقصود علم الفقه ولكن الفهم الذي يزيد المرء خشية لله وحبًا له وانقيادًا لطاعته. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يحسنه صدقة، وبذله لأهله قربة، به يُعرف الله ويُعبد، وبه يُوحَد، وبه يُعرف الحلال من الحرام، وتوصل الأرحام، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء، والمعين على الضراء، والوزير عند الأخلاء، والقريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة وسادة يقتدى بهم، أدلة في الخير تقتص آثارهم، وترمق أفعالهم، وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها، والعلم حياة القلوب من العمى، ونور للأبصار من الظلم، وقوة للأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلا، والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، وهو إمام للعمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء.

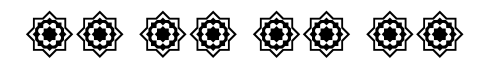
قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب. وقال العلم نفور، لا يأنس إلاّ بقلب تقي خاشع. وقال لبعض بني أخيه: إذا تعلمت علمًا من طاعة الله فليُرَ ذلك عليك أثره، وليُرَ فيك سمته وتعلم لذلك العلم الذي تعلمته السكينة والحلم والوقار.

العالم العامل برضوان الله، المؤثر للآخرة على الدنيا خليفة من خلفاء رسول الله ﷺ في تبليغ ما أنزل الله عليه وهو بذلك يكون رفيقًا لرسول الله يوم القيامة على منابر من نور يكرمه الله بكرمه ويشفعه في الأقارب والأباعد على قدر ما بلغ مما آتاه الله من علم وقدر ما أخلص في ذلك التبليغ وقدر ما عمل بما علم.

لب العلم هو ما دل على وحدانية الله وقرّب العبد من مولاه معرفة وطاعة وذلاً وعبودية. ويشمل كذلك ما خدم هذا الغرض بشكل مباشر وغير مباشر من علوم التفسير والحديث والفقه وغيرها. ويجب في تعلم وتعليم هذه العلوم صدق النية والإخلاص أن تكون لوجه الله تعالى. أما العلوم التي تخدم الإنسان في حياته فهي من العلم ايضًا. قال تعالى عن داؤد عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ **[الأنبياء: ٨٠]**، فتعلم صناعة ما مما يخدم بني آدم في حياتهم هو علم على المسلمين تعلّمه لقيام حياتهم ودفع الضرر عنهم، واكتفائهم لكي يقل اعتمادهم على غيرهم ومن قام به ابتغاء وجه الله كان تعلمه وتعليمه عبادة. وإذا ما احتاج المسلمون صناعة أو مهنة ما، وجب عليهم استنفار ملأ منهم قدر ما تسد به الحاجة وكان عمل هؤلاء فرض كفاية إن قاموا به سقط الواجب عن الأمة، أما إن لم يقم به أحد أثمت الأمة في أنها لم تستنفر من بين أبنائها من يقوم بهذا الواجب.

فالقائمون على العلم الشرعي أو العلم الدنيوي إن هم نووا بذلك وجه الله وأحسنوا القيام بواجبهم تعلمًا وتعليمًا وتطبيقاً كانوا ممن يتوجه إلى الله من باب

العلـم. وهـذا يشـمل كـل مؤسسـات التعلـيم مـن مـدارس ومعاهـد وجامعـات ومؤسسات بحث علمي ومختـبرات ومؤسسـات تطـوير لتحويـل العلـم إلى تطبيـق عملي والمؤسسات التربوية والإعلامية وشركات إنتاج الـبرامج والأفـلام العلميـة وغيرها مما يخدم العلم أو المجتمع عن طريق العلم.



٣٩- باب الدعوة إلى الله

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال اللَّه تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ **[آل عمران: ١٠٤]**. وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾**[آل عمران: ١١٠]**. وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ **[الأعراف: ١٩٩]**. وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ **[التوبة: ٧١]**. وقال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ **[الحجر: ٩٤]**. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾**[الأعراف: ١٦٥]**. وقال تعالى:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ **[فُصِّلَت: ٣٣]**.

عن أَبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي اللَّه عنه قال: سمِعْتُ رسُولَ اللَّـه ﷺ يقُـولُ: **«مَـنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكرًا فَلْيغيِّرْهُ بِيدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطعْ فبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبقَلبِـهِ وَذَلَـكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ»** رواه مسلم. وعن ابنِ مسْعُودٍ رضي اللَّه عنه أَنَّ رسولَ اللَّـه ﷺ قـال: **«مَا مِنَ نَبِيٍّ بعَثَهُ اللَّه في أُمَّةٍ قَبْلِي إلاَّ كان لَه مِن أُمَّتِهِ حواريُّـون وأَصْـحَابٌ يأْخـذون بِسُنَّتِهِ ويقْتدُون بأَمْرِه، ثُمَّ إِنَّهـا تَخْلُـفُ مِـنْ بعْـدِهِمْ خُلُـوفٌ يقُولُـون مَـالاَ يفْعلُـونَ، ويفْعَلُون مَالاَ يُؤْمَرون، فَمَنْ جاهدهُم بِيَدِهِ فَهُـو مُـؤْمِنٌ، وَمَـنْ جاهـدهم بقَلْبِـهِ فَهُـو مُؤْمِنٌ، ومَنْ جَاهَدهُمْ بِلِسانِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وليس وراءَ ذلِك مِن الإِيمـانِ حبَّـةُ خـرْدلٍ»** رواه مسلم. وعن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رضي اللَّه عنه قال: **«بايعنا رسول اللَّـه ﷺ علـى**

السَّمعِ والطَّاعَةِ في العُسْرِ وَاليُسْرِ والمَنْشَطِ والمَكْرَهِ، وَعلى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وعَلَى أَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدكُمْ مِنَ اللَّه تعالَى فيه بُرهانٌ، وعلى أن نقول بالحقِّ أَينَما كُنَّا لا نخافُ في اللَّه لَوْمَةَ لائم» متفقٌ عليه. «المَنْشَط والمَكْره» أَيْ: في السَّهْلِ والصَّعْبِ. «بوَاحًا» أَيْ ظَاهِرًا لاَ يَحْتَمِلُ تَأْوِيلاً.

وعن النعْمان بن بَشيرٍ رضي اللَّه عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: **«مَثَلُ القَائِمِ في حُدودِ اللَّه، والْوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سفينةٍ فصارَ بعضُهم أعلاهَا وبعضُهم أسفلَها وكانَ الذينَ في أسفلها إذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجوْا ونجوْا جَمِيعًا». رواهُ البخاري. القَائمُ في حُدودِ اللَّه تعَالى»** مَعْنَاهُ: المُنْكِرُ لها، القَائمُ في دفعِهَا وإِزالَتِهَا والمُرادُ بِالحُدودِ: مَا نهى اللَّه عَنْهُ: «اسْتَهَمُوا»: اقْتَرعُوا.

وعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَة هِنْدٍ بنتِ أَبِي أُمَيَّةَ حُذيْفَةَ رضي اللَّه عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّهُ يُسْتَعْملُ عَلَيْكُمْ أُمراءُ فَتَعْرِفُونَ وتُنكِرُونَ فَمنْ كَره فقَدْ برِىءَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ منْ رَضِيَ وَتَابعَ» قالوا: يا رَسُولَ اللَّه أَلاَ نُقَاتِلُهُم؟ قَالَ: «لاَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلاَةَ» رواه مسلم. مَعْنَاهُ: مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ ولَمْ يَسْتطِعْ إنْكَارًا بِيدٍ وَلا لِسَانٍ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الإِثمِ وَأَدَّى وَظِيفَتَهُ، ومَنْ أَنْكَرَ بَحَسَبِ طَاقَتِهِ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ هَذِهِ المعصيةِ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعْلِهِمْ وتابعهم، فَهُوَ العَاصي. وعنْ أَبِي سَعيد الْخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِيَّاكُم وَالْجُلُوسَ في الطرُقاتِ» فقَالُوا: يَا رسَولَ اللَّه مَالَنَا مِنْ مَجالِسنَا بُدٌّ، نَتحدَّثُ فِيهَا، فقال رسول اللَّه ﷺ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إلاَّ الْمَجْلِس فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قالوا: ومَا حَقُّ الطَّرِيقِ يا رسولَ اللَّه؟ قالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وكَفُّ الأَذَى، وردُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بالْمعْروفِ، والنَّهْيُ عنِ الْمُنْكَرَ» متفقٌ عليه. وعَنْ حذيفةَ رضي اللَّه عنه أَنَّ النبي ﷺ قال: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالْمعرُوفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّه أَنْ يَبْعثَ عَلَيْكمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجابُ لَكُمْ» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. وعنْ أَبِي عبدِ اللَّه طارق بن شِهابٍ الْبُجَلِيِّ الأَحْمَسِيِّ رضي اللَّه عنه أَنَّ رجلاً سأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، وقَدْ وَضعَ رِجْلَهُ في الغَرْزِ: أَيُّ الْجِهادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:

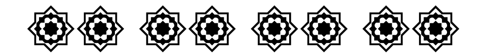
«كَلِمَةُ حقٍّ عِنْدَ سُلْطَان جائِر» رَوَاهُ النسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ. «الْغَرْز» هُوَ ركَابُ كَورِ الْجمَلِ إِذَا كَانَ مِنْ جِلْدٍ أَوْ خَشَبٍ، وَقِيلَ: لاَ يَخْتَصُّ بِجلدٍ وَخشَبٍ. وعن ابن مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ أَوَّلَ مَا دخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّه كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّه وَدعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لك، ثُم يَلْقَاهُ مِن الْغَدِ وَهُو عَلَى حالِهِ، فلا يمْنَعُه ذلِك أَنْ يكُونَ أَكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وَقعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّه قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبعْضٍ» ثُمَّ قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ **[المائدة: ٧٨ - ٨٠]** ثُمَّ قَالَ: «**كَلاَّ، وَاللَّه لَتَأْمُرُنَّ بالْمعْرُوفِ، وَلَتَنْهوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، ولَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، ولَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، ولَتقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّه بقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ**» رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن.

وعن أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيق، رضي اللَّه عنه. قال: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تقرءونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ **[المائدة: ١٠٥]** وإِني سَمِعت رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّه بِعِقَابٍ مِنْهُ**» رواه أبو داود، والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة.

وعن عدي بن عدي الكندي، قال: حدثني مولى لنا، أنه سمع جدّي، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه، فلا ينكرونه، فإن فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة**» - الطحاوي بسند صحيح - بين ظهرانيهم: بينهم أو وسطهم.

وفي هذا الزمان حيث قد نُقضت كثير من عرى الاسلام خاصة الحكم، تصبح مهمة الدعوة إلى الله أكثر أهمية بشكل فردي وبشكل جماعي، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **"لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم، و آخرهن الصلاة"** – صحيح الترغيب والترهيب.

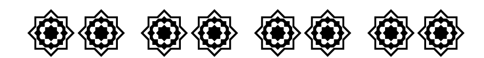
باب التوجه إلى الله بالدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب غفل عنه كثير من الناس. واليوم والأمة في وضع لا تحسد عليه هي بحاجة إلى من يقوم بهذا الأمر بكل الوسائل المتوفرة، فالدعوة إلى الله بالكلمة والقلم والإذاعة والتلفاز والفضائيات والأنترنت والمدارس وجمعيات خدمة المجتمع وجمعيات خدمة ذوي الحاجات الخاصة وبناء المساجد ورعاية الأسرة وتربية الأولاد ونشر الفضائل ومحاربة الفساد والرذيلة والمسكرات والمخدرات... كل ذلك من العمل في الدعوة في سبيل الله إذا ما ابتُغي به وجه الله خالصًا كان في صحيفة أعمال الداعي وكان مما يتوجه إلى الله به يوم القيامة يرجو بها رضوانه وعفوه ومغفرته. وعلى الأمة أن تدرب الدعاة فتفتح معاهد خاصة لتأهيلهم سواء للدعوة بين المسلمين في بلادهم أو في البلاد التي يعيشون فيها كأقليات أو لدعوة غير المسلمين ومثل هذه المهمات لا يشترط أن تكون مهمات للعمل بتفرغ بل يجب أن تشمل تدريب الدعاة المتطوعين ممن يبغون بعملهم وجه الله تعالى ولا يتقاضون إجورًا على عملهم. إن الدعوة تحتاج إلى ايمان وعلم، فالإيمان يحفظ للداعي وقوعه في شهوة حب الظهور والمنّ والعجب، والعلم يعلّمه كيف يتألف قلوب الناس ويبدأ بالأهم فالمهم فهو يحتاج إلى فقه الأولويات ويكون التخصص في حقل معين من حقول الدعوة أكثر فائدة اليوم من ما مضى. فمن توجه إلى الله من باب الدعوة كان ثوابه ما قام به من عمل خير وثواب من تبعه واستجاب لدعوته أو استفاد من جهده، وإذا ما استمر العمل الذي قام به بعد موته كانت نتائج عمله صدقة جارية له مستمرة بعد موته ترفع من درجاته عند الله ما دامت تلك الأعمال مستمرة.



٤٠- باب الجهاد

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**" وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**مثل المجاهد في سبيل الله- والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجر أو غنيمة**" أخرجه مسلم في صحيحه، وفي لفظ له "**تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلاّ جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة**". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**ما من مكلوم يُكلم في سبيل الله إلاّ جاء يوم القيامة وكلمه يدمي؛ اللون لون الدم والريح ريح المسك**" - متفق عليه، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**" (رواه أحمد والنسائي وصححه الحاكم)، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل: "**أي العمل أفضل؟ قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور**"، وعن أبي عبس بن جبر الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار**" - رواه البخاري. ومن أعان مجاهدًا بمال أو بكفالة أسرته في حال غيابه فهو مجاهد كذلك، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**من أظلّ رأس غاز أظلّه الله يوم القيامة ومن جهز غازيًا في سبيل الله فله مثل أجره**" - المنذري في الترغيب والترهيب - بإسناد صحيح أو حسن أو ما قاربهما –

إن كلمة الجهاد من الجهد وهو بذل الوسع فمن بذل وسعه وجهده في سبيل الله سواء في ساحة القتال أو في الكدّ في طلب الرزق لعياله أو في الدعوة في سبيل الله فكل ذلك من الجهاد ولكن هناك جهاد دون جهاد. والمرء الذي يقف على ثغرة من الثغرات التي يمكن أن يدخل منها أعداء الله فيعمل جهده للدفاع عن الإسلام والمسلمين هو مجاهد سواء كان ذلك بقتال الاعداء أو بالدعوة إلى الله أو بأعمال البر والإحسان أو بخدمة المسلمين في أمور حياتهم أو بالبحث عن سبل راحتهم أو بتعليم أبنائهم أو غير ذلك مما أصبح ضروريًا في الحياة المعاصرة لكي يكون المسلمون أمة واحدة تعبد ربها وتدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة وتحترمها الأمم الأخرى. فالجهاد في سبيل الله سنام الإسلام وليس مثله شيء فمن توجه إلى الله من باب الجهاد فقد توجه من واحد من أعظم الإبواب إلى الله. وينبغي لمن يتجه إلى الله من باب الجهاد أن يتعلم فقه الجهاد ولا يخلط بين الجهاد والوقوع في الفتن وسفك دماء الأبرياء من المسلمين أو غير المقاتلين من غير المسلمين فحرمة الدماء كبيرة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال "**ولا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا**" رواه البخاري



٤١- باب الشهادة في سبيل الله

قال رسول الله ﷺ في تعريف الشهيد فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: **"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"** - متفق عليه - وجاء أيضًا في السنن عن الرسول ﷺ قوله: **"من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد"** رواه أبو داؤد والترمذي وقال حديث حسن في رواية سعيد بن زيد رضي الله عنه.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:جاء رجل إلى الصلاة والنبي ﷺ يصلي فقال حين انتهى إلى الصف: **"اللهم آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال من المتكلم آنفًا؟ فقال الرجل أنا يا رسول الله قال إذًا يُعقر جوادك وتُستشهد"** – الترغيب والترهيب للمنذري - هذا يدل على أن أفضل ما يؤتيه الله عبدًا صالحًا أن يقتل في سبيل الله.

وجاء في حديث عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ **"إن للشهيد ست خصال أن يغفر له من أول دفقة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه"** رواه الترمذي وقال حديث حسن.

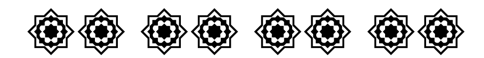
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **"ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء إلاَّ الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة"**- متفق عليه-

والشهادة في سبيل الله هي غاية المجاهد في سبيل الله ومن ينالها ينال أعلى درجة المجاهدين.

والشهداء درجات وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "**سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'الشهداء أربعة؛ رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا، ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته يقول الراوي: لا أدري قلنسوة عمر أراد أم قلنسوة الرسول (ﷺ) ورجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب فقتله فهذا في الدرجة الثانية، ورجل مؤمن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة، ورجل مؤمن أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة**" - رواه الترمذي وقال حسن غريب -

والشهيد أرفع الناس درجة بعد الأنبياء والصديقين قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **[آل عمران: ١٦٩ - ١٧١]**، فهم أحياء والناس يحسبونهم أمواتًا، إنهم يتساءلون عمن وراءهم من إخوانهم، بل إنهم يسألون الله الرجعة إلى دار الدنيا، لا شوقًا إلى حطامها ومتاعها الفاني، بل ليقتلوا في سبيل الله مرة أخرى، وعن أنس - رضي الله عنه- قال أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع؟ فقال:«**ويحك أو هبلت؟ أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس**» (رواه البخاري). وكأن عمير بن أبي وقاص - رضي الله عنه- كان يعلم يوم بدر أنه على موعد مع الشهادة في سبيل الله فيصر على المشاركة،

حكى قصته أخوه سعد - رضي الله عنه- فقال: **«رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة، قال: فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره فرده، فبكى فأجازه، فكان سعد يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره فقتل وهو ابن ست عشرة سنـة»**. قال ﷺ:**«من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»** (رواه مسلم). هذا الحديث رواه سهل بن حنيف رضي الله عنه. فالشهادة في سبيل الله من أعلى أبواب التوجه إلى الله تعالى.



٤٢- باب البكاء من خشية الله

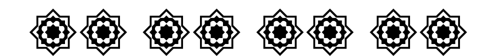
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فال قال لي رسول الله ﷺ: **"اقرأ علـي". قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "نعم". فقـرأت سـورة النسـاء، حتـى أتيـت إلى هـذه الآيـة: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]. قال: "حسبك الآن". فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان** - رواه البخاري. وعن عبد الله بن عباس رضي الله علنهما قـال قـال رسـول الله ﷺ: **"عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله"** رواه الترمذي وقال حديث حسن. وفي حديث السبعة **الذين يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظلـه:... ورجـل ذكـر الله في خـلاء ففاضـت عينـاه** (رواه البخاري). والأشـارة إلى ذكـر الله خاليًـا هـو لغـرض البعـد عـن الريـاء. فالبكـاء والتباكي أمام الناس مدعاة لدخول العجب والرياء أمام الناس وكأن المـرء يتبـاهى أمام الناس أنه أتقى من غيره وهو ما يمحق الحسنات.

وقال عبدالله بن عمرو بن العـاص رضـي الله عنهمـا: لإن أدمـع دمعـة مـن خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار.

بكى ليلة محمد بن المنكدر رضي الله عنه فكثر بكاؤه حتى فزع أهله، فأرسلوا إلى أبي حازم سلمة بن دينار رضي الله عنه فجاء إليه فقال ما الذي أبكاك قد رُعت أهلك؟ قال مرت بي آية مـن كتـاب الله عـز وجـل ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ **[الزُّمَر: ٤٧]** فبكى أبو حازم معه فقال بعض أهله لإبي حازم جئنا بك لتفرج عنه فزدته.

البكاء من خشية الله دليل على خشوع القلب ورقته قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ **[الحديد: ١٦]**.

وعن عبدالله بن أبي مليكة قال جلسنا إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الحجر فقال: ابكوا، فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا، لو تعلموا العلم لصلى أحدكم حتى ينكسر ظهره، ولبكى حتى ينقطع صوته – الترغيب والترهيب بإسناد صحيح أو حسن أو ما قاربهما. والمقصود أن استجلاب البكاء مطلوب لمن كان شحيح الدمعة، فإن قسوة القلب تجعل الدمع شحيحًا.



٤٣- باب الصدق

باب الصدق باب يتوجه منه الصادقون إلى الله وأعلاهم مرتبة هم الصديقون.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ **[التوبة: ١١٩]** وقال ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ وقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ **[محمد: ٢١]**. وعن النَّبيَّ ﷺ قال: **«إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ ليصْدُقُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفجُور وَإِنَّ الفجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّار، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»** متفقٌ عليه. وعن الْحَسنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبي طَالِبٍ، رَضيَ اللَّهُ عَنْهما، قَالَ حفِظْتُ مِنْ رسولِ اللَّه ﷺ: **«دَعْ ما يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمأنينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبةٌ»** رواه التِرْمذي وقال: حديثٌ صحيحٌ. وقَوْلُهُ: «يرِيبُكَ» مَعْناهُ: اتْرُكْ ما تَشُكُّ في حِلِّه، واعْدِلْ إِلى مَا لا تَشُكُّ فيه.

الصادق مع الله سره أفضل من علانيته، قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ سَأَلَ اللَّهَ، تعالَى الشَّهَادَة بِصِدْقٍ بَلَّغهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهدَاء، وإِنْ مَاتَ عَلَى فِراشِهِ»** رواه مسلم. فالصدق في النية هنا هو الذي رفع مكانة هذا المرء إلى مرتبة الشهادة مع أنه مات على فراشه. كما قال: **«الْبيِّعَان بالخِيارِ ما لم يَتفرَّقا، فإِن صدقَا وبيَّنا بورِك لهُما في بَيْعهِما، وإِن كَتَما وكذَبَا مُحِقَتْ بركةُ بيْعِهِما»** متفقٌ عليه. فصدق المتبايعين هو الذي يتسبب في طرح البركة في المبيع وكتمان النقائص والكذب هو الذي يمحق البركة.

ويكفي في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض المدح والثناء بالصديقية فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ **[مريم: ٤١]** وقال ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ **[مريم:**

٥٦] ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ [مريم: ٥٤].

وعلى نهج أنبياء الله هؤلاء سار نفر من الأمة مثل أبي بكر رضي الله عنه الذي سمي بالصديق وسمى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بالصديق الثاني. هؤلاء على رأس الفريق الذي يلقى الله بالصدق فقد وصل صدق هؤلاء مرتبة الصديقية وهم لا شك قلائل، لكن باب الصدق مع الله باب يتسع لكثير من عباد الله الصالحين. والصدق يشمل القول والعمل والنية وقد امتدح الله الشهداء الذين قدموا أرواحهم في سبيله بصدق وإخلاص فقال ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال ابن عباس: أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر. وقال الثوري في قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزُّمَر: ٦٠] قال: هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين.

ولفظ الصدق يستعمل في عدة معان:

١- **صدق في القول:** الصادق في قوله لا يقول إلاّ صدقًا حتى وإن كان في ذلك ضرر ظاهر عليه، فهو لا يخبر خبرًا إلا صدقًا. وقد أعذر ﷺ من يصلح بين الناس أن ينمي خيرًا ولو لم يكن صادقًا في ذلك فقال "ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرًا أو أنمى خيرًا" والصادق يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه كقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩]، فإن كان قلبه

منصرفًا عن الله تعالى مشغولاً بأماني الدنيا وشهواته فهو كذب. وكقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **[الفاتحة: ٥]** فلا يكون في قلبه حب المال أو الجاه فهو لا يعبد إلاّ الله.

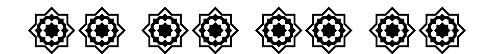
٢- **وصدق في النية والإرادة،** ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى، فإن أراد بنيته شيئًا من الدنيا كان كذابًا كما في حديث الثلاثة الذين حكى عنهم رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: "إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال: فلان قارئ، فقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة له: كذبت، ويقول الله بل أردت أن يقال: فلان جواد وقد قيل ذلك. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له: فيماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جرئ، فقد قيل ذلك. ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة: أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة – رواه الترمذي وقال حسن غريب –

ويلاحظ هنا أن الله لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه في إرادته ونيته.

٣- **وصدق في العزم والوفاء** بما عزم عليه وهو أن يعزم على عمل شيئ فيفعله كمن يقول إن رزقني الله مالاً تصدقت بجميعه - أو بشطره، أو إن لقيت عدوًا في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قتلت، وإن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خلق، فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة. فمن أوفى بذلك كان من الذين قال الله تعالى فيهم "رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ" ومن أخلف كان من الذين قال فيهم: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ **[التوبة: ٧٧]**.

٤- **وصدق في العمل،** وهو أن يحرص في كل أعماله على أن يكون ظاهره موافقًا لما يخفي من نية أو إرادة أو عزم ولا يخفي في نفسه ما لا يرضى أن يطلع عليه أحد من الناس.

٥- **وصدق في أمور الدين كلها.** فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لأنه مبالغة في الصدق، فالصديق يعبد الله كأنه يراه ولو رأى الجنة والنار بأم عينه ما ازداد عبادة ولا عملاً.



٤٤- باب العدل

التوجه إلى الله من باب العدل منه ما هو باختيارالمرء حين يكون تعامله مع الناس بالعدل، ومنه ما هو ابتلاء من الله حين يضعه الله في موضع السلطان والحكم والقوة ليبلوه أيعدل أم يظلم. قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ **[الحُجُرات: ٩]**. وقال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ **[النحل: ٩٠]**.

والعدل والإحسان يتجلى في كل شيئ قال رسول اللَّه ﷺ: «**كُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عنْ رعيتِهِ: الإمامُ راعٍ ومَسْؤُولٌ عَنْ رعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أهلِهِ وَمسؤولٌ عنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرأَةُ راعيةٌ في بيتِ زَوجها وَمسؤولةٌ عَنْ رعِيَّتِها، والخَادِمُ رَاعٍ في مال سَيِّدِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيتِهِ، وكُلُّكُم راع ومسؤُولٌ عَنْ رعِيَّتِهِ**» متفقٌ عليه. وقد دعا رسول الله لمن ولي من أمر المسلمين شيئًا فرفق بهم بأن يرفق الله به فقال: «**اللهم من وَلي من أمر أُمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن وَلِيَ من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**» رواه مسلم. ومن السبعة الذين قال عنهم النبي ﷺ: «**يُظِلُّهُمُ اللَّه في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمَامٌ عادِلٌ...**» متفقٌ عليه. كما قال في المقسطين: «**إنَّ المُقسِطينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلى مَنابِرَ مِنْ نورٍ: الَّذِينَ يعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهليهِمْ وما وُلُّوا**» رواهُ مسلم.

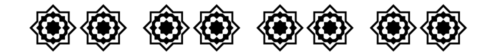
فمن ابتلي بشيئ من وسائل السلطة والقوة أو الحكم فعدل في حكمه وفي من ولاّه الله أمرهم كان ذلك في ميزان حسناته أجرًا عظيمًا، وكان ممن توجه إلى الله من باب العدل، وكان عند الله من المقربين فهو باب عظيم يفلح من يتجه إلى الله منه، وقليل من يفعل ذلك. والعدل من الحاكم أول ما يشمل الحكم بما أنزل الله تعالى، فما أنزل الله تعالى من أحكام من تطبيق للحدود ومن فرض لقيود هي

العدل بعينه، فالله أعرف بما يصلح الناس وهو الذي فرض تلك الأوامر أو النواهي.

وقد يبتلى المرء بموقف يختار فيه بين العدل والمصلحة الشخصية القريبة الأمد أو سمعة أو لوم شديد قد يصيبه نتيجة عدله. فالله تعالى يدعو المسلمين لكي يعدلوا مع من يحبون ومن لا يحبون، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ **[المائدة: ٨]** كما توعد المطففين فقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾**[المطفِّفين: ١ - ٣]**. فإذا ما تغلب المرء على شهوات نفسه ومزالق الشيطان واقتحم العقبة فإنه ينال مكانة عند الله بعدله.

إن العدل في مختلف أمور الحياة سمة تجعل المرء الذي يتصف به ينال مكانة عند الله تعالى فالعدل بين الأولاد والعدل مع الأقران والعدل بين من ولاه الله أمرهم والعدل عندما يكون له حق عند امرئ وأداء الحق حينما يكون الحق عليه، كل ذلك مما يقرب المرء من ربه. فعن النبيِّ ﷺ قال: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» متفقٌ عليه. فإذا ما وضع المرء نفسه بموقع غريمه كان عادلاً ونال تلك المكانة عند الله تعالى.

والعدل ميزان يزن به المرء أعماله حتى بين ما لا يعقل لأن مفهوم العدل واسع ويشمل جوانب الحياة كلها، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه نهى أن يمشي المرء بنعل واحدة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**لا يمشي أحدكم في نعل واحدة، ليحفهما جميعًا أو لينعلهما جميعًا**" رواه البخاري.



٤٥- باب الرحمة

من الناس من قد جبل الله قلبه على الرحمة بخلقه، فلا يكاد يجد من يحتاج معونة إلاً هرع لمساعدته ولا يكاد يرى من هو بحاجة إلى عطف إلّا وهرع إلى العطف عليه. و الرحمن والرحيم إسمان من أسماء الله الحسنى يتعلقان بالرحمة والله يحب من عباده الرحماء.

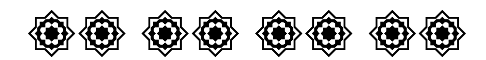
إن الشفقة والرحمة على الناس من أسباب رحمة الله للعبد قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَنْ لا يرْحَم النَّاس لا يرْحمْهُ اللَّه»** متفقٌ عليه. وقال: **«مثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ سائِرُ الْجسدِ بالسهَرِ والْحُمَّى»** متفقٌ عليه.كما قال: **«الُمسْلِمُ أَخُو الُمسْلِمِ، لا يظْلِمُه، ولا يُسْلِمهُ، منْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حاجتِهِ، ومَنْ فَرَّج عنْ مُسْلِمٍ كُرْبةً فَرَّجَ اللَّهُ عنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يوْمَ الْقِيامَةِ، ومَنْ ستر مُسْلِمًا سَتَرهُ اللَّهُ يَوْم الْقِيامَةِ»** متفقٌ عليه.

وكان ﷺ شديد الرحمة بالمسلمين، فعن عائشة رضي اللَّه عنها قَالَتْ: **«إِنْ كَان رسولُ اللَّه ﷺ لَيدعُ الْعَمَلَ، وهُوَ يحِبُّ أَنَ يَعْملَ بِهِ، خَشْيةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ»** متفقٌ عليه. وكان يقول: **«إِذا صلى أَحدُكُمْ للنَّاسِ فلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمْ الضَّعِيفَ وَالسقيمَ والْكَبِيرَ، وإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيطَوِّل ما شَاءَ»** متفقٌ عليه. كما كان يقولُ: **«أَهْلُ الجنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، ورَجُلٌ رَحِيمٌ رَقيقٌ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيالٍ»** رواهُ مسلم.

والرحمة بعباد الله ممن تبوأ منصبًا أو مكانة هي أدعى لأن يتوجه المرء إلى الله من باب الرحمة. فالضعيف العاجز قد لا يجد بابًا للرحمة إلاً على الحيوانات الضعيفة أو على من هو أضعف منه من البشر ويمكن أن يكون بهم رحيمًا ويكون ممن توجه إلى الله من باب الرحمة. أما القوي الذي قد مكّن الله له بالتحكم بغيره

من عباد الله من منصب أو مكانة أو جاه أو ثروة وهو قادر على إنفاذ حكمه فيهم فالرحمة تبدو أهم وأحرى بأن يكون ممن يتصف بها فيكون من أهل الرحمة.

فالراحمون ممن ترق قلوبهم شفقة على عباد الله من الضعفاء ومن يحتاجون إلى عون أو صدقة أو قضاء حاجة أو كلمة مواساة أو ملاقاة بوجه طلق، هؤلاء الراحمون يتوجهون إلى الله من باب الرحمة فيكونوا ممن يستحق أن يرحمهم الله في الساعة التي هم بأمس الحاجة إلى رحمة الله ساعة يقوم الناس لرب العالمين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«من لا يرحم لا يرحم»** - رواه البخاري



٤٦- باب الأمانة

الأمانة باب قلّ من يدخل منه اليوم. ليست الأمانة أن يـودع عنـدك شـخص شيئًا فتؤديه إليه كما هو، ولكن النظر أمانة وأداؤها حفظها عن أن تنظر إلى ما حرم الله واليد أمانة وحفظها أن تُحفظ في أن لا يبطش بهـا إلاً مـا يرضـي الله والرجـل أمانة وأداؤها أن لا تسير إلاً في ما يرضي الله والمـال أمانـة يجـب حفظـه مـن إيـن اكتسب وفيما أنفق والولد امانة وأداؤها أن ينّشأ على ما يرضي الله والرعيـة أمانـة وأداؤها حفظها من السوء والعدل بين تلك الرعية أمانة. قال اللّـه تعـالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ **[النسـاء: ٥٨]**. قال عمر بن الخطاب رضـي الله عنه: لو مات جدي بطرف الفرات لخشيت أن يسأل الله عنه عمـر حيـث كـان يستشعر الأمانة الملقاة على عاتقه بتولي أمر المسلمين.

التوجه إلى الله بالأمانة باب ولجه رسول الله ﷺ حتـى قبـل بعثتـه حتـى كـان يسمى بالصادق الأمين، وحين هاجر من مكة إلى المدينة كانت ودائع المشركين عنده فأوكل إعادتها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فالأمانة كلمة واسعة المفهوم، يدخل فيها أنواع كثيرة، منها:

الأمانة العظمى، وهي الدين والتمسك به، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ **[الأحزاب: ٧٢]**. قال القرطبي في تفسير هذه الآية: الأمانة تعم جميع وظائف الدين ا هـ. وتبليغ هذا الدين أمانة أيضًا، فالرسل أمناء الله على وحيه، قال ﷺ: **(ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً)**(رواه البخاري). وكذلك كل من جاء بعدهم من العلماء والدعاة، فهم

أمناء في تبليغ هذا الدين.

وكل ما أعطاك الله من نعمه فهي أمانة لديك يجب حفظها واستعمالها وفق ما أراد منك المؤتمن، وهو الله جل وعلا، فالبصر أمانة، والسمع أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، واللسان أمانة، والمال أمانة أيضًا، فلا ينفق إلاً فيما يرضي الله. والعرض أمانة، فيجب عليك أن تحفظ عرضك ولا تضيعه، فتحفظ نفسك من الفاحشة، وكذلك كل من تحت يدك، وتحفظهم عن الوقوع فيها والولد أمانة، فحفظه أمانة، ورعايته أمانة، وتربيته أمانة. والعمل الذي توكل به أمانة، وتضييعه خيانة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**"، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: "**إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**"(رواه البخاري) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله! ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي. ثم قال **(يا أبا ذر! إنك ضعيف. وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلاّ من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها)** - رواه مسلم.

السر أمانة، وإفشاؤه خيانة، حتى ولو حصل بينك وبين صاحبك خصام فهذا لا يدفعك لإفشاء سره، فإنه من لؤم الطباع، ودناءة النفوس، قال ﷺ: **(إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة)**(رواه أبوداؤد والترمذي وقال حديث حسن) ومن أشد ذلك إفشاء السر بين الزوجين، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**" (إبن حجر وقال في مقدمته حديث حسن).

والأمانة بمعنى الوديعة يجب المحافظة عليها، ثم أداؤها كما كانت. وقد أمر الله بحفظ الأمانة وأدائها، وذم الخيانة، وحذر منها في نصوص كثيرة منها: قال تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ **[النساء: ٥٨]**. وقال تعالى في

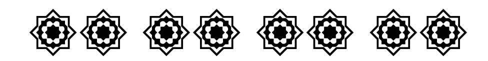
صفات المؤمنين﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ **[المؤمنون: ٨]** وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ **[الأنفال: ٢٧]**. وقال ﷺ في الأمر بردّها: "**أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**" رواه الترمذي وقال حسن غريب.

ومما ورد في فضل الأمانة عن أبي موسى الأشعري قال قال ﷺ: **(الخازن الأمين الذي ينفذ ـ وربما قال: يعطي ـ ما أمر به كاملاً موفرًا طيبًا به نفسه، فيدفعه إلى الذي أمر له به، أحد المتصدقين)**(رواه البخاري). وقال ﷺ وهو يحكي لأصحابه رضي الله عنهم: "**اشترى رجل من رجل عقارًا له، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم ابتع منك الذهب، فقال الذي شرى الأرض (أي: الذي باعها): إنما بعتك الأرض وما فيها، قال: فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ فقال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام بالجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدقا**" (رواه البخاري).

وذكر رسول الله ﷺ عن رجل من بني إسرائيل أنه سأل رجلاً من بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه على أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها، يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة ونقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضي بذلك، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني استودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم

انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده. فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشية التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة. ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركبة لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي شيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه،. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدًا - رواه البخاري -

تلك هي الأمانه فمن توجه إلى الله من هذا الباب نال المكانة والثواب الجزيل من الله يوم لا مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.



٤٧- باب الإيثار

قال اللَّه تعـالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ **[الحشر: ٩]**.

وقال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ **[الإنسان: ٨]** وعن أبي هُريـرة رضي اللَّه عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: إني مَجْهُـودٌ، فأَرسَـلَ إِلى بَعـضِ نِسائِهِ، فَقَالت: والَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما عِندِي إِلاَّ مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَـلَ إِلى أُخْـرَى فَقَالَـتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حتَّى قُلْنَ كُلُّهنَّ مِثل ذَلِكَ: لا وَالذِي بعثَـكَ بِـالحَقِّ مـا عِنـدِي إلاَّ مَـاءٌ. فقال النبيُّ ﷺ: **«من يُضِيفُ هَذا اللَّيْلَةَ؟»** فقال رَجُلٌ مِن الأَنْصار: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلى رحْلِهِ، فَقَال لامْرَأَتِهِ: أَكرِمِي: ضَيْفَ رسول اللَّـهِ ﷺ، وفي روايـة قـال لامرأَتِهِ: هل عِنْدَكِ شَيءٌ؟ فَقَالَتْ: لا، إِلاَّ قُوتَ صِبيانِي قـال: عَلِّليهمْ بِشَـيءٍ وإِذا أَرَادُوا العَشَاءَ، فَنوِّميهم، وإِذَا دَخلَ ضَيْفُنَا، فَأَطفِئي السِّرَاجَ، وأَريهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَقَعَدُوا وأَكَلَ الضَّيْفُ وبَاتا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبح، غَدَا على النَّبِيِّ ﷺ: فقـال: **«لَقَـد عَجِـبَ اللَّه مِن صَنِيعِكُمَا بِضَيفِكُمَا اللَّيْلَةَ»** متفقٌ عليه.

وامتدح رسول الله ﷺ الأشـعريين حـين قـال: **«إِنَّ الأشـعَريين إِذَا أَرملُـوا في الْغَزْوِ، أَو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِم بالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا ما كَانَ عِنـدَهُم في ثَـوبٍ وَاحـدٍ، ثُـمَّ اقتَسَمُوهُ بَيْنَهُم في إِنَاءٍ وَاحِدٍ بالسَّوِيَّةِ فَهُم مِنِّي وَأَنَا مِنهُم»** متفقٌ عليه. «أَرمَلُوا»: فَرَغَ زَادُهُم، أَو قَارَبَ الفَرَاغَ. فمثل هذا العمل يدل على الإيثار والتعاون ويخدم شـعور القبيلة بالوحدة وكأنهم جسد واحد. وفي معركة اليرمـوك انطلـق حذيفـة العـدوي يبحث عن ابن عم له ومعه شربة ماء، وبعد أن وجـده جريحًـا قـال لـه: أسـقيك؟ فأشار إليه بالموافقة. وقبل أن يسقيه سمعا رجلا يقول: آه، فأشار ابـن عـم حذيفـة إليه؛ ليذهب بشربة الماء إلى الرجل الذي يتألم، فذهب إليه حذيفة، فوجده هشام بن

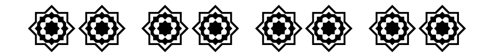
العاص. ولما أراد أن يسقيه سمعا رجلا آخر يقول: آه، فأشار هشام لينطلق إليه حذيفة بالماء، فذهب إليه حذيفة فوجده قد مات، فرجع بالماء إلى هشام فوجده قد مات، فرجع إلى ابن عمه فوجده قد مات، فقد فضَّل كلُّ واحد منهم أخاه على نفسه، وآثره بشربة ماء.

واجتمع عند أبي الحسن الأنطاكي أكثر من ثلاثين رجلا، ومعهم أرغفة قليلة لا تكفيهم، فقطعوا الأرغفة قطعًا صغيرة وأطفئوا المصباح، وجلسوا للأكل، فلما رفعت السفرة، فإذا الأرغفة كما هي لم ينقص منها شيء؛ لأن كل واحد منهم آثر أخوانه بالطعام وفضلهم على نفسه، فلم يأكلوا جميعًا.

ووقعت بين محمد بن الحنفية وأخيه الحسن بن علي رضي الله عنهما جفوة فأرسل ابن الحنفية إلى الحسن يقول: إن الله فضلّك عليّ.. فأمك فاطمة بنت محمد بن عبدالله ﷺ وأمّي امرأة من بنى حنيفة. وجدّك لأمك رسول الله وصفوة خلقه، وجدي لأمي جعفر بن قيس، فإذا جاءك كتابي هذا فتعال إليَّ وصالحني حتَّى يكون لك الفضل عليّ في كل شيء. فما أن بلغت رسالته الحسن حتى بادر إلى بيته وصالحه.

إن الإيثار هو أحد دعائم بناء الأمة، فإذا كثر المتخلقون به في سبيل الله زادت أواصر المحبة والتراحم بينهم وحسنت العلاقات بين ذوي الأرحام والجيران بل وبين القبائل والمدن والبلدان المتجاورة وكان هؤلاء المتخلقون بهذا الخلق ممن يعمل على وحدة الأمة ورفعتها.

فالأيثار له ثواب عظيم عند الله ومن يتوجه إلى الله بإيثار غيره على نفسه فله عند الله حسن الثواب. ولا يستطيعه إلاّ من أيقن بأن ما عند الله خير من فتات الحياة الدنيا فهو يرجو ثواب ذلك ويؤمل أن يفوز بما عند الله.



٤٨ - باب السخاء والكرم

السخاء والجود والكرم ثلاث كلمات متقاربة المعاني لكن بينها فروق.

فالكرم إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور جليلة القدر كثيرة النفع والإعطاء بالسهولة لا لغرض فمن يهب المال لغرض جلباً للنفع أو خلاصاً عن الذم فليس بكريم ، فالكريم من يوصل النفع بلا عوض ، أما السخاء فهو بذل المال من غير مسألة ولا استحقاق وهذا الفعل مستحب ما لم ينته إلى السرف والتبذير، والفرق بين السخاء والجود أن السخاء هو أن يلين الإنسان عند السؤال ويسهل إعطاءه للسائل ولذلك لا يقال لله تعالى (سخي) بل يقال له عز وجل كريم جواد لأن الجود هو كثرة العطاء من غير سؤال والكريم والجواد من أسماء الله الحسنى، والله تعالى هو الذي إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى وأن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى وإذا جُفى عاتب ولا يضيع من لاذ به والتجأ إليه ويغنيه عن الوسائط والشفعاء فقد اجتمعت كل تلك الصفات الجليلة لله تعالى بدون تكلف فهو الكريم المطلق وهو الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه. والكرم إن كان بمال فهو جود وإن كان بكف ضرّ مع القدرة فهو عفو وإن كان ببذل النفس فهو شجاعة، وقمة كمال الكرم ما يقصد به أشرف الوجوه وأشرفها ما يقصد به وجه الله تعالى فمن قصد به ذلك فهو التقي فأن إكرم الناس أتقاهم فقد قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ **[الحُجُرات: ١٣]**.

والسخاء مزية متأصلة في نفس بعض الناس فتكاد تكون نظرتهم للمال وللتراب سواء، لكن للسخاء في الشرع شرط آخر هو ان يكتسب المال من الحلال ويوضع في موضع حلال.

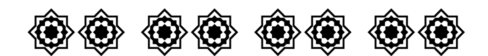
قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ **[سبأ: ٣٩]**. وقال: **﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** **[البقرة: ٢٧٢]**. كما قال جل شأنه: **﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾** **[البقرة: ٢٧٣]**. وعَنِ ابنِ مسعودٍ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتين: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّه مَالاً، فَسَلَّطَه عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورَجُلٌ آتاه اللَّه حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُها**» متفقٌ عليه. معناه: يَنبَغِي أَن لا يُغبَطَ أَحَدٌ إلاَّ على إحدَى هَاتَينِ الخَصْلَتَيْنِ. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال **ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلاّ أعطاه، قال فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة** - رواه مسلم. وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه بينا هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس، مقبلاً من حنين، علقت رسول الله ﷺ الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف رسول الله ﷺ فقال: أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاه نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوبًا، ولا جبانًا. رواه البخاري

والكرم عكس البخل، قال اللَّه تعالى: **﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾** **[الليل: ٨ - ١١]**. وقال تعالى: **﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾** **[الحشر: ٩]**. وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**مَنْ كانَ يُؤمنُ بِاللَّه واليَومِ الآخرِ فَلْيُكرِمْ ضَيفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّه واليَوم الآخِرِ فليصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يؤمِنُ بِاللَّه وَاليومِ الآخِرِ فَلْيَقلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» متفقٌ عليه. وعنْ عبد اللَّهِ بن عَمْرو بن العَاصِ رضي اللَّه عنهُما أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رسول اللَّه ﷺ: أَيُّ الإِسلامِ خَيْرٌ؟ قال: «**تُطْعِمْ**

الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ» متفقٌ عليه. وعنه قال: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «**أَرْبَعونَ خَصلَةً أَعلاهَا مَنِيحَةُ العَنْز ما مِن عَامِلٍ يعْملُ بخَصلَةٍ منها رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّه تعالى بِهَا الجَنَّةَ»** رواه البخاري. ومنيحة العنز هي أن يعير المرء جاره أو أخاه عنزًا حلوبًا ليشرب من لبنها فترة من الزمن ثم يعيدها إليه، وعن أبي أُمَامَةَ صُدَيِّ بنِ عَجْلانَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسُولُ اللَّه ﷺ: «**يا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِن تَبْذُلَ الفَضْلَ خيرٌ لَكَ، وإِن تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلا تُلامُ عَلى كَفَافٍ، وَابْدأْ بِمَنْ تَعُولُ، واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»** رواه مسلم، لأن مثل هذا العبد قد تغلب على داء الشح والبخل ووطن نفسه على السخاء والبذل والعطاء.

فالكرم لا يتعلق بالمال فقط بل بكل ما يملك الإنسان من مال وجاه ووقت، فالكريم لا يمسك مالاً عن سائل ولا طلب نصرة من مستغيث ولا معونة لمن يطلب مساعدة. بل إن كريم النفس يكون حليمًا تجاه من يسيئ إليه أو تجاه الجهلة والحمقى إن تصرفوا تجاهه بما لا يليق به.

فالكرم والجود والسخاء باب من أبواب التوجه إلى الله تعالى والله أكرم من أن يعذب كريمًا جوادًا بذل ماله أو جاهه أو قوته في سبيله تعالى.



٤٩- باب بر الوالدين

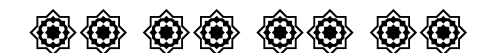
قال اللَّه تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ **[النساء: ٣٦]**. وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ ﴾ **[العنكبوت: ٨]**. وقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ **[الإسراء: ٢٣ - ٢٤]**. كما قال: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ **[لقمان: ١٤]**.

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: سألتُ النبي ﷺ: أَيُّ الْعملِ أَحبُّ إلى اللَّهِ تَعالى؟ قال: **«الصَّلاةُ على وقْتِهَا»** قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: **«بِرُّ الْوَالِديْنِ»** قلتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: **«الجِهَادُ في سبِيلِ اللَّهِ»** متفقٌ عليه. وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يَجْزِي ولَدٌ والِدًا إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مملُوكًا، فَيَشْتَرِيَهُ، فَيَعْتِقَهُ»** رواه مسلم. وعنه رضي اللَّه عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: **يا رسول اللَّه مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أُمُّك» قال: ثُمَّ منْ؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أَبُوكَ» متفقٌ عليه. وفي رواية: يا رسول اللَّه مَنْ أَحَقُّ الناس بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قال: «أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثمَّ أَباكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»**. «والصَّحابة» بمعنى: الصُّحبةِ. وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: أَقْبلَ رجُلٌ إِلى نَبيِّ اللَّه ﷺ، فقال: **أُبايِعُكَ على الهِجرةِ وَالجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجرَ مِنَ اللَّه تعالى. قال: «فهَلْ مِنْ والِديْكَ أَحدٌ**

حَيٌّ؟» قال: نعمْ بل كِلاهُما قال: «فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّه تعالى؟» قال: نعمْ. قال: «فَارْجعْ إِلى والدِيْك، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُما» – متفقٌ عليه. وهذا لَفْظُ مسلمٍ. وفي روايةٍ لهُما: **جاءَ رجلٌ فاسْتَأْذَنَه في الجِهَادِ فقال:«أَحيٌّ والِداكَ؟ قال: نَعَمْ، قال:«ففِيهما فَجاهد، وعن أبي الدَّرْداءِ رضي اللَّه عنه قال سَمِعْتُ رسول اللَّهِ ﷺ يقولُ «الْوالِدُ أَوْسطُ أَبْوابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذلِك الْبابَ، أَوِ احفظْهُ»** رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

بر الوالدين واجب على كل مسلم، لكن من يدرك والديه أو أحدهما وهما بحاجة إليه في كبرهما يكون ابتلاؤه أكبر، فهو قد فتح الله بابًا واسعًا يتوجه إليه من خلال برّهما والإحسان إليهما ومساعدتهما. وهذا الباب ما أكثر من يفرط به رغم أنه متاح لكثير من الناس. وهو متاح لمن فقد والديه بان يصلهما بعد موتهما فقد روى أبو أسيد الساعدي قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من برّ أبوي شيء أبرّهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلاّ بهما وإكرام صديقهما – الترغيب والترهيب – بإسناد صحيح أو حسن أو ما قاربهما–

وزيادة البرّ للوالدين ليس لها حدود. فطاعتهما وحسن معاملتهما والرفق بهما وتنفيذ ما يحبان وخدمتهما ورعاية صحتهما وود أصدقائهما وصلة الرحم التي لا توصل إلاّ بهما والتذلل لهما وغير ذلك مما يرضيهما، كل هذه الأمور تزيد من رضاهما وتشمل برّهما الذي أوصى الله تعالى به، ومن يفعل ذلك طاعةً لله بإخلاص فإنه يتوجه إلى الله من هذا الباب العظيم.



٥٠- باب الإحسان إلى الأهل

قال عليه الصلاة والسلام "**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**" رواه الترمذي وقال حسن غريب صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**استوصوا بالنساء خيرًا**" - الجامع الصغير -

فبالإحسان إلى الزوجة إن كانت صالحة يرتقي المؤمن درجات عند الله، وبالصبر عليها إن لم تكن صالحة كذلك. فقد يبتلى المرء بامرأة سيئة الخلق كثيرة المشاكل تذهب عنه لبّه، فإن احتسب ذلك عند الله وقابل إساءتها بالإحسان وصبر على كل ذلك ولم يفعل ما يسخط الله ورضي بقضاء الله في ذلك وستر عليها مساوئها وكبرت عنده محاسنها، فهو يتوجه إلى الله بهذا العمل ويرجو منه الثواب يوم القيامة.

إن الإحسان للزوجة من أهم وسائل بناء الأسرة وتربية الأطفال وذلك يتناقض مع العنف والضرب، فقد روى إساس الدوسي أن رسول الله ﷺ قال: "**لقد طاف الليلة بآل محمد نساء كثير، كلهن تشكو زوجها من الضرب، و أيم الله لا يجدون أولئك خياركم**" - الجامع الصغير-، فرغم أن الله قد أجاز ضرب الزوجة في حالة النشوز الشديد واستنفاذ وسائل الوعظ والهجر ضربًا غير مبرح بالسواك أو نحوه حيث قال ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ **[النساء: ٣٤]**، لكن مع ذلك فإن

الضرب لا يفعله خيار الناس كما ذكر رسول الله ﷺ في الحديث السابق.

فرعاية الزوجة رعاية خالصة لوجه الله وفق ما شرع الله والحرص على إطعامها من الحلال فإنه يتسبب في أن يبني أسرة قائمة على طاعة الله وينال ثوابه يوم القيامة ويكون ممن توجه إلى الله من هذا الباب.



٥١- باب حسن التبعل

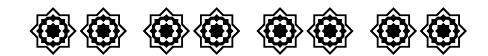
قد تدرك المرأة بحسن تبعلها لزوجها مكانة عظيمة عند الله. وبهذا التصرف تتوجه إلى الله بعملها في بيتها ومعاملتها لزوجها وأولادها. قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ **[النساء: ٣٤]**.

عن أبي هريرة رضي اللَّهُ عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يسْجُدَ لأَحدٍ لأَمَـرْتُ المـرْأَة أَنْ تَسْـجُدَ لِزَوْجِهَـا**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وعن أُمِّ سلمةَ رضي اللَّهُ عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أَيُّما امـرأَةٍ ماتَتْ وزوْجُهَا عنها راضٍ دخَلَتِ الجَنَّةَ**» رواه الترمذي وقال حديث حسن. فرضاء الزوج بما لا يتعارض مع الشرع من أمور الأسرة وشؤون الحياة يخدم وحدة الأسرة ويجعلها قوية متماسكة وبذلك تكون المرأة قد ساهمت بفاعلية في بناء المجتمع وتماسكه، وعن ابن عمرَ رضي اللَّهُ عنهما عن النبي ﷺ قال: «**كُلُّكُـمْ راعٍ، وكُلُّكُـمْ مسئولٌ عنْ رعِيَّتِهِ، والأَمِيرُ رَاعٍ، والرَّجُلُ راعٍ علَى أَهْلِ بَيْتِهِ، والمرْأَةُ راعِيـةٌ علـى بيْتِ زَوْجِها وولَدِهِ، فَكُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مسئولٌ عنْ رعِيَّتِهِ**» متفقٌ عليه، وفي هذا وضع أمانة برقبة المرأة لرعاية بيتها طالما هي راعية فيه.

هذا الباب من أبواب التوجه إلى الله خاص بالنساء، فالمراة مسؤولة عن رعاية بيتها كي تنشئ أسرة صالحة يكون خيرها للمجتمع كله. فإن هي قامت بهذا الحق ورعت بيتها وأحسنت لزوجها وكفته مؤونة النظر إلى ما لا يحل له مع عدم إغفالها فرائض الله عليها من صلاة وصيام وصدقة بل وأمر بمعروف ونهي عن منكر، كانت ممن تقرب إلى الله من باب عظيم وجدت ثوابه عند الله يوم الدين.

إن مكانة المرأة عظيمة، فإن هي قامت بواجبها تجاه أسرتها فهي المربية للأجيال وهي التي تحفظ كرامة المجتمع وهي التي تصون الشرف وهي التي تحفظ ميزانية الأسرة وهي التي تكون خلف الرجال العظام. فالتي تقوم بذلك وتحتسب ذلك عند الله تنال مكانة عظيمة عند الله.

وإن ابتليت المرأة برجل سيئ الخلق أو ضعيفًا في دينه فصبرت عليه أو كان فقيرًا فأعانته بعمل أو باقتصاد في المعيشة أو كان مهملاً لأولاده فرعتهم كأنها لهم أم وأب، مثل هذه المرأة إن فعلت ذلك ابتغاء مرضاة الله تصل مرتبة المجاهدين وكانت بعملها متوجهة إلى الله من باب عظيم.

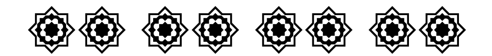


٥٢- باب تربية الأولاد

لقد جبل الله الخلق على الرحمة بالأولاد والذرية، وهو أمر يشترك فيه المؤمن والكافر، لكن المؤمن يحسن لمن يعولهم ابتغاء رضاء الله وثوابه وينصح لهم لكي يفوزوا بخير الدنيا والآخرة، ولا يقدم لهم إلاّ ما هو خير لهم في دينهم ودنياهم.

وقد يتوجه المرء إلى الله بإعالة البنات والإحسان إليهن وحسن تربيتهن، فعن أَنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ عَالَ جَارِيتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَومَ القِيامَةِ أَنَا وَهُو كَهَاتَيْنِ»** وَضَمَّ أَصَابِعَهُ – رواه مسلم. «جَارِيَتَيْنِ» أَيْ: بِنْتَيْنِ. وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها قالت: دَخَلَتَ عليَّ امْرَأَةٌ ومعهَا ابْنَتَان لَهَا تَسْأَلُ فَلَم تَجِدْ عِنْدِى شَيْئًا غَيْرَ تَمْرةٍ واحِدةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمتْهَا بَيْنَ ابنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ثُمَّ قامتْ فَخَرَجتْ، فَدخلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبرتُهُ فقال: **«مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا من النَّار»** متفقٌ عليه. وعنها ايضا رضي اللَّهُ عنها قالت: جَاءَتنى مِسْكِينَةٌ تَحْمِل ابْنَتَيْن لها، فَأَطعمتها ثَلاثَ تَمْرَاتٍ، فَأَعطتْ كُلَّ وَاحدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرفعتْ إِلى فيها تَمْرةً لتَأْكُلَهَا، فاستطعمتها ابْنَتَاهَا، فَشَقَّت التَّمْرَةَ التى كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تأْكُلَهَا بيْنهُمَا، فأَعْجبنى شَأْنُها، فَذَكَرْتُ الَّذي صنعَتْ لرسول اللَّه ﷺ فقال: **«إن اللَّه قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ، أَو أَعْتقَهَا بِهَا مَن النَّارِ»** رواه مسلم.

إن تربية الأولاد وتنشئتهم نشأة صالحة يرضى الله عنها من أهم دعائم بناء الأسرة والمجتمع والأمة، وهي مهمة يشترك بها الأب والأم والمدرسة والإعلام والمجتمع والدولة. ففي نطاق الأسرة يقع الواجب على الأبوين في التربية والتوجيه داخل البيت وخارجه وفي تقديم الرزق الحلال للأولاد وفي القدوة الصالحة لهم، وفي المجتمع على من وقف على ثغرة من ثغرات التربية والتعليم والإعلام أن يحسن القصد والعمل لكي يخدم الأمة بعمله، فما يقدم من إصلاح هو خدمة لأهله، وبذلك يكون ممن يتوجه إلى الله عن هذا الطريق.



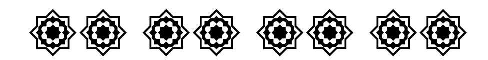
٥٣- باب صلة الرحم

باب عظيم للتوجه إلى الله وهو باب صلة الرحم، وهو باب عظيم لأن العداوة البغضاء والتدابر والتحاسد كثيرًا ما ينتشر بين الأقرباء من ذوي الأرحام. وعلى ذلك فصلة ذوي الأرحام فيه محاربة للشيطان وعصيان لما تسوّل به النفس من مقابلة السيئة بأسوأ منها ومن تحاسد بين الأقران قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ **[النساء: ١]**. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ **[الرعد: ٢١]**. قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيوم الآخِرِ، فَلْيصلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَالْيوْمِ الآخِرِ، فلْيقُلْ خيرًا أَوْ لِيَصمُتْ»** متفقٌ عليه. كما قال ﷺ: **«إِنَّ اللَّه تَعَالى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هذا مُقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعةِ، قال: نَعمْ أَمَا تَرْضينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قالت: بَلَى، قال فذلِكَ، ثم قال رسول اللَّه ﷺ: اقرءوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ **[محمد: ٢٢ - ٢٣]** متفقٌ عليه. وفي رواية للبخاري: فقال اللَّه تعالى: **«منْ وَصلَكِ، وَصلْتُهُ، ومنْ قَطَعكِ قطعتُهُ»** وعن أَنسٍ رضي اللَّه عنه أَن رسولَ اللَّه ﷺ قال: **«مَنْ أَحبَّ أَنْ يُبْسَطَ له في رزقِهِ، ويُنْسأَ لَهُ في أَثرِهِ، فَلْيصِلْ رحِمهُ»** متفقٌ عليه. ومعْنى **«ينسأَ لَهُ في أَثرِه»**: أَيْ: يؤخر له في أَجلهِ وعُمُرِهِ. وعنه قال: كان أَبُو طَلْحَة أَكْثَر الأَنصار بِالمَدينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وكان أَحبُّ أَمْوَالِهِ بيرْحَاءَ، وكَانتْ مُسْتقْبِلَة المَسْجِدِ، وكَان رسولُ اللَّه ﷺ يدْخُلُهَا، وَيَشْرَب مِنْ ماءٍ فيها طَيِّبٍ، فَلمَّا نَزَلتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ

﴿تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ **[آل عمران: ٩٢]** قام أَبو طَلْحة إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّه إنَّ اللَّـه تَبَارَك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ وَإِنَّ أَحب مالى إِليَّ بِيَرْحَاءَ، وإِنَّهَا صَدقَةٌ للَّهِ تعالى، أَرجُو بِرَّهَا وذُخْرهَا عِنْد اللَّه تعالى، فَضَعْهَا يا رسول اللَّه حيثُ أَراكَ اللَّه. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**بَخٍ، ذلِكَ مالٌ رابحٌ، ذلِكَ مالٌ رابحٌ، وقَدْ سَمِعْتُ ما قُلتَ، وإِنِّي أَرى أَنْ تَجْعَلَهَا في الأَقْربين**» فقال أَبو طَلْحة: أَفعلُ يا رسول اللَّه، فَقَسَمهَا أَبو طَلْحة في أَقاربِهِ وبني عمِّهِ - متفقٌ عليه. وفي تعريف صلة الرحم عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ الْواصِلُ بِالْمُكافِئِ وَلكِنَّ الواصِلَ الَّذي إِذا قَطَعتْ رَحِمُهُ وصلَهَا**» - رواه البخاري. وعن عائشة قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الرَّحمُ مَعلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وصلني وَصَلَهُ اللَّه، وَمَن قَطَعَني، قَطَعَهُ اللَّه**» متفقٌ عليه. وعن أُمِّ المُؤْمِنِينَ ميمُونَةَ بنْتِ الحارِثِ رضي اللَّه عنها أَنَّهَا أَعتَقَتْ وليدةً وَلَم تَستَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ، فلَمَّا كانَ يومهَا الَّذي يدورُ عَلَيْهَا فِيه، قالت: يا رسول اللَّه إِنِّي أَعْتَقْتُ وليدتي؟ قال: «أَوَ فَعلْتِ؟» قالت: نَعمْ قال: «**أَما إِنَّكِ لو أَعْطَيتِهَا أَخوالَكِ كان أَعظَمَ لأَجركِ**» - متفقٌ عليه، وهذا دليل على أن صلة الرحم بهدية أو بصدقة أفضل من عتق الرقاب. وعن أبي أَيُّوب خالدِ بن زيدٍ الأنصاري رضي اللَّه عنه أَن رجلاً قال: يا رسولَ اللَّه أَخبِرْني بِعملٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدني مِنَ النَّارِ، فقال النبيُّ ﷺ: «**تعبُدُ اللَّه، ولا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وتُؤْتي الزَّكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِم**» متفقٌ عليه. وعن سلْمان بن عامرٍ رضي اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الصَّدقَةُ عَلَى المِسكِينِ صدقَةٌ، وعَلَى ذي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وصِلَةٌ**». رواه الترمذي. وقال: حديث حسن.

وصلة الرحم تشمل جوانب من إقامة أواصر المحبة والترابط بن الناس حتى بعد قرون أو دهور. فعن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إِنَّكُم ستفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ**». وفي روايةٍ: «**ستفْتحُونَ مصْر وهِي أَرْضٌ**

يُسَمَّى فِيها القِيراطُ، فَاستَوْصُوا بِأَهْلِها خيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمة ورحِمًا». وفي روايةٍ: **«فإذا افْتَتحتُموها، فَأَحْسِنُوا إِلى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لهُم ذِمَّةً ورحِمًا»** أَو قال **«ذِمَّةً وصِهرًا»** رواه مسلم. قال العُلَماءُ: الرَّحِمُ التي لهُمْ كَوْنُ هَاجَر أُمُّ إِسْماعِيلَ ﷺ مِنْهمْ. «والصِّهْرُ»: كونُ مارِية أُمِّ إِبراهِيمَ ابنِ رسول اللَّه ﷺ منهم. فالرسول ﷺ يأمر أصحابه من بعده الذين يفتحون مصر أن يحسنوا لأهلها إكرامًا لصلة قرابة كانت قد تمت قبل آلاف السنين ولمصاهرة رسول الله ﷺ بزواجه من مارية القبطية.

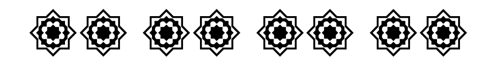


٥٤- باب رعاية الأيتام والأرامل والمحتاجين

من الناس الذين يتقربون إلى الله برعاية اليتيم من ابتلي بيتيم له فيرعاه ويحسن إليه ويقربه، ومن الناس من وضع الله في قلبه حبّ الإحسان للأيتام ممن ليس له فيسعى بحثًا عنهم أو يشارك غيره في مؤسسات رعاية الأيتام والأرامل والعجزة والمنقطعين والمسجونين فيقضي وقته في رعايتهم وقضاء حاجاتهم والإحسان إليهم والتقرب إلى الله بإرضائهم وإدخال السرور إلى قلوبهم. وكلا الحالين باب عظيم للتقرب إلى الله إن ابتغي به وجه الله تعالى. قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ **[الحِجر: ٨٨]**. وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ **[الكهف: ٢٨]**. ونهى عن سوء معاملة الأيتام فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ **[الضُّحى: ٩ - ١٠]**. وقال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾**[الماعون: ١ - ٣]**. قال رسول اللَّه ﷺ: **«كَافِلِ الْيتيمِ لَهُ أَوْ لِغَيرِهِ، أَنَا وهُوَ كهَاتَيْنِ في الجَنَّةِ» وَأَشَارَ الرَّاوي وهُو مَالِكُ بْنُ أَنسٍ بِالسَّبَّابةِ والْوُسْطى** - رواه مسلم. وقوله ﷺ: **«الْيَتِيمُ لَه أَوْ لِغَيرِهِ»** معناهُ: قَرِيبهُ، أَوْ الأَجنَبِيُّ مِنْهُ، فَالْقَرِيبُ مِثلُ أَنْ تَكْفُلَه أُمُّه أَوْ جدُّهُ أَو أَخُوهُ أَوْ غَيْرُهُمْ مِنْ قَرَابتِهِ. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺقال: **"من قبض يتيمًا من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ألبتة إلاّ أن يعمل ذنبًا لا يغفر"** - المنذري في الترغيب والترهيب - بإسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما -

فمن يبحث عن المساكين ويتصدق عليهم أو يدل الناس عليهم لكي يتصدقوا عليهم وينذر نفسه لخدمة هؤلاء الأيتام والمساكين والأرامل والضعفاء ممن لا يؤبه لهم ولا يعرف بهم أحد، من يقوم بذلك هو على ثغرة من ثغرات المسلمين وله ثواب عظيم وهو يتجه إلى الله بهذا الباب العظيم فهو كالقائم والصائم، قال رسول الله ﷺ: **«السَّاعِي علَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ كَالمُجاهِدِ في سبيلِ اللَّه»** وأَحْسُبهُ قال: **«وَكَالْقائِمِ الَّذي لا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لا يُفْطِرِ»** متفقٌ عليه.

ومن الأبواب التي يجدر بالمسلمين اليوم الإنتباه إليها العمل في المؤسسات العالمية لإعانة المنكوبين جراء الزلازل والكوارث والمجاعات والحروب وعدم ترك ذلك للمنظمات التبشيرية والمشبوهة التي تستغل عوز هؤلاء لأغراضها وهذه ثغرة من ثغرات الإسلام يرجى لمن وقف عليها ورعاها ابتغاء وجه الله أن يجد ثوابها عند الله يوم القيامة ويكون ممن يتوجه إلى الله من هذا الباب العظيم.



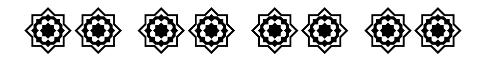
٥٥- باب رعاية الجار

قال اللَّه تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ **[النساء: ٣٦]**. وعن ابنِ عمرَ وعائشةَ رضي اللَّه عنهما قَالا: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجارِ حتَّى ظَنَنتُ أَنَّهُ سيُوَرِّثُهُ»** متفقٌ عليه. وعن أبي شُرَيْح الخُزاعيِّ رضي اللَّه عنه أَن النبي ﷺ قال: **«مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ والْيوْمِ الآخِرِ، فَلْيُحسِنْ إِلِى جارِهِ، ومنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفهُ، ومنْ كانَ يؤمنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيسْكُتْ»** رواه مسلم بهذا اللفظ، وروى البخاري بعضه. وعن عبدِ اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«خَيْرُ الأَصحاب عِنْدَ اللَّهِ تعالى خَيْرُهُمْ لصاحِبِهِ، وخَيْرُ الجيران عِنْدَ اللَّه تعالى خيْرُهُمْ لجارِهِ»** رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وحفظ حق الجار تشمل الجار المسلم وغير المسلم في الإحسان إليه ودفع الضرر عنه والدفاع عنه. وللجار حق وإن بعدت داره لكن الأقرب أولى من الأبعد.

رعاية الجار وحسن التعامل معه يشمل جار السكن وجار العمل وجار السفر وجار الصحبة وكلهم يستحقون الرعاية والمعاملة الحسنة والإحسان كتقديم الهدية والتسامح عن الزلات والإيثار وحل أي مشكلة بالحسنى وتفقد الأحوال والزيارة وغير ذلك، كلّ هذا مما يدخره الله لمن يقوم به يوم القيامة إن فعل ذلك ابتغاء وجه الله وحرص على حسن هذه الأعمال وأكثر منها مع جيرانه.

وحق الجوار لا ينحصر بالأفراد بل يشمل القرى والمدن والأقطار والأمم. فأهل القرى المتجاورة أو المدن القريبة من بعضها أو الأقطار المحاذية لبعضها كثيرًا ما تتعارض المصالح وتنشأ النزاعات نتيجة اقتسام مرعى أو اشتراك بمصادر مياه أو

عبور أشخاص أو نزاع على أراض أو حدود. إن حق الجوار يقضي أن تحل مثل هذه القضايا بالتي هي أحسن وأن يحسن الجار لجاره ويتسامح معه في بعض حقه ولا يلجأ إلى العنف والتآمر والأذى، فالمسؤولون في مثل هذه الأمور عليهم واجب رعاية الجوار بمثل ما على الأفراد من واجب في رعاية جار المسكن أو العمل أو السفر. فحسن الجوار وسيلة لبناء الثقة بين الناس وهو وسيلة لتوحيد الأمة والتعاون بين أفرادها وتقوية أواصر المودة والتفاهم بينها.



٥٦- باب التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان

قال تعـالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ **[المائدة: ٢]**.

التعاون على البر والتقوى يشمل جمع كلمة المسلمين ونبذ الخلاف والشـقاق والتعاون ما أمكن على الإصلاح والخير والبر وإعانة كـل مـن يريـد جمـع الكلمـة والإبتعاد عن كل ما يؤدي إلى الفرقة والخلاف، فعن أبي هريرة رضـي الله عنـه أن النبي ﷺ قال "**المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يـألف ولا يؤلـف**" الهيثمـي في مجمع الزوائد ورجاله رجال الصحيح. إن كثيرًا مـن أعمـال الخـير والـتي هـي مـن الواجبات، لا يمكن أن يقوم بها فرد واحـد، لـذلك يصـبح التعـاون واجبًـا للقيـام بذلك العمل. وابواب الخير التي يجب التعاون فيها كثيرة، فمن نذر نفسه للقيام بهـا وأحسن وسائل التعاون مع المخلصين الصادقين للقيـام بتلـك الأعمـال كـان ممـن توجه إلى الله من هذا الباب.

قال الله تعالى: فأقسم الله ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ فأقسم الله – تعالى- بالعصر الذي هو الزمن، والناس فيه منهم من يملؤه خيراً ومنهم من يملؤه شراً، فاقسم بالعصر لمناسبة المقسم به للمقسم عليه، وهو من أعمال العباد فقال ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ الإنسان عام ويشمل كل إنسان، من مؤمن وكافر، وعدل وفاسق، وذكر وأنثى، كل الإنسان في خسر، خاسر كل عمله، خسران عليه، تعبٌ في الدنيا وعدم فائدة في الآخرة، إلاّ من جمع هذه الأوصاف الأربعة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ فأصلحوا أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح، وأصلحوا غيرهم بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر. قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ **[التوبة: ٧١]**.

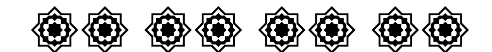
ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه**» متفق عليه، ويقول النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» متفق عليه. فهذه الأحاديث الثلاثة وما جاء في معناها أصول عظيمة في وجوب محبتك لأخيك كل خير وكراهتك له كل شر ونصيحتك له أينما كان وأنه وليك وأنت وليه كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ **[التوبة: ٧١]**، وفي هذا المعنى أيضا ما رواه مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الدين النصيحة**» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» وفي هذا الحديث العظيم إخبار النبي عليه الصلاة والسلام أن الدين كله النصيحة، والنصح هو الإخلاص في الشيء وعدم الغش والخيانة فيه. فالمسلم لعظم ولايته لأخيه ومحبته لأخيه ينصح له ويوجهه إلى كل ما ينفعه ويراه خالصًا لا شائبة فيه ولا غش فيه. وفي هذا المعنى أيضا ما رواه الشيخان من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: **(بايعت النبي ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم).**

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ:رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**». وقد بوّب الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ باباً تحت عنوان (أَعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا

أَوْ مَظْلُومًا)، قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: تَرْجَمَ بِلَفْظ الْإِعَانَة لما في رواية اِبْن عَدِيّ، وأَبي نُعَيْم **«أَعِنْ أَخَاك ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»** مِنْ الْوَجْهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْهُ الْبُخَارِيّ بِهَذَا اللَّفْظِ. قَالَ الْبَيْهَقِيّ: **«مَعْنَاهُ أَنَّ الظَّالِمَ مَظْلُومٌ فِي نَفْسِهِ فَيَدْخُلُ فِيهِ رَدْع الْمَرْءِ عَنْ ظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ حِسًّا وَمَعْنًى»**.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ـ رحمه الله ـ:«نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ السِّلَاحِ فِي الْفِتْنَةِ، وَلاَ رَيْبَ أَنَّ هَذَا سَدٌ لِذَرِيعَةِ الْإِعَانَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَيَلْزَمُ مَنْ لَمْ يَسُدَّ الذَّرَائِعَ أَنْ يُجَوِّزَ هَذَا الْبَيْعَ كَمَا صَرَّحُوا بِهِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا الْبَيْعَ يَتَضَمَّنُ الْإِعَانَةَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَان، وَفِي مَعْنَى هَذَا كُلُّ بَيْعٍ أَوْ إجَارَةٍ أَوْ مُعَاوَضَةٍ تُعِينُ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَبَيْعِ السِّلَاحِ لِلْكُفَّارِ وَالْبُغَاةِ وَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ، أَوْ إجَارَةُ دَارِهِ أَوْ حَانُوتِهِ لِمَنْ يُقِيمُ فِيهَا سُوقَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ إعَانَةٌ عَلَى مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ وَيُسْخِطُهُ».

إن الأسباب التي تمنع التعاون بين المسلمين كلها من الشيطان. فالكبر والعجب وسوء الظن والجهل ينبغى على المسلمين التخلص منها بالتواضع بعضهم لبعض وحسن الظن والثقة بعضهم ببعض ومعرفة نقائص المرء لنفسه فيتداركها ومواطن المعرفة والقوة عند أخيه فيتعاون معه للإفادة منها، كل ذلك يدفع المسلمين إلى التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان. والتعاون اليوم ضروري لتكوين مؤسسات صغيرة وكبيرة وجمعيات وشركات بل وتعاون بين الدول في سبيل الخير والإصلاح. كل ذلك تحتاجه الأمة، فمن ساعد فيه وعمل على إنجاح تلك المساعي وأخلص في مسعاه ونشر الخير كان ممن توجه إلى الله من هذا الباب.



٥٧- باب حسن الخلق

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ **[القلم: ٤]** كما قال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ **[آل عمران: ١٥٩]**.

عن أبي الدرداءِ رضي اللَّه عنه: أَن النبيَّ ﷺ قالَ: **«ما من شَيءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامة من حُسْنِ الخُلُقِ، وإِنَّ اللَّه يُبغِضُ الفَاحِشَ البَذِيّ»** رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. «البذِيُّ»: هو الذي يَتَكَلَّم بـالفُحْشِ ورديء الكـلامِ. وعن أبي هُريرة رضيَ اللَّه عنه قال: سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخلُ النَّـاس الجَنَّةَ؟ قال: **«تَقْوى اللَّهِ وَحُسنُ الخُلُق وَسُئِلَ عن أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»**. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. كما قال عليه الصـلاة والسلام: **«أَكْمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا، وخيارُكُم خِيَارُكُمْ لِنِسَـائِهِمْ»**. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وعن عائشةَ رضيَ اللَّه عنها، قالت سمعـت رسولَ اللَّه ﷺ يقـول:**«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْركُ بِحُسنِ خُلُقِه درَجةَ الصائمِ القَـائمِ»** رواه أبو داود. وعن أبي أُمَامَة الباهِلِيِّ رضي اللَّه عنه قـال: قـال رسـول اللَّـه ﷺ: **«أَنـا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيتٍ في وَسَـطِ الجَنَّـةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِن كَانَ مازحًا، وَببيتٍ في أعلى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ»** – رواه أبو داود بإِسناد صحيح. «الزَّعِيمُ»: الضَّامِنُ. وعن جابر رضي اللَّه عنـه أَن رسـول اللَّه ﷺ قال: **«إِن مِنْ أَحَبِّكُم إِليَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجلسًـا يَـومَ القِيَامَـةِ، أَحَاسِـنَكُم أَخلاقًا، وإِنَّ أَبْغَضَكُم إِلـيَّ وَأَبْعَـدكُم مِنِّـي يـومَ الْقِيامـةِ، الثَّرْثَـارُونَ والمُتَشَـدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ» قالوا: يا رسول اللَّه قَدْ عَلِمْنَا الثَرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا المُتَفيْهِقُونَ؟**

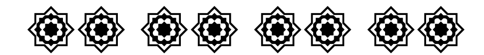
قال: **«الْمُتَكَبِّرُونَ»** رواه الترمذي وقال: حديث حسن. «الثَّرثَارُ»: هُوَ كَثِيرُ الكَلامِ تَكلُّفًا. «وَالْمُتَشَدِّقُ»: الْمُتَطاوِلُ عَلى النَّاسِ بِكَلامِهِ، وَيتَكَلَّمُ بِملءِ فيه تَفَاصُحًا وَتَعْظِيمًا لكلامِهِ، «وَالْمُتَفَيْهِقُ»: أَصلُهُ مِنَ الفَهْقِ، وهُو الامْتِلاءُ، وَهُوَ الذي يَمْلأُ فَمَهُ بِالكَلامِ، وَيَتَوَسَّعُ فيه، وَيُغْرِب بِهِ تَكَبُّرًا وَارتِفَاعًا وإِظْهَارًا للفَضِيلَةِ عَلى غيرِهِ. وروى الترمذي عن عبد اللَّه بن المباركِ رحِمه اللَّه في تَفْسيرِ حُسْنِ الخُلُقِ قال: هُوَ طَلاقَةُ الوجه وبذلُ المَعرُوف وكَفُّ الأَذَى. وعَنْ عدِيٍّ بن حَاتمٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»** متفقٌ عليه. وعن أبي ذَرٍّ رضي اللَّه عنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: **«لا تحْقِرَنَّ مِنَ المعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ»** رواه مسلم.

حسن الخلق إذا ما اعتاده المؤمن وجعله عادة متأصلة فيه سهل عليه التعامل مع الناس، فطلاقة الوجه لا تكلف المرء تعبًا ولا جهدًا، وتقديم المعونة لمن يحتاجها ودفع الأذى قدر استطاعته ومعاملة الناس بالحسنى وتيسير الأمور على الناس والتسامح مع من يخطئ معه، والصبر على الأذى، كل تلك الخلال من حسن الخلق، إن اعتاد عليها رفعته عند الله إلى مكانة عظيمة ويدخله الله الجنة كما وعد رسول الله ﷺ.

وحسن الخلق يجب أن يبتغى به وجه الله فمن حسن خلقه مع الله لا يبالي أرضي الناس أم سخطوا وهو يعامل المؤمن وغير المؤمن والصالح والفاسق والحيوان والنبات والجماد كما أمره الله تعالى فيرقى بحسن خلقه مكانة لا يصلها غيره ممن ساء خلقه.

ومن حسن الخلق الدفع بالتي هي أحسن. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ **[فُصِّلَت: ٣٤]**.

والدفع بالتي هي أحسن يجمع كثيرًا من الصفات. فهو يشمل حسن الخلق ويشمل لين الجانب والسماحة والرفق وترك الجدال والمراء والتيسير. كما أنه يشمل الشجاعة في كظم الغيظ تجاه المسيء الذي تدعوه النفس إلى مجابهته بإساءة كإساءته أو أكثر من ذلك، لكن المؤمن وقّاف عند حدود الله فلا يدع نفسه تظلم بل ويجبرها على اختيار ما هو أحسن من قول أو فعل. وقد يكون تصرف حسن في موقف يدفع المسيء إلى ترك إساءته كما يفضي إلى المحبة والإلفة بين المسلمين كما بينت الآية الكريمة أعلاه، وقد وردت في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تدفع المسلم للعفو والصفح حتى عن الكفار طمعًا في إفادتهم من هذه الاحسان وتأليفًا لقلوبهم كي يروا سماحة هذا الدين وحسن خلق من تمسك به.



٥٨- باب سلامة الصدر

من أبواب التوجه إلى الله أن يتعامل المرء مع الناس دون غل أو حقد أو حسد وليس في صدره بغض لأحد ولا ضغينة تجاه أحد. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ **فقال: يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ: مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ: مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبي ﷺ تبع عبد الله بن عمرو الأنصاري، فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه تعار تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل، وكبر حتى صلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك** (الترغيب والترهيب للمنذري وإسناده على شرط البخاري ومسلم).

ودُخل على أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه وهو الذي بايع رسول الله ﷺ على الموت وقد استشهد يوم اليمامة، دخل عليه وهو مريض وكان وجهه يتهلل فقيل له ما لوجهك يتهلل؟ فقال ما من عملي شيئ أوثق عندي من اثنتين:

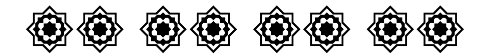
أما إحداهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليمًا.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: **قال لي رسول الله: يا بني، إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل. ثم قال لي: يا بني، و ذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة** - أخرجه الترمذي في سننه.

هذه الصفة التي ترفع مقام صاحبها بدرجات عالية لا تكلف الكثير من العمل بل سلامة الصدر تجاه المسلمين، فمن أخرج ما في قلبه من غل وحقد وحسد وشر وخيانة نال هذه الدرجة وكان ممن يتوجه ألى الله من هذا الباب.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **"لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر قال: وأتى رسول الله ﷺ مال فقسمه قال: فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة فتثبت حتى سمعت ما قالا ثم أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئا وإني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا قال: فاحمر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه ثم قال: دعنا منك فقد أوذي موسى بأكثر من ذلك ثم صبر"** رواه أحمد بإسناد حسن.

ويستنتج من هذا الحديث أن هناك من الأمور ما يعين على سلامة الصدر. فأول هذه الأمور أن لا يستمع لغيبة أحد فضلاً عن أن يغتاب هو أحدًا وثانيها أن لايقبل نميمة من أحد على أحد وثالثها أن يحسن الظن بالمسلمين ويصفح عن من يسيء إليه ويقبل أعذارهم وأن لا يتتبع عوراتهم وأن يدعو للمسلمين عامة ولمن يعرف خاصة في غيابهم.

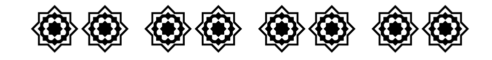


٥٩- باب مكارم الأخلاق

الذين يتخلقون بمكارم الأخلاق يتجهون إلى الله من باب عظيم، فمكارم الأخلاق هي مهمة الأنبياء ومهمة سيد المرسلين ﷺ حين يقول: "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**" رواه إبن عبد البر وصححه. وفي حديث مرسل رواه طلحة بن عبيدالله الخزاعي أن رسول الله ﷺ: "**إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها**" - الجامع الصغير -

ومكارم الأخلاق تشمل كثيرًا من الخلق فهي تشمل الكرم وتشمل الحلم وتشمل التواضع وتشمل العفو عن الظالم وتشمل صلة الرحم وتشمل الكثيرمما يتعلق بالتعامل في المجتمع. ورد في ميزان الإعتدال للذهبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إن من مكارم الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك**" ودخل قوم على أنس بن مالك رضي الله **عنه يعودنه في مرض له فقال يا جارية هلمي لأصحابنا ولو كسرًا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول مكارم الأخلاق من أعمال الجنة** (رواه المنذري في الترغيب والترهيب بإسناد جيد) وعن معاذ بن جبل **أنه سئل عن استقراض الخمير والخبز فقال سبحان الله هذا مكارم الأخلاق فخذ الصغير وأعط الكبير وخذ الكبير وأعط الصغير خيركم أحسنكم قضاء سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك** (رواه محمد بن عبد الهادي بإسناد صالح لكنه منقطع).

باب مكارم الأخلاق باب عظيم فهو يشمل كل صفات حسن الخلق ويشمل القيام بأعمال رفيعة عالية المقاصد كالكرم وبذل المعونة للضعفاء والمحتاجين واجتناب ما ينقص من المروءة وما يعاب على المرء ولا ينزل إلى مستوى الوضاعة في خصام أو عداوة ولا يفعل أي فعل يدل على دناءة نفس أو احتيال أو غش أو تواطئ على ذلك.



٦٠- باب القناعة

القناعة باب من أبواب القرب إلى الله وباب من أبواب السعادة في الدنيا والآخرة. الشخص القانع يرضى بما قسم الله له ويقنع بالقليل من الرزق ولا يمد عينيه إلى من آتاه الله مالاً أو جاهًا أو ولدًا أكثر منه، فهو يحمد الله على نعمه ويبيت دون أن يفكر برزق غده. والقناعة مقترنة باليقين قال اللّه تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ **[هود: ٦]**. وعن النبي ﷺ قال: **«لَيس الغِنَـي عَن كثْرَةِ العَرضِ، وَلكِنَّ الغنِيَ غِنَي النَّفسِ»** متفقٌ عليه.«العَرَضُ» بفتح العين والراءِ: هُوَ المَالُ. كما قال عليه الصلاة والسلام: **«قَدْ أَفلَحَ مَنْ أَسَلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّه بما آتَاهُ»** رواه مسلم. وعن حَكيم بن حِزَام رضي اللَّه عنه قال: سَأَلْتُ رسول اللَّه ﷺ فَأَعطَاني، ثم سَأَلْتُهُ فَأَعطَاني، ثم سَأَلْتُهُ فَأَعطَاني، ثم قال: **«يا حَكيمُ، إِنَّ هذا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمن أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفس بُورِكَ لَهُ فِيه، وَمَن أَخَذَهُ بِإِشرَافِ نَفْسٍ لَم يُبَارَكْ لهُ فيهِ، وكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ ولا يَشْبَعُ، واليدُ العُلَيا خَيرٌ مِنَ اليَدِ السُّفلَى»**. متفقٌ عليه. ووصف المال بالخضر الحلو لأن الإنسان يميل إلى المال كما يميل إلى الفاكهة الحلوة اللذيذة)، وسخاوة النفس تعني بغير سؤال ولا طمع. كما قال رسول اللَّه ﷺ: **«انْظُرُوا إلى منْ هَوَ أَسفَلُ منْكُمْ وَلا تَنْظرُوا إلى مَنْ فَوقَكُم فهُوَ أَجْدرُ أَن لا تَزْدَرُوا نعمةَ اللَّه عَلَيْكُمْ»** متفقٌ عليه وهذا لفظ مسلمٍ. وفي رواية البخاري **«إِذا نَظَر أَحَدُكُمْ إلى مَنْ فُضلَ عليهِ في المالِ وَالخَلْقِ فلْيَنْظُرْ إلى مَنْ هو أَسْفَلُ مِنْهُ»**.

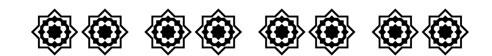
فالقانع يتجه إلى الله من باب عظيم فهو يرى ما عند الله خير من كثرة المال بل يرى أن البركة هي ما يبقى وليس كثرة ما في اليد. قال رسول اللَّه ﷺ: **«منْ أَصبح**

مِنكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ، معافى في جَسدِه، عِندهُ قُوتُ يَومِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَـهُ الـدُّنْيَا بِحذافِيرِها». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ. «سِرْبِهِ»، أَي: نَفْسِهِ، وقِيلَ: قَومِه.

والقناعة هي الرضا بما قسم الله، ولو كان قليلا، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الآخرين، وهي علامة على صدق الإيمان. وهذه **القناعة** هي فيما يتعلق بالدنيا، أما في عمل الخير والأعمال الصالحة فإنه يحرص دائمًا على المزيد من الخيرات، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ **[البقرة: ١٩٧]**. وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ **[آل عمران: ١٣٣]**. والإنسان القانع يحبه الله ويحبه الناس، والقناعة تحقق للإنسان خيرًا عظيمًا في الدنيا والآخرة، وهي سبب للبركة، فهي كنز لا ينفد، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنها أفضل الغنى، فقال: **(ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس)** [متفق عليه]، فالمسلم عندما يشعر بالقناعة والرضا بما قسمه الله له يكون غنيًا عن الناس، عزيزًا بينهم، لا يذل لأحد منهم. أما طمع المرء، ورغبته في الزيادة فإن ذلك يجعله ذليلاً إلى الناس، فاقدًا لعزته، قال الله ﷺ: **(وارْضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)** [الترمذي وأحمد].

والإنسان الطماع لا يشبع أبدًا، ويلح في سؤال الناس، ولا يشعر ببركة في الرزق، قال الله ﷺ: **(لا تُلْحِفُوا (تلحوا) في المسألة، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا فتُخْرِجُ له مسألتُه مِنِّي شيئًا، وأنا له كاره، فيبارَكُ له فيما أعطيتُه)** [مسلم والنسائي وأحمد]. وقال الله ﷺ: **(اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعففْ يعِفَّهُ الله، ومن يستغنِ يغْنِهِ الله)** [متفق عليه]. وعلى ذلك فالقناعة باب عظيم من أبواب التوجه إلى الله فقد بين الرسول ﷺ أن المسلم القانع الذي لا يسأل الناس ثوابُه الجنة، فقال: **(من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة؟)**، فقال ثوبان: أنا. فكان لا يسأل أحدًا شيئًا

[أبو داود والترمذي وأحمد]. وفي الحديث القدسي: **(يا ابن آدم تفرغْ لعبادتي أملأْ صدرك غِنًى، وأَسُدَّ فقرك. وإن لم تفعل، ملأتُ صدرك شُغْلا، ولم أَسُدَّ فقرك)** [ابن ماجه]. وقال أحد الحكماء: سرور الدنيا أن تقنع بما رُزِقْتَ، وغمها أن تغتم لما لم ترزق.



٦١- باب الحلم

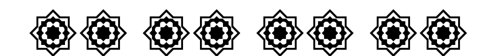
قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ **[آل عمران: ١٣٤]** وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ **[الشورى: ٤٣]** وقال ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴾ **[الشورى: ٣٧]**.

عَنْ رَوْح بْن عُبَادَةَ عَنْ أَشْعَث عَنْ الْحَسَن مُرْسَلاً "**إِنَّ لِلَّهِ بَابًا فِي الْجَنَّة لَا يَدْخُلهُ إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْ مَظْلِمَة**" رواه أحمد. وعنْ مُعاذ بْنِ أَنَسٍ رضي اللَّه عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كظَمَ غيظًا، وهُو قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخلائقِ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ**» رواه أَبو داوُدَ، والتِّرْمِذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ. وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ لأَشَجِّ عبْدِ الْقَيْس: «**إِنَّ فيك خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاة**» رَواهُ مُسلم. وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أَنَّ رَجُلاً قال للنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي قال: «**لا تَغْضَبْ**» **فَرَدَّدَ مِرارًا، قال: «لا تَغْضَبْ»** رواه البخاري. وقال ﷺ: "**ليس الشديد بالصرعة ولكن الصرعة من يملك نفسه عند الغضب**" متفق عليه.

والحلم يمكن أن يعتاد عليه المرء تدريجيًا وذلك بأن يعلم مضار الغضب فيراقب نفسه بحيث يوطنها على الصبر عندما يسيء إليه أحد أو حينما يرى ما يغضبه فيربي نفسه شيئًا فشيئًا حتى يصبح الحلم عادة متأصلة في النفس. فعلى المرء أن يتعوذ من الشيطان الرجيم إن غضب، فعن سليمان بن صرد قال: استب رجلان عند النبي ﷺ، فغضب أحدهما، فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير: فقال النبي ﷺ: **(إني لأعلم كلمة، لو قالها لذهب عنه الذي يجد)**.- رواه البخاري، قال تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾

[فُصِّلَت: ٣٦]وعليه أن يسكت، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "**علموا وبشروا ولا تعسروا، ويسروا ولا تنفروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت**" - الجامع الصغير -

وإذا كان قائمًا فليجلس وإن كان جالسًا فليضطجع فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**" سنن أبي داؤود بسند صالح. وعليه أن يتوضأ فعن عطية بن عروة السعدي قال قال رسول الله ﷺ "**إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**" رواه أبو داؤود بسند صالح وحسن في هداية الرواة.



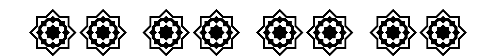
٦٢- باب العفو

قال اللَّه تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ **[الأعراف: ١٩٩]** وقال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ **[الحجر: ٨٥]** وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **[النور: ٢٢]** كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ **[آل عمران: ١٣٤]**. وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ **[الشورى: ٤٣]**. وعن أَنس رضي اللَّه عنه قال: **كُنتُ أَمْشِي مَعَ رسول اللَّه ﷺ وعليه بُردٌ نَجْرَانيٌّ غليظُ الحَاشيةِ، فأَدركَهُ أَعْرَابيٌّ، فَجبذهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَة شَديدَةً، فَنظرتُ إلى صفحة عاتِق النَّبيِّ ﷺ، وقَد أَثَّرَت بِها حَاشِيةُ الرِّداءِ مِنْ شِدَّةِ جبذَتِهِ، ثُمَّ قال: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لي مِن مال اللَّهِ الذي عِندَكَ. فالتَفَتَ إِلَيْه، فضحِكَ، ثُمَّ أَمر لَهُ بعَطَاءٍ** – متفقٌ عليه. وعن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: **كأَنِّي أَنظُرُ إلى رسول اللَّه ﷺ يحْكِي نَبيًّا مِن الأَنبياءِ، صلوَاتُ اللَّهِ وَسلامُه عَلَيهم، ضَرَبَهُ قَومُهُ فَأَدموهُ، وَهُوَ يَمسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجهِهِ، ويقول: «اللَّهُمَّ اغفِرِ لِقَومي فَإِنَّهُم لا يَعْلَمُونَ»** متفقٌ عليه.

وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه أَن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما نَقَصَتْ صَدقَةٌ من مال، وما زاد اللَّه عَبدًا بِعَفوٍ إِلاَّ عِزًّا، ومَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ**» رواه مسلم. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ما تجرع مؤمن جرعة أحب إلى الله من غيظ كظمه فاعفوا يعزكم الله.

جاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال إن فلانًا قد وقع فيك، قال فانطلق بنا إليه، فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه، فلما أتاه قال ياهذا إن كان ما قلت فيّ حقًا فغفر الله لي، وإن كان ما قلت باطلاً فغفر الله لك.

باب العفو باب يدخل منه من استطاع أن يقهر شهوة نفسه على الإنتقام ممن ظلمه وأن يتجاوز للمسيئ إليه ولا يأخذ بثأر، فعن قتادة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضيغم – أو ضمضم – كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك**" صحيح أبي داود. إن العفو والتغلب على شهوة الإنتقام حقًا عقبة كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ **[البلد: ١١]**.



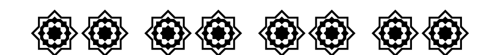
٦٣- باب التواضع

قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ **[الحجر: ٨٨]**، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ **[المائدة: ٥٤]**. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ **[الحُجُرات: ١٣]**. وعن عِيَاضِ بنِ حِمَارٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه أَوحَى إِليَّ أَنْ تَواضَعُوا حتى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلى أَحدٍ، ولا يَبغِيَ أَحَدٌ على أَحَدٍ»** رواه مسلم. وعَنْ أبي هريرة رضي اللَّه عنه أَن رسول اللَّه ﷺ قال: **«ما نَقَصَتْ صَدقَةٌ من مالٍ، وما زاد اللَّه عَبدًا بِعَفوٍ إِلاَّ عِزًّا، ومَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ»** رواه مسلم. وعن أَنس رضي اللَّه عنه **أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبيانٍ فَسَلَّم عَلَيْهِم وقال: كان النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ** - متفقٌ عليه. وعنه قال: **إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِن إِمَاءِ المَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النبيِّ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيثُ شَاءَتْ** - رواه البخاري. وعن الأَسوَد بنِ يَزيدَ قال: **سُئِلَتْ عَائِشَةُ رضيَ اللَّه عنها: ما كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصنعُ في بَيْتِهِ؟ قالت: كان يَكُون فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ يَعني: خِدمَةِ أَهلِه فإِذا حَضَرَتِ الصَّلاة خَرَجَ إِلى الصَّلاةِ - رواه البخاري. وعن أَبي رِفَاعَةَ تَميم بن أُسَيدٍ رضي اللَّه عنه قال: انْتَهَيْتُ إِلى رسول اللَّه ﷺ وهو يَخْطُبُ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، رجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عن دِينِهِ لا يَدري مَا دِينُهُ؟ فَأَقْبَلَ عَليَّ رسولُ اللَّه ﷺ وتَرَكَ خُطْبَتهُ حتى انتَهَى إِليَّ، فَأُتى بِكُرسِيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيهِ، وجَعَلَ يُعَلِّمُني مِمَّا عَلَّمَه اللَّه، ثم أَتَى خُطْبَتَهُ، فأَتَمَّ آخِرَهَا.** رواه مسلم.

التواضع خلق عظيم من تخلّق به وجبل نفسه عليه فإنه يتوجه إلى الله بذلك الخلق، والمتواضع لا يرى لنفسه ميزة على أحد من عباد الله بل إنه لا يتكبر على

حيوان ولا على الأرض التيبي يمشي عليها ولا على ذرة من ما خلق الله. فقد امتدح الله الذين يمشون على الأرض هونًا فقال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ **[الفرقان: ٦٣]**. ومن تواضع لله حق التواضع كان من الذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا. قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ **[القصص: ٨٣]**.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس"** رواه مسلم.

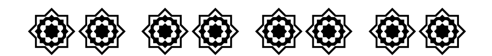


٦٤- باب الحياء

عن ابْنِ عُمَرَ رضي اللَّه عنهما أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِـنَ الأَنْصَـارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ في الحَيَاءِ، فَقَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: **«دَعْهُ فإِنَّ الحياءَ مِنَ الإِيمـانِ»** متفـقٌ عليه. وعن عِمْران بن حُصَيْن، رضي اللَّه عنهما، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«الحياَءُ لا يَأْتي إلاَّ بِخَيْرٍ»** متفق عليه. وفي رواية لمسلم: **«الحَياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»** أوْ قَـالَ: **«الحَيَـاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»**. وعن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ قـال: **«الإِيمَـانُ بِضْـع وسبْعُونَ، أوْ بِضْعُ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُها قوْلُ لا إله إلاَّ اللَّه، وَأَدْنَاها إمَاطةُ الأَذَى عنَ الطَّرِيقِ، والحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»** متفق عليه. «البِضْـعُ»: هُـوَ مِـن الثلاثـةِ إلى الْعَشَرَةِ. «وَالشُّعْبَةُ»: الْقِطْعَةُ والخَصْلَةُ. «وَالإماطَةُ»: الإزَالَـةُ، «وَالأَذَى»: مَـا يُـؤذِي كَحجَرٍ وَشَوْكٍ وَطينٍ وَرَمَادٍ وَقَذَرٍ وَنحوِ ذلكَ. وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضـي اللَّـه عنه، قال: كان رسول اللَّه ﷺ **أَشَدَّ حَيَاءَ مِنَ الْعَـذْرَاءِ في خِـدْرِهَا، فَـإذَا رأى شَـيْئًا يَكْرَهُه عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ** – متفقٌ عليه. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قـال قال رسول الله ﷺ: **"استحيوا من الله حق الحيـاء، قـالوا: إنـا نسـتحيي يـا نـبي الله والحمد لله، قال: ليس كذلك، ولكن من استحيى مـن الله حـق الحيـاء فلـيحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليـذكر المـوت والبلـى، ومـن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء "** – المجموع شرح المهذب للنووي بإسناد حسن –

قال العلماءُ: حَقِيقَةُ الحَياء خُلُقٌ يبْعثُ على تَرْكِ الْقَبِيحِ، ويَمْنَعُ منَ التقْصـير في حَقِّ ذِي الحَقِّ. وقال الجُنيْدِ البغدادي رَحِمَهُ اللَّه قال: الحَيَاءُ رُؤيَـةُ الآلاء أي: الـنِّعمِ ورؤْيةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتوَلَّدُ بيْنَهُمَا حالة تُسَمَّى حياءً.

فمن استحيا من الله حق الحياء راقب الله في فعله وقوله وأحواله واستحيا ان يفعل ما يغضب الله تعالى واستحيا أن يعرف بين الناس ما يخالف الفطـرة السـليمة والخلق القويم واستحيا أن يكون باطنه شرًا من ظاهره وعنـد ذلـك يتوجـه إلى الله من باب الحياء ونعم التوجه ذلك.



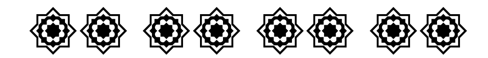
٦٥- باب السماحة

عَنْ أبي هُريرة، رضِيَ اللَّه عنْهُ، أَنَّ رجُلاً أتى النبي ﷺ يتَقاضَاهُ فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحابُهُ، فقَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«دعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مقَالاً»** ثُمَّ قَالَ: **«أَعْطُوه سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ»** قالوا: يا رسولَ اللَّهِ لا نَجِدُ إلاَّ أَمْثَل مِنْ سِنِّهِ، قال: **«أَعْطُوهُ فَإِنَّ خَيْرَكُم أَحْسنُكُمْ قَضَاءً»** متفقٌ عليه وعَنْ جابرٍ، رضي اللَّه عنْهُ، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«رَحِم اللَّه رجُلاً سَمْحًا إذا بَاع، وَإذا اشْتَرى، وَإذا اقْتَضىَ»**. رواه البخاريُّ. وعَنْ أبي قَتَادَةَ، رضي اللَّه عَنْهُ، قَالَ: سمِعْتُ رسُول اللَّهِ ﷺ يقولُ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّه مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»** رواهُ مسلمٌ. وعنْ أبي هُريرةَ، رضي اللَّه عَنْهُ، أنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«كَانَ رجلٌ يُداينُ النَّاسَ، وَكَان يَقُولُ لِفَتَاهُ: إذا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجاوزْ عَنْهُ، لَعلَّ اللَّه أنْ يَتجاوزَ عنَّا فَلقِي اللَّه فَتَجاوَزَ عنْهُ»** متفقٌ عَليهِ. وعَنْ أبي مسْعُودٍ البدْرِيِّ، رضي اللَّه عنْهُ، قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **«حُوسب رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قبلكم فَلَمْ يُوجدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إلاَّ أَنَّهُ كَان يُخَالِطُ النَّاس، وَكَانَ مُوسِرًا، وَكَانَ يأْمُرُ غِلْمَانَه أن يَتَجَاوَزُوا عن الْمُعْسِرِ، قال اللَّه عزَّ وجَلَّ: «نَحْنُ أَحقُّ بِذَلكَ مِنْهُ، تَجاوَزُوا عَنْهُ»** رواه مسلمٌ. وعنْ حُذَيْفَةَ، رضي اللَّه عنْهُ، قَالَ: **أُتِى اللَّه تَعالى بِعَبْد من عِبَادِهِ آتاهُ اللَّه مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عمِلْتَ في الدُّنْيا؟ قَالَ: وَلا يَكْتُمُونَ اللَّه حديثًا قَال: يَاربِّ آتَيْتَنِي مالَكَ فَكُنْتُ أُبايِعُ النَّاسَ، وَكانَ مِنْ خُلُقِي الجوازُ، فكُنْتُ أَتَيَسرُ عَلى المُوسِرِ، وأُنْظِرُ المُعْسِر، فَقَالَ اللَّه تَعَالى: «أَنَا أَحقُّ بذا مِنْكَ، تجاوزُوا عَنْ عبْدِي»** فقال عُقْبَةُ بنُ عامرٍ، وأَبو مَسْعُودٍ الأنصاريُّ، رَضِيَ اللَّه عنْهُما: هكذا سَمِعْنَاهُ مِنْ في رَسولِ اللَّهِ ﷺ. رواهُ مسلمٌ. وعنْ أبي هُريرَةَ رضي اللَّه عنْه، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: **«من أَنْظَر مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظلَّهُ اللَّه يَوْمَ القِيامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ»**. رواهُ

الترمذيُّ وقَال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

التوجه إلى الله من باب التسامح مع الناس والتيسير والعفو يدخله من قام بحقه. فمن كان التسامح والتيسير خلقًا له مع الناس وخاصة مع ذوي الحاجات والضعفاء والفقراء ومن يستحق الشفقة والعطف دخل من هذا الباب. وقد يحصل للمرء حادثة واحدة يقف فيها موقفًا مشهودًا في الشجاعة أو في التسامح والعطف والتيسير فيكتبها الله له ويدخله الله بها الجنة.

ومن السماحة التودد إلى الناس والإلفة إليهم ويكون ذلك بحسن الخلق وإفشاء السلام وإطعام الطعام وقضاء حوائجهم وتطييب خواطرهم والعفو عن مسيئهم. والسماحة ضرورية لنجاح التعاون بين الناس في أعمال الخير والبر وما يحتاجه المجتمع من أعمال تحتاج إلى لجان أو فرق أو جمعيات أو مؤسسات سواء كانت رسمية أو أهلية وسواء كانت لأعمال خيرية أو خدمية أو إنتاجية أو تجارية.

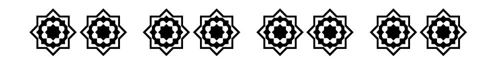


٦٦- باب الرفق

قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ **[فُصِّلَت: ٣٤ - ٣٥]**. عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إنَّ اللَّه رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأَمْرِ كُلِّه»** متفقٌ عليه. وعنها أن النبي ﷺ قال: **«إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، ويُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ وَما لا يُعْطِي عَلى ما سِوَاهُ»** رواه مسلم. وعنها أن النبيَّ ﷺ قال: **«إنَّ الرِّفقُ لا يَكُونُ في شيءٍ إلاَّ زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إلاَّ شَانَهُ»** رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: **بَال أَعْرَابيٌّ في المسجِد، فَقَامَ النَّاسُ إلَيْه لِيَقَعُوا فِيهِ، فقال النبي ﷺ: دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِن مَاءٍ، فَإنَّما بُعِثْتُم مُيَسِّرِينَ ولَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»** رواه البخاري. «السَّجْلُ» بفتح السين المهملة وإسكان الجيم: وَهِيَ الدُّلوُ المُمْتَلِئَةُ ماء، كَذلِكَ الذَّنُوبُ. وعن أَنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«يسِّرُوا وَلا تُعَسِّروا. وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا»** متفقٌ عليه. وعن أبي يعلَى شدَّاد بن أَوسٍ رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إنَّ اللَّه كَتَبَ الإحسَان على كُلِّ شَيءٍ، فإذا قَتلتُم فَأَحسِنُوا القِتْلَةَ وَإذَا ذَبحْتُم فَأَحْسِنُوا الذِّبْحة ولْيُحِدَّ أَحَدُكُم شَفْرَتَه وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»** رواه مسلم. وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: **مَا خُيِّر رسول اللَّه ﷺ بَينَ أَمْرينِ قَطُّ إلاَّ أَخذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَم يَكُن إثمًا، فإنْ كانَ إثمًا كَانَ أَبعد النَّاسِ مِنْهُ، ومَا انتَقَمَ رسول اللَّه ﷺ لِنَفْسِهِ في شَيءٍ قَطُّ، إلاَّ أَن تُنتَهكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَينتَقِم للَّهِ تعالى** - متفقٌ عليه. وعن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أَلا أَخبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ تَحْرُمُ على كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ»**. رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

إن اللين والسهولة والقرب من الناس يؤدي إلى أن المرء المتصف بذلك يألفه الناس وهو يألفهم كذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال "**المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**" الهيثمي في مجمع الزوائد ورجاله رجال الصحيح.

الإحسان إلى مخلوقات الله ومنهم بني آدم هو من باب الرحمة بهم والشفقة عليهم فمن رفق بالناس رفق الله به يوم القيامة فالناس عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله.

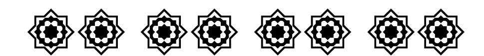


٦٧- الرفق بالرعية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله "**سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه**" رواه البخاري. وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ، يقول في بيتي هذا **(اللهم! من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم، فارفق به)** رواه مسلم وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: "**عدل ساعة خير من عبادة سنة**" رواه الزيلعي في نصب الراية وهوغريب بهذا اللفظ. كما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ: "**إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسًا إمام عادل وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسًا إمام جائر**" رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب. وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "**يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحدّ يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحًا**" ذكره الشوكاني في الفتح الرباني بإسناد حسن. وقد كرم الله بني آدم فقال ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ **[الإسراء: ٧٠]** فمن كّرم بني آدم فقد كّرم خلق الله تعظيمًا للخالق جل وعلا.

فالأمير أو الرئيس أو من تولى قيادة أو أمرًا عامًا ولو إمارة على ثلاث نفر فقد وضعه الله في ابتلاء واختبار كبير، فإن هو عدل بين من استرعاه الله عليهم

وأحسن إليهم وأدّى إليهم حقوقهم لوجه الله تعالى ورفق بهم وسهر على راحـتهم فله مكانة خاصة عند الله ويكون ممن توجه إلى الله بهذا العمل، فهو مسؤول عـنهم يوم القيامة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقـول لـو عثـرت بغلـة في أرض العراق لخشيت أن يسأل عنها عمر لِم لَم تعبد لها الطريق.



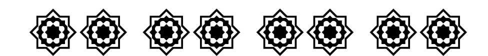
٦٨- إماطة الأذى عن المسلمين

المسلمون كالجسد الواحد ودفع الأذى العام من إماطة الأذى من طريق أو دفاع عن المسلمين حين يراد بهم السوء ودفع الأذى عن ناس غائبين وما شاكل ذلك، كل ذلك يقع في باب فروض الكفايات فمن قام به نال ثوابًا عظيمًا، وهو يقوم به نيابة عن عامة المسلمين لأن فائدة هذه الأمور تعود إلى عامة المسلمين وليس إلى نفع خاص للمرء لنفسه أو ذويه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **(بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك فأخذه، فشكر الله فغفر له)** - رواه البخاري - وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: **"الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"** رواه مسلم.

قد يستهين بعض الناس بهذا الخلق فلا يكترثون بدفع الأذى البسيط عن الناس أو عن طريقهم، ولكن هذا خلق إذا اعتاد عليه المرء فثوابه عند الله عظيم وهو باب من أبواب التوجه إلى الله تعالى ذلك لأن فيه خير لعامة المسلمين. فالمتوجه إلى الله من هذا الباب ينتبه إلى ما يتسبب بالأذى لعامة المسلمين فيتطوع لدفعه عنهم فإن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع. ودرء المفاسد لا ينحصر في الطريق بل هو في كل مناحي الحياة. فكلما رأى المؤمن بابًا من أبواب الأذى الذي يمكن أن يلحق بالمسلمين بادر إلى دفعه تطوعًا. وإن كان ممن يعمل بوظيفة عامة فعليه أن يحرص على أن لا يتسبب عمله بأذى للمسلمين وأن يدفع أي أذى يقع تحت سيطرته فهو وكيل عن المسلمين ونائب عنهم ويقع دفع مثل هذا الأذى في كثير من الأحيان في باب فروض الكفايات التي يجب أن يقوم بها بعض المسلمين وإلاّ أثموا جميعًا.

وهذا الخلق مقياس لمدى صدق الترابط والمودة والتضحية بين المسلمين، فإذا

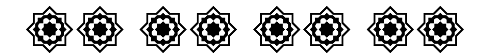
ما كثر بينهم من يتطوع لدفع الأذى عنهم وضحّى بوقته أو جهده في سبيل راحتهم فذلك يعني شيوع الخير والتعاون والمودة والتراحم فيما بيـنهم، ومـن يقـوم بـذلك حريّ بأن يجازيه الله خير الجزاء يوم القيامة بأن يغفر له ويجعله ممن يتوجه إليه مـن هذا الباب.



٦٩- الرفق بالحيوان

عن أوس بن شداد رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ. قال (**إن الله كتب الإحسان على كل شيء. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحدّ أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته**) - رواه مسلم - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**بينا رجل بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له. قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرا؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجرًا**" رواه البخاري وعنه أيضا قال قال رسول الله ﷺ: "**غُفر لامرأة مومسة، مرت بكلب على رأس ركي، يلهث، قال: كاد يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك**" رواه البخاري.

هذا الدين خيره عام ليس للمسلمين وحدهم ولا للبشر خاصة بل هو للكائنات كلها ومنها الحيوانات، فهي تعبد الله كسائر مخلوقاته وهي تشكر الله على نعمه، فمن أحسن إليها كتب الله له ذلك. وإن في كل كبد أجرًا، فقد يقع المرء على مخلوق من هذه المخلوقات الضعيفة فيحسن إليها شفقة بها أو بصغارها فيكتب الله ثواب ذلك ويدخره له يوم القيامة فيلقى الله مغفورًا له فيدخل بذلك العمل الجنة. إن الرأفة والرفق بمخلوقات الله من صميم هذا الدين فالله رؤوف رحيم ليس بالبشر فقط ولا بالأحياء فقط بل بكل ما خلق ورأفته ورفقه يتجلى في لطيف صنعه، ومن رفق بمخلوقات الله تعالى ابتغاء وجه الله فقد عمل بمضمون إسم الله الرحيم وكان ممن يتوجه إلى الله من هذا الباب.



٧٠- باب حفظ اللسان

قال اللَّه تعـالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ **[الحُجُرات: ١٢]**. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ **[الإسـراء: ٣٦]**. وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ **[ق: ١٨]**.

عنْ أبي هُرِيْرَةَ رضي اللَّه عنْهُ عَنِ النبي ﷺ قَالَ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَـوْمِ الآخِرِ فَلَيقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيَصْمُتْ»** متفقٌ عليه. وعَنْ أبي مُوسَى رضي اللَّه عَنْهُ قَـال: قُلْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ المُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قال: **«مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسَانِهِ وَيَدِهِ»** - متفق عليه. وَعَنْ سَهْلِ بنِ سعْدٍ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ يَضْمَنْ لي ما بيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمنْ لهُ الجنَّة»** - متفقٌ عليهِ.

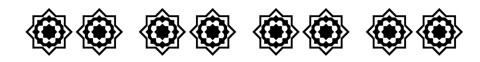
وعَنْ أبي عَبْدِ الرَّحمن بِلال بنِ الحارثِ المُزنيِّ رضي اللَّه عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: **«إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ رضْوانِ اللَّهِ تَعالى ما كَـانَ يَظُـنُّ أنْ تَبْلُـغَ مَـا بلَغَتْ يكْتُبُ اللَّه بهَا رضْوَانَهُ إلى يَوْمِ يلْقَاهُ، وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِنْ سَخَطِ اللَّه مَا كَانَ يظُنُّ أن تَبْلُغَ ما بلَغَتْ يكْتُبُ اللَّه لَهُ بهَا سَخَطَهُ إلى يَوْمِ يلْقَـاهُ»** - رواهُ مالك في «المُوطَّإِ» والترمذي وقال:حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. فقـد يـتكلم المـرء بكلمـة يصلح الله بها بين فريقين فتحقن بذلك دماء كثيرة وقد يتكلم المرء بكلمة تؤدي إلى فتنة وفساد في الأرض فتسفك بها دماء كثيرة.

وَعَنْ عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ رضي اللَّه عنْهُ قَالَ: قُلْتُ يا رَسول اللَّهِ مَا النَّجـاةُ؟ قَـال: **«أمْسِكْ عَلَيْكَ لِسانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بيْتُكَ، وابْكِ على خَطِيئَتِكَ»** رواه الترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ. وعنْ مُعاذ رضي اللَّه عنهُ قال: قُلْتُ يا رسُـول اللَّـهِ أخبرنـي بِعَمَـلٍ يُدْخِلُني الجَنَّة، ويُبَاعِدُني عن النَّار؟ قَال: **«لَقدْ سَأَلْتَ عنْ عَظِيمٍ، وإنَّهُ لَيَسِـيرٌ عَلـى منْ يَسَّرَهُ اللَّه تَعَالى علَيهِ: تَعْبُد اللَّه لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتي الزَّكَاةَ،**

وتصُومُ رمضَانَ وتَحُجُّ البَيْتَ إن استطعت إِلَيْهِ سَبِيْلاً، ثُمَّ قَال: «ألا أدُلُّك عَلى أَبْوابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ.، الصَّدَقةٌ تطْفِيءُ الخَطِيئة كما يُطْفِيءُ المَاءُ النَّار، وصلاةُ الرَّجُلِ منْ جوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦] . ثُمَّ قال: «ألا أُخْبِرُكَ بِرَأسِ الأمْرِ، وعمودِهِ، وذِرْوةِ سَنامِهِ» قُلتُ: بَلى يا رسول اللَّهِ: قَالَ: «رأْسُ الأمْرِ الإسْلامُ، وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذروةُ سنامِهِ الجِهَادُ» ثُمَّ قال: «ألا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذلكَ كله؟» قُلْتُ: بَلى يا رسُولَ اللَّهِ. فَأَخذَ بِلِسَانِهِ قالَ: «كُفَّ علَيْكَ هذا» قُلْتُ: يا رسُولَ اللَّهِ وإنَّا لمُؤَاخَذون بمَا نَتَكلَّمُ بِهِ؟ فقَال: ثَكِلتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وَجُوهِهِم إلاَّ حصَائِدُ ألْسِنَتِهِمْ؟» -رواه الترمذي وقال: حدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ.

حفظ اللسان من الإمور التي يصعب فعلها على أغلب الناس، لذلك كان من استطاع أن يتحكم في لسانه ذا قدرة على مجاهدة نفسه وتذليلها، لكي تأتمر بما أمر الله به أن يقال، وتمسك عن قول ما يسخط الله تعالى. فمن جاهد نفسه بذلك وأمسك بعنان تلك الشهوة الجامحة طاعة لله وامتثالاً لهدي رسوله عليه الصلاة والسلام كان ممن توجه إلى الله من باب عظيم يجد ثمراته يوم يلقى الله تعالى، فحفظ اللسان من الورع ومراعاة الأقوال يجب أن تكون كمراعاة الأعمال، فالأقوال من جملة الأعمال والملائكة لا تكتب ما نهى الله عنه إن أضمرالإنسان دون أن يتلفظ به أو يعمله ما لم يكن من أعمال القلوب الخالصة كالحسد والظن السوء.

والممسك بلسانه عن السوء وعن ما نهى الله عنه يراقب لسانه حتى أن يتلفظ بأي قول نهى الله عنه كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٠٤].



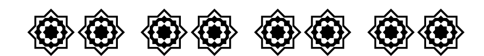
٧١- باب ترك المراء

قـال تعـالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ **[النحـــل: ١٢٥]**، فالدعوة إلى سبيل الله تحتاج موعظة حسنة وجدالاً هادئًا لغرض الإقنـاع والهدايـة. وإن كان في الجدل اختلاف في الراي فيجب أن يكون الهدف هو الوصول إلى الحـق وليس إثبات صحة رأي الشخص وخطأ رأي الخصم. كان الإمام الشـافعي رضـي الله عنه يقول ما جادلت شخصًا إلا دعـوت الله أن يظهـر الحـق علـى لسـانه فأمـا الجدال المنهي عنه أو المراء فهـو الـذي يتضـمن الإصـرار علـى الـراي الشخصـي وتسفيه رأي المقابل بشتى الوسائل.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **"أنا زعـيم ببيـت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"** رواه أبو داود وسكت عنـه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنـه فهـو صـالح [وورى الترمـذي بمثله عن أنس بن مالك رضي الله عنه وقال حديث حسن وعن أبي أمامة البـاهلي قال قال رسول الله ﷺ: **"ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتو الجدال ثم قـرأ ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزُّخرُف: ٥٨]**- بإسناد حسن.

الجدل صراع بين المتجادلين وبالعادة كل طرف يريد أن يثبت أن رأيه صـواب ورأي خصمه باطل أو أن يريد أن يثبت فضله ويعلي مـن قـدر نفسـه أو حزبـه أو قومه ويسفه رأي خصمه فردًا كان أو جماعة ويدني من قدرهم، وكل هذه أغـراض غير شرعية إذا لم يكن الوصول إلى الحق هو الهدف. والجـدال يـثير نزعـات الظلـم والعدوان ويستثير شهوة القهر والثأر والبغضاء. لذلك فـإن مـن يـترك المـراء فقـد

استطاع أن يقهر هذه الشهوات الشيطانية وقطع دابر الفساد والشحناء فهو يستحق بذلك أن يتقبل الله منه فعله فيجازيه به خير الجزاء يوم القيامة. إن أحد وسائل ترك المراء إذا ما فتح بابه هو تغيير الموضوع الذي يجري الكلام حوله أو مغادرة الجلسة والإبتعاد عن من هو مولع بالجدل.



٧٢- باب حفظ الفرج

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ **[الإسراء: ٣٢]**

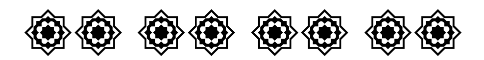
وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ **[النور: ٣٠]**.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال **من بين السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله** (رواه البخاري).

حفظ الفرج وصيانة النفس من الوقوع في الفواحش من أهم ما يزكي نفس الإنسان ويقربه من الله تعالى، فقد نهى الله عن الإقتراب من الفاحشة ويعني ذلك ترك فجوة بينها وبين الفعل فليست الفاحشة محرمة فحسب بل مقدماتها وما يدعو إليها وما يساعد عليها ولذلك فإن الورع في الاقتراب من الفاحشة مطلوب شرعًا. واليوم في ضوء تداخل المجتمعات وسريان عادات المجتمعات غير المسلمة إلى المسلمين، فإن الاحتراز من الاقتراب من الفواحش أكثر وجوبًا وأهمية، ومن قاوم شهوات نفسه وابتعد عن كل ما يقرب من الفواحش كان ممن يتوجه إلى الله من هذا الباب المهم.

ولكن إذا ما تعرض المرء لفتنة كفتنة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز وثبت في صيانة نفسه عن الفاحشة فإنه يرتقي في مقامه عند الله ويشمله حديث رسول الله ﷺ السابق فيكون من السبعة المذكورين وهو باب من أبواب التوجه إلى الله تعالى. إن الوقاية من الفواحش من الأمور التي يجب أن يحصن المجتمع إزاءها، فالعلاج هو إحصان الشباب بتسهيل الزواج من خفض للمهور ومعالجة العادات

الإجتماعية السيئة وتشكيل جمعيات لحماية الأسرة وتقديم التسهيلات المالية لمن يقدم على الزواج وغير ذلك. وقد شجع رسول الله ﷺ الشباب على المبادرة بالزواج، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج. فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم. فإنه له وجاء"** رواه مسلم. فالصيام وسيلة للجم الشهوات والإعتياد عليه يساعد في البعد عن الفواحش.



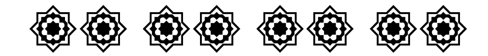
٧٣ - باب غض البصر

قال اللَّـه تعـالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ **[النور: ٣٠]**.. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ **[الإسراء: ٣٦]**. وَعَـنْ أبي هُرَيْرةَ رضي اللَّه عنْهُ عن النبي ﷺ قَال: «**كُتِبَ على ابْنِ آدم نَصِيبُهُ مِـنَ الزِّنَـا مُدْرِكٌ ذلكَ لا محالَةَ: الْعَيْنَان زِنَاهُمَا النَّظَرُ، والأُذُنَان زِنَاهُما الاستِماعُ، واللِّسَـانُ زِنَاهُ الْكَلامُ، وَالْيدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، والرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، والْقَلْـب يَهْـوَى وَيَتَمنَّـى، ويُصَدِّقُ ذلكَ الْفرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ**».متفقٌ عليه. وهذا لَفْظُ مسلمٍ، وعـنْ أبـي سـعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنْهُ عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ والجُلُـوسَ فِي الطُّرُقَـاتِ**،» قَـالُوا: يَارَسُول اللَّه مالَنَا مِنْ مجالِسِنا بُدٌّ: نَتحدَّثُ فيها. فَقالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فإذا أَبَيْتُمْ إلاَّ المجْلِسَ، فأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**» قَالُوا: ومَا حَقُّ الطَّرِيق يَارَسُولَ اللَّـه؟ قَـالَ: «**غَـضُّ البصر، وكَفُّ الأَذَى، وردُّ السَّلامِ، والأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ والنَّهيُ عنِ المُنْكَرِ**» متفقٌ عليه. وَعَنْ جَرِير رضي اللَّه عنْهُ قَـالَ: سـأَلْتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ عَـنْ نَظَـرِ الفجـأَةِ فَقَـال: «**اصْرِفْ بصَرَكَ**» رواه مسلم. فالنظرة الأولى لك والثانيـة عليـك، وَعـنْ أمِّ سَـلَمةَ رضي اللَّه عنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ عِنْـدَ رَسُـول اللَّـه ﷺ وعِنْـدَهُ مَيمونـهُ، فَأَقْبَـلَ ابـنُ أمِّ مكتُوم، وذلكَ بعْدَ أنْ أُمِرْنَا بِالحِجابِ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «**احْتَجِبا مِنْهُ**» فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْس هُوَ أَعْمَى: لا يُبْصِـرُنَا، ولا يعْرِفُنَـا؟ فقَـال الـنبيُّ ﷺ: «**أَفَعَمْيـاوَانِ أَنْتُمـا أَلَسْتُما تُبصِرانِهِ؟**» رواه أبو داود والترمذي وقَالَ: حَدِيثٌ حسنٌ صَحِيحٌ.

في قولــه تعــالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ **[الإسـراء: ٣٢]**نهى الله تعالى عن التقرب من الزنا وليس الوقوع فيه فقط. والنظرة أول سهام

إبليس التي تقرب من الزنا. لذلك من عوّد نفسه على غض بصره ونهى نفسه عن الهوى ابتغاء رضوان الله وجد حلاوة ذلك في قلبه ووعده الله بالجنة حين قال ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ **[النازعات: ٤٠ - ٤١]**.

إن مراقبة النظر جزء من مراقبة الجوارح قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ **[الإسراء: ٣٦]**، أحد أعدى أعداء الإنسان الغفلة. فإذا ما غفل المرء عن بصره نظر إلى الحرام وإذا ما غفل عن سمعه استمع إلى الحرام وإذا ما غفل عن رجله سعت إلى الحرام وإذا ما غفل عن لسانه تكلم بما يسخط الله تبارك وتعالى وإذا ما غفل عن يده بطشت الى الحرام. أما من راقب جوارحه وكفّها عن غيّها وألزمها حدود ما أمر الله به فقد تمكن من توجيه أعماله لما فيه التقرب من الله تعالى. فقد يأتي الشيطان من أي جارحة من جوارح الإنسان، فقد يسمع المرء صوت امرأة أو قد يشم رائحة عطرها فتسول له نفسه سوءًا ولذلك فمراقبة الجوارح كلها تعصم الإنسان من الوقوع في مكائد الشيطان وشراكه. وأكثر ما يعين على عدم الوقوع في الغفلة هو كثرة ذكر الله.



٧٤- باب حفظ الوعد

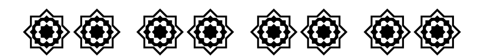
قـال اللَّـه تعـالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ **[الإسـراء: ٣٤]** وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ **[النحل: ٩١]** وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ **[المائـدة: ١]**. وقــال تعــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ **[الصــف: ٢ - ٣]**.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«آيَةُ المُنَافِقِ ثَـلاثٌ: إذا حَدَّث كَذَب، وإذا وَعدَ أخلَف، وإذا اؤْتُمِن خَانَ»** متفقٌ عليه. زاد في روايةٍ لمسلم: **«وإنْ صَامَ وصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مسلِمٌ»**. وعن عبدِ اللَّهِ بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: **«أَرْبع مِنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومنْ كَانَتْ فِيه خَصلَةٌ مِنْهُنَّ كانَتْ فِيهِ خَصْلَة مِن النِّفاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إذا اؤْتُمِنَ خَان، وإذَا حدَّثَ كذَبَ، وَإذا عَاهَدَ غَدَر، وَإذا خَاصَم فَجَرَ»** متفقُ عليه.

فالوفاء بالعهد صفة من صفات المؤمنين والحرص على الوعد مهما كان يسيرًا يرفع درجة المؤمن عند الله تعالى، وإذا ما اعتاد المـرء علـى الوفـاء بالوعـد زاده الله مكانة واحترامًا بين الناس، لكن قد يقع المرء في وضع يكـون في الوفـاء بالوعـد أو العهد مكلفًا كثيرًا من مال أو جهد أو مكانة. وعند ذلك يكـون الإختبـار الحقيقـي لصدق الوفاء بالعهد، فإن هو وفّى بذلك ادخر له الله ذلك ليوم القيامة وكتبه ممـن توجه إلى الله من باب الوفاء بالعهد وقد يكون تلك الحادثة سببًا لدخوله الجنة.

واليوم نجد أن الغربيين أحفظ لوعودهم من المسلمين بل هم يعجبون من كثرة إخلاف الوعود بين المسلمين. إن إعادة عادة الوفاء بالعهد بين المسـلمين تحتـاج إلى ثبات وتضحية ممن يتمسك بها في صغائر الأمور وكبائرها لكي يضرب بذلك أمثلة

على صدق الوفاء بالوعد ففي ذلك إحياء لعـادة توشـك أن تكـون قـد انقرضـت وخاصة في دقة الإلتـزام بالوعـد وبـالمواثيق المكتوبـة بـين النـاس مـن بيـع وشـراء ومعاملات التي انفرط عقد الوفاء بها فكثرت الخصومات وزاد ارتياد المحاكم لفضها وما ذلك إلا لرقة الدين في المعاملات وعدم الوفاء بالعهود.

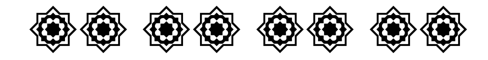


٧٥- باب إتقان العمل

أحد الأبواب التي ابتلي المسلمون اليوم بتركها هو باب إتقان العمل، فساءت العلاقات بينهم نتيجة ذلك، فغالب الناس اليوم يريد من غيره أن يتقن عمله ويوفيه حقه لكنه بالمقابل لا يؤدي ذلك لغيره ولا للمجتمع عامة. وقد جرّ عدم إتقان العمل إلى عدم الثقة بين المسلمين وتفضيل صناعات غيرهم على صناعات أوطانهم نتيجة تجارب يمر بها معظم الناس اليوم. لذا فإن اتقان العمل اليوم هو ليس عادة شخصية تؤثر على المرء وحده، بل هي مشكلة أمة ومجتمع تحتاج إلى إحياء هذا الأسلوب في العمل. إن عدم اتقان العمل كثيرًا ما يصحبه الغش بإخفاء العيوب وبذلك تتضاعف المعصية في ذلك فهو عدم أتقان للعمل وغش في الوقت نفسه. إن عادة إتقان العمل يجب احياؤها وتعويد الأطفال عليها من الصغر وإشاعتها في المجتمع سواء في الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو الإدارة وفي كل عمل، ويجب أن يقوم التربويون والإعلاميون بواجبهم التربوي في هذا الأمر ويضربون بذلك الأمثلة للأطفال للنشأة على إتقان العمل.

فمن اعتاد إتقان العمل لوجه الله تعالى أحب الله عمله فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "**إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**" – حديث حسن – الجامع الصغير. وإتقان العمل يشمل الحياة كلها فعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم، فأحسنوا القتلة، و إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، و ليحدّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته**" رواه النسائي بسند صحيح.

فإتقان العمل لوجه الله تعالى وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ باب عظيم من أبواب التوجه إلى الله وإن اخلصت النية نال المرء بإتقان عمله ثواب من اقتدى به أو انتفع من إتقانه عمله والله أكرم وأجزل عطاء.



٧٦ - باب طيب المطعم

التوجه إلى الله من باب الكسب الحلال باب عظيم لأنه يوصل إلى غيره من كثير من الأعمال الصالحة، فمن كسب رزقًا حلالاً وحرص على أن لا يأكل إلاّ من الحلال الخالص ولو كان قليلاً تضاعفت أجور أعماله الصالحة أضعافًا كثيرة، فإن أنفق على أهله من الرزق الحلال نشأوا على الصلاح فكان ثواب أعمالهم عائدًا إليه، وإن تصدق من الحلال الخالص تقبل الله منه وضاعف له الثواب، وإن حج أو سعى في عبادة من العبادات تقبّل الله منه وأجزل له ثوابها جزاء الإنفاق من الحلال.

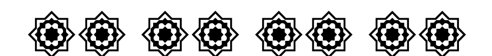
قال اللَّه تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **[الجمعة: ١٠]** فابتغاء فضل الله هنا هو السعي للرزق الحلال. وذكر المنذري في الترغيب والترهيب حديثًا فيه ضعف عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ﴾ **[البقرة: ١٦٨]** فقام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال يا رسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي ﷺ **"يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يومًا وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به".**

وعن المِقدَام بن مَعْدِ يكَربَ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: **«مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا مِن أَنَ يَأْكُلَ مِن عمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّه دَاوُدَ ﷺ كان يَأْكلُ مِن عَمَلِ**

يَدِهِ» رواه البخاري.

رؤي بشر الحافي رحمه الله في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك؟ قال غفر لي وغفر لكل من تبع جنازتي، قيل ففيم العمل؟ قال افتقد الكسرة (يعني فتش عن اللقمة الحلال).

والرزق الحلال لا يأتي عادة إلاّ بالكدّ والعمل الشاق وإتقان العمل والحرص على أدائه بأفضل ما يمكن كما أنه يحتاج في هذه الإيام إلى التحرز من الربا الذي كثرت أبوابه ومداخله وطرقه فلا يكاد يوجد عمل مربح إلاّ ودخل عليه الربا من باب من الأبواب، وقلما هناك عمل إلا ويتعلق بعقود أو عهود مع الآخرين فالرزق الحلال يستوجب الوفاء بهذه العقود بدقة، فمن توجه إلى الله بالرزق الحلال الخالص وتورّع في طريق كسب رزقه فلا يكسب إلاّ حلالاً خالصًا وابتعد عن الرشوة والغش والعمل في مهن تساعد على الحرام، فقد تمسك بحبل متين يقود إلى مغفرة الله وحسن ثوابه جلّ وعلا.

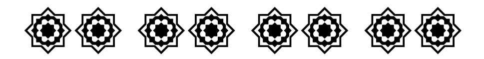


٧٧ - باب الشجاعة

قد تكون الشجاعة بابًا من أبواب التوجه إلى الله، فالشجاع الحق لا يبالي في ما يصيبه في سبيل الله من صعاب سواء كان ذلك في ساحات القتال أو في قول الحق أو في نصرة المظلوم أو في إغاثة الملهوف أو في الإعتراف بالخطأ والرجوع إلى الحق حينما يتبين له ذلك ولو كان كل ذلك على حساب سمعته أو مكانته أو خسارة مال أو جاه. والشجاعة غير التهور، فالشجاع يزن الأمور بميزان الشرع، فإن كان ما يضحي من أجله مطلوبًا من الشرع ويستحق التضحية من أجله دون إحداث ضرر أكبر من ذلك فالشجاعة مطلوبة. أما إن كان الضرر الناتج عن الشجاعة فادحًا وأدّى إلى مفاسد جديدة أكبر من المفسدة التي ينوي القضاء عليها فعند ذلك يكون من العبث التضحية لدفع مفسدة مع جلب مفسدة جديدة أكبر منها. وقد سبق قول رسول الله ﷺ حين سئل أَيُّ الْجِهادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«كَلِمَةُ حقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جائِرٍ»** رَوَاهُ النسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ، فالشجاعة في قول الحق لا تقل عن الشجاعة في سوح القتال لأنها قد تؤدي إلى تغيير الباطل وإعادة حقوق كثيرة لأصحابها أو في ايقاف الظالمين عن ظلمهم، ولكن ذلك يجب أن يكون ابتغاء وجه الله لا ابتغاء مديح أو سمعة أو رياء.

إن الشجاعة مطلوبة في الأوقات الصعبة، ففي ساحة القتال تكون الشجاعة مطلوبة لإن تخاذل فرد ونكوصه قد يحدث هلعًا وهزيمة، فالثبات يكون مطلوبًا وإن ادى إلى الموت وبذلك ينال العبد الشهادة في سبيل الله إذا خلصت النية، ومثل هذا الشجاعة مطلوبة كذلك في المواقف الحرجة أمام ملأ من الناس في قول الحق أو الثبات على فعل الخير وخاصة ممن يقتدي بهم الناس. فثبات العلماء وقادة الرأي والمبرزين في حقول اختصاصهم أو عملهم على ترسيخ ما هو صحيح من عمل

يجعلهم أسوة حسنة لغيرهم والبدء بذلك والثبات عليه يحتاج في معظم الأحوال إلى شجاعة في القيام به لأول مرة أو على ملأ من الناس أو في الظروف الصعبة التي ينظر كل امرئ فيها لخاصة نفسه ولا يبالي بغيره أو بمصلحة المجتمع والأمة. إن الحياة مواقف، فمن ثبت في المواقف الصعبة عند حدود الله وفيما أمر الله به كان ممن يتوجه إلى الله من باب الشجاعة.



٧٨- باب عزة المؤمن

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ **[المائدة: ٥٤]**.

وعن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس للمؤمن أن يذلّ نفسه»، قيل: يا رسول الله، وكيف يذلّ نفسه؟، قال: «يتعرض من البلاء لما لا يطيق»** - رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب -

عن سهل بن سعد الساعدي قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس - الترغيب والترهيب للمنذري بإسناد حسن. فالمحافظة على عزة النفس بعدم سؤال الناس والاستغناء عن ما هو ليس ضرورة بهدف المحافظة على كرامة الإنسان وعزته تقود إلى الدخول من هذا الباب.

وعنه أيضًا قال قال رسول الله ﷺ: **"ازهد في الدنيا يحبك الله، و ازهد فيما عند الناس يحبك الناس"** السلسلة الصحيحة أو على الأقل حسن بالشاهد المرسل.

وفي قصة خبيب بن عدي الأنصاري عظة بالغة وهو ممن شهد بدرًا وقتل بها الحارث بن عامر، وبعد أحد بعثه النبي ﷺ مع عشرة من الصحابة إلى قبيلتي عضل والقارة، ليعلموا أهلها الإسلام، فسمع بهم الكفار فحاصروهم وقتلوا منهم ثمانية، وأعطوا خبيبًا وزيد بن الدثنة الأمان، فاستسلما، لكنهم باعوهما في سوق الرقيق، واشترى أبناء الحارث بن عامر خبيبًا، فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى قرروا صلبه، فطلب من إحدى بنات الحارث موسى يستحد بها للقتل (أي يحلق

بها شعر عانته) بعثت له الموسى مع أحد الغلمان، تقول: فوالله ما هو هو إلاّ أن ولى الغلام بها إليه حتى قلت: ماذا صنعت؟! أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام، فيكون رجلا برجل. فنظرت المرأة فوجدت خبيبًا مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت، فقال خبيب: أتحسبين أني أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده، وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة ثمرة! ولما علم باجتماع القوم لقتله قال شعرًا منه:

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزع

الشلو: بقية الجسد، ممزع: مقطع

فلما خرجوا به ليقتلوه قال لهم خبيب: دعوني أركع ركعتين، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعًا من القتل لاستكثرت من الصلاة، فكان خبيب بن عدي أول من صلى الركعتين قبل القتل.

ثم صلبوه، فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا، ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا (أي واحدًا واحدًا) ولا تغادر منهم أحدًا. ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله.

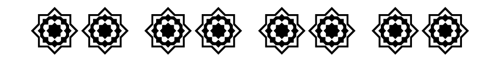
وأخبر الله نبيه ﷺ بخبر خبيب، فبعث المقداد بن عمرو والزبير بن العوام لينزلاه من الخشبة التي صلب عليها، فأنزلاه فابتلعته الأرض، فلا يعرف مكان قبره. وتعرف الحادثة التي قتل فيها خبيب وأصحابه بحادثة يوم الرجيع.

وفي موقف بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله مثال آخر فقد كان كان خال قيصر روسيا والقائد العام للجبهة الروسية، "نيكولا نيكولافيج" يزور معسكر الأسرى فقام جميع الأسرى لأداء التحية ماعدا النورسي، مما جلب انتباه القائد

لذلك، فرجع ومرّ ثانية أمامه، فلم يقم له كذلك، وفي المرة الثالثة وقف أمامه فقال له من خلال المترجم: الظاهر أنك لم تعرفني؟ فقال النورسيّ: بلى، لقد عرفتك إنك نيكولا نيكولافيج، خال القيصر، والقائد العام في جبهة القفقاس. قال القائد: إذن فلِمَ تستهين بي؟ فرد عليه النورسيّ: كلا، إنني لم أستهن بأحد، وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي. فقال القائد: وماذا تأمرك عقيدتك؟ فأجابه النورسيّ: إنني عالم مسلم، أحمل في قلبي إيمانًا، والذي يحمل في قلبه إيمانًا هو أفضل من الذي لا إيمان له، ولو أنني قمت لك لكنت إذن قليل الاحترام لعقيدتي ومقدساتي، لذلك فإنني لم أقم لك، فغضب القائد وأحاله غلى المحكمة العسكرية التي حكمت على النورسي بالإعدام بتهمة إهانة القيصر والأمة الروسية والجيش الروسي. وحاول الضباط الأسرى من الأتراك والألمان والنمساويين ملحّين عليه القيام بالاعتذار للقائد الروسي وطلب العفو منه، إلاّ أنه رفض ذلك بإصرار،، وفي ساعة التنفيذ طلب أن يتوضأ ويصلي ركعتين وهنا حضر القائد العام ليقول له بعد فراغه من الصلاة: أرجو منك المعذرة، كنت أظنك قد قمت بعملك قاصدًا إهانتي ولكنني واثق الآن أنك كنت تنفذ ما تأمرك به عقيدتك وإيمانك، لذا فقد أبطلت قرار المحكمة، وإنني أهنئك على صلابتك في عقيدتك، وأرجو المعذرة منك مرة أخرى.

هذان المثالان على عزة المسلم التي تضرب بها الأمثال وتكون عبرًا للناس مقابل ما يقوم به كثير من الذين اختاروا المذلة والهوان فأذاقوا أنفسهم ومن تحت رعايتهم كؤوس المهانة والذل. أما في الآخرة فإن من يضرب المثل بعزة المسلم ابتغاء وجه الله فثوابه عظيم وهو يتوجه إلى الله من باب عظيم.

إن مثل هذه المواقف لا يؤديها المرء نيابة عن نفسه بل نيابة عن الأمة. فإن هو وقف موقف العزة والكرامة نال المكانة التي يستحق عند الله تعالى، وكان ممن توجه إلى الله من باب العزة التي أرادها الله لعباده الصالحين، وإن هو فرط فيها خسر تلك المكانة.



٧٩- باب السمت الحسن والتؤدة والأقتصاد

عن عبد الله بن برجس قال قال رسول الله ﷺ: "**السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة**" رواه الترمذي وقال حسن غريب.

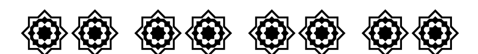
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "**إن الهدي الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة**" رواه أبوداؤد بسند صالح.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**" رواه مسلم

فالله تعالى يحب أن يرى عبده جميلاً متواضعًا ظاهرة عليه نعمة الله، قال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ **[الضحى: ١١]** وقال رسول الله ﷺ: "**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**" رواه الترمذي بحديث حسن.

إن السمت الحسن يشمل أمورًا عدة منها معرفة أعراف الناس ومخاطبتهم على قدر عقولهم ومنها معرفة أذواقهم وما هو حسن عندهم وما هو قبيح ومنها التودد إلى الناس، فالتودد للناس يسهل التأثير عليهم في نشر الفضائل وتحبيبهم لها وبعدهم عن الرذائل والتؤدة تشمل التعامل مع الناس برفق وحكمة وحلم والإقتصاد لا يشمل فقط الأمور المالية باتباع حد وسط بين التبذير والبخل بل يشمل الإقتصاد البعد عن كل ما فيه شطط بمختلف الأمور أي اتباع أوسط الأمور.

وقد مدح الله الذين يمشون على الأرض هونًا فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ **[الفرقان: ٦٣]** وذلك من السمت الحسن.



٨٠- باب المسارعة في الخيرات

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ **[البقرة: ٢١٥]**. من الناس من يبحث عن طرق الخير ليغنم منها، فلا يكاد يجد بابًا من أبواب الخير إلا وأسرع فيه. فإن وجد مستحقًا لصدقة سارع في معونته، وإن وجد مستحقًا لمساعدة بدنية سارع لنجدته وإن وجد محتاجًا لمشورة أو نصح سارع لتقديم خير ما يستطيع له، وإن وجد متخاصمين سارع للإصلاح بينهم. قال اللَّه تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ **[البقرة: ١٤٨]** وقال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ **[آل عمران: ١٣٣]**. ووصف أصفياءه من الأنبياء بصفة المسارعة في الخيرات فقال عن زكريا ويحيى عليهما السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ **[الأنبياء: ٩٠]** وقال عن الأنبياء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ **[المؤمنون: ٦١]** ووصف الله جزاء الأبرارفي الجنة وحثهم على التنافس فقال: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ **[المطفّفين: ٢٦]**.

وكان رسول الله ﷺ يوصي أصحابه بالمبادرة بالأعمال الصالحة «**بادِروا بالأعْمالِ الصَّالِحةِ، فستكونُ فِتَنٌ كقطعِ اللَّيلِ الْمُظْلمِ يُصبحُ الرجُلُ مُؤمنًا ويُمْسِي كافرًا، ويُمسِي مُؤْمنًا ويُصبحُ كافرًا، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدُّنْيا**» رواه مسلم. كما قال: «**بادروا بالأَعْمال سبعًا، هل تَنتَظرونَ إلاَّ فقرًا مُنسيًا، أَوْ غنيً مُطْغيًا، أَوْ مرضًا مُفسدًا، أَو هرمًا مُفْندًا أَو موتًا مُجهزًا أَوِ الدَّجَّال فشرُّ غَائب يُنتَظر، أَوِ السَّاعة فالسَّاعةُ أَدْهى وأَمر،**» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسن. وكان الصحابة رضوان

الله عليهم في ذلك من أكثر الناس انقيادًا لدعوته تلك، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يومَ أُحُدٍ: أرأيتَ إنْ قُتلتُ فأينَ أَنا؟ قال: **«في الْجنَّةِ»** فألْقى تَمراتٍ كنَّ في يَدِهِ، ثُمَّ قاتل حتَّى قُتلَ - متفقٌ عليه. وقال آخر يا رسولَ اللَّهِ، أيُّ الصَّدقةِ أعْظمُ أجْرًا؟ قال: **«أنْ تَصَدَّقَ وأنْت صحيحٌ شَحيحٌ تَخْشى الْفقرَ، وتأْمُلُ الْغنى، ولا تُمْهِلْ حتَّى إذا بلَغتِ الْحلْقُومَ. قُلت: لفُلانٍ كذا ولفلانٍ كَذَا، وقَدْ كان لفُلان»** متفقٌ عليه.

إن العمر قصير فمن استغل عمره في المسارعة في الخيرات اتجه إلى الله من باب عظيم، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم علمك.

وقال تعالى في وصف درجات المؤمنين ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ **[فاطر: ٣٢]** فالسابقون بالخيرات لهم أعلى الدرجات.

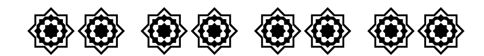
وقد جاء في صحيح البخاري عَنْ عُقْبَةَ بن الحارث رضي الله عنه قَالَ (صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ فَقَالَ **«ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِى، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ»** – رواه البخاري والتبر: قطعة ذهب.

وكان عليه الصلاة والسلام يدعو أصحابه للمسارعة في الطاعات فيقول) لو يعلمون ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه) متفق عليه وفي رواية (لكانت قرعة).

والمسارع في الخير لا يفتأ يذكّرنفسه بفعل الخير وإن لم يفعله. وهو إن حدثته نفسه بشر يعزم ترك ذلك لله إلاّ أن تغلبه نفسه وعند ذلك يثوب فيسرع بالإستغفار

والإستغفار من الخيرات فيكون من المسارعين في الخيرات.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ: **(أربعون خصلة، أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها، إلاّ أدخله الله بها الجنة)**. قال حسان (أحد رواة الحديث): فعددنا ما دون منيحة العنز، من رد السلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه، فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة - رواه البخاري. فهم كانوا يحرصون على إحصاء خصال الخير كي يسارعوا فيها. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: لا يتم المعروف إلاّ بثلاثة: بتعجيله، وتصغيره وستره.



٨١- باب عمارة المساجد

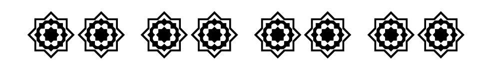
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ **[التوبة: ١٨]** وعمارة المساجد في بنائها وخدمتها وفي الإعتكاف فيها وفي كثرة المكوث فيها للعبادة أو طلب العلم او قضاء حاجات العباد. فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **"من بنى لله مسجدًا، ولو كمفحص قطاة لبيضها، بنى الله له بيتًا في الجنة"** - الجامع الصغير -

إن من الناس من سخره الله لعمارة المساجد بأن ينفق ماله في عمارة المساجد أو يسعى في جمع المال من غيره لبنائها أو خدمتها أو يقضي وقته في الإشراف على بنائها أو يحث الناس على ذلك أو يرشد الناس على المواقع التي هي بحاجة إلى بناء المساجد أو يحث الناس على إتيان المساجد وعمارتها بأجسادهم من صلاة وحلقات ذكر أو طلب للعلم أو إرشاد إلى خير أو أفسد سعي الذين يمنعون الناس من عمارة المساجد وتوجه الناس إليها، فكل ذلك عمارة للمساجد ومن كانت عمارة المساجد بكل هذه السبل أو ببعضها هي شغله الشاغل توجه إلى الله من باب بناء المساجد.

كانت المساجد دار عبادة ودار اجتماع للمسلمين ودار قضاء ودار علم ودار عقد لرايات الجهاد في سبيل الله، وهي اليوم تختص ببعض هذه الوظائف، لذا فإن توسيع وظيفة المسجد اليوم وإعادة مكانته لما كانت عليه هو من أبواب عمارة المساجد. كما أن توفير الأوقاف التي يخصص رعيها لرعاية المساجد ورعايتها وإقامة حلقات العلم فيها وإصلاح شؤون إدارتها التي انحطت في معظم بلاد المسلمين هي

من أهم دعائم إدامة المساجد وعمارتها.

وورد في صحيح مسلم أن عثمان بن عفان أراد توسعة المسجد النبوي، فكـره بعض الناس ذلك، وأحبوا أن يدعه على هيئته، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "**من بنى مسجدًا لله، بنى الله له في الجنة مثله**". وفي رواية: "**بنى الله له بيتًا في الجنة**".



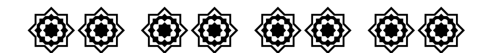
٨٢- باب الصدقة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ **[الأحزاب: ٣٥]**.

فالتوجه إلى الله من باب الصدقة باب عظيم إذا خلصت النية وكانت الصدقة من مال حلال عن طيب نفس من يدفعها ودون منّ أو أذى. قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ **[التوبة: ١٠٣]** وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ **[آل عمران: ٩٢]** وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ **[البقرة: ٢٦٧]**. فعن أَنس رضي اللَّه عنه قال: كَانَ أَبو طَلْحَةَ رضي اللَّه عنه أَكْثَر الأَنْصَارِ بِالمدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المسْجِدِ وكانَ رسولُ ﷺ يدْخُلُهَا وَيشْربُ مِنْ ماءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنسٌ: فلَمَّا نزلَتْ هَذِهِ الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ قام أَبو طَلْحَةَ إِلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّه إِنَّ اللَّه تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ مَالي إِلَيَّ بَيْرَحَاءَ، وإِنَّهَا صَدَقَةٌ للَّهِ تَعَالَى أَرْجُو بِرَّهَا وذُخْرهَا عِنْد اللَّه تعالى، فَضَعْها يا رسول اللَّه

حيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«بَخٍ، ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ، ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فقال أَبو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يا رسولَ اللَّه، فَقَسَّمَهَا أَبو طَلْحَةَ في أَقَارِبِهِ، وَبَنِي عَمِّهِ** - متفقٌ عليه. «بَيْرَحَاءُ» حَدِيقَةُ نَخْلٍ. كما قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«مَنْ تَصَدَّقَ بِعِدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّه يقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصَاحِبَها، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حتى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»**. متفقٌ عليه. «الفَلُوُّ» بفتحِ الفاءِ وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أَيضًا: بكسر الفاءِ وإِسكان اللام وتخفيف الواو: وهو المُهْرُ.

فالتوجه إلى الله من باب الصدقة يرفع مقام العبد عند الله درجات. وحين تدفع الصدقة مع إشعار المتلقي بالعزة والكرامة تكون أكثر ثوابًا عند الله. كان حارثة بن النعمان بن نفيع رضي الله عنه وهو من أهل بدر قد كف بصره فجعل خيطًا في مصلاه ووضع عنده مكتلاً من تمر وغير ذلك، فكان إذا سلم المسكين أخذ من ذلك التمر، ثم أخذ على ذلك الخيط إلى باب الحجرة فيناوله المسكين ، فكان أهله يقولون: نحن نكفيك فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول مناولة المسكين تقي ميتة السوء (أخرجه ابن سعد في الطبقات)، وقال أبو علي الروذبادي رضي الله عنه أنفقت على الفقراء كذا وكذا ألفًا فما وضعت شيئًا في يد فقير، كنت أضع ما أدفع إلى الفقراء في يدي فيأخذونه من يدي، حتى تكون يدي تحت أيديهم ولا تكون يدي فوق يد فقير. فمحاسبة النفس على ما تؤدي من صدقة لكي تكون من مال حلال ولكي تصل مستحقيها بكرامة وسرور ترفع قدر صاحبها عند الله ويكون ممن يدخل على الله من باب الصدقة حقاً.



٨٣- باب الصدقة الخفية

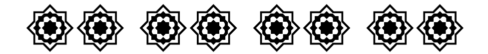
من الناس من يحب التصدق في سبيل الله صادقًا مع الله تعالى دون أن يراه أحد من الناس فيمدحه وهو لا يريد أن يعرف ذلك أحد من الناس، فهو يتصدق بيمينه بما لا تعرف شماله ويرى أن في ماله حقًا لله عدا الزكاة المفروضة، ويرى أن المال الذي آتاه الله بيديه وليس في قلبه، فهذه الصدقة تزكية للنفوس.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: **سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله بينهم رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه** (رواه البخاري).

كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يُدرى من أين معاشهم فلما توفي علي بن الحسين رضي الله عنهما فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل. ولما غسلوه وجدوا آثار سواد في ظهره حيث كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة.

الصدقة الخفية مفتاح لباب من أبواب التوجه إلى الله تعالى، وهي قبل يوم القيامة تسد كثيرًا من أبواب السوء على من تصدق بها وتدفع عنه في حياته قبل موته، فإذا كان يوم القيامة كان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله كما ورد في الحديث السابق. فالتوجه إلى الله من باب الصدقة الخفية باب عظيم وهو كذلك بسبب ثقله على نفس المتصدق الذي تدفعه نفسه للشهرة أمام الناس ولخفية الصدقة على المتصدق عليه لأنه يكون أبعد عن الإهانة والمنّ والظهور بمظهر المتفضل عليه أمام الناس.

فمن تعرّف على ذي حاجة متعفف وقدم له صدقة خفية دون أن يعرف بها فقد دفع الصدقة دون أن يُشعر من يأخذها بالخجل. أما إذا كان المحتاج قد سأل نتيجة حاجته فالأفضل أن يعرف حين يعطى لأن معرفته تدفع عنه الخجل الذي يشعر به لو لم تقضى حاجته.



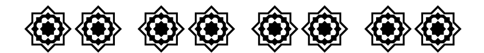
٨٤- باب الصدقة الجارية

قَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «**إذا ماتَ ابْنُ آدَم انْقَطَع عَملُـهُ إلاَّ مِـنْ ثَـلاثٍ: صَـدقَةٍ جارية، أَوْ عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلدٍ صالحٍ يدْعُو لَهُ**» رواهُ مسلمٌ.

والصدقة الجارية تشمل في وقتنا هذا الكثير من أبـواب الخـير كبنـاء المسـاجد والمدارس الملحقة بها ودور الأيتام والعجزة والمستشفيات ونشر كتب العلـم ونشـر شرائط وأفلام نشر العلم وبرامج الفضائيات والأنترنت وإنشاء المدارس التي تخـدم الأمة ومشاريع سقي الماء وحفـر الآبـار وإرسـال البعثـات للتخصـص في مجـالات تحتاجها الأمة والقيام بأعمال الخير المستمرة العطاء مما لم تستطع الحكومات القيام به أو مما أهملته مشاريعها، وكثير من الصدقات الجارية تحتـاج إلى أوقـاف تـدعمها أو وصية يوصى بأن تراقب بعد وفاة الموصي بها. وهذه الأوقاف تجب رعايتها وعـدم التفريط بها وتنميتها ومعاونة من يقوم عليها. ومن الصدقة الجارية تـأليف الكتـب أو وسائل التعليم الأخرى كالأفلام والبرامج وتصنيع الآلات التعليمية ووقفهـا في سبيل الله فإذا كانت هذه الأعمال خالصة لوجـه الله فهـي صـدقات جاريـة تصـل فاعلها بعد موته وترفع من درجاته وإن كان ممن أتقن هذه الوسيلة وابتغى بها وجه الله خالصًا له كان ممن يتوجه إلى الله من هذا الباب العظيم.

عن أبي جحيفة أن رسول الله ﷺ قال: "**من سن سنة حسنة فعمـل بهـا بعـده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن سـن سـنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزره ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا**" – رواه إبن ماجة –

وحين تزداد حسنات المؤمن بعد وفاته ترتفع درجاته عنـد الله يومًـا بعـد يـوم وهكذا يكون هذا الباب بابًا عظيمًا من أبواب التوجه إلى الله من طرقـه فـاز فـوزًا عظيمًا واستمر في الترقي في درجات الآخرة طالما استمرت صدقته بعد وفاته.



٨٥- باب النصيحة

النصح للمسلمين هو الدين فقد قال النَّبِيَّ ﷺ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قيل: لِمَنْ؟ قَالَ «للَّه وَلِكِتَابِهِ ولِرسُولِهِ وَلأَئمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»** رواه مُسْلم. ولهذا يجب أن يكون النصح لوجه الله وأن تؤدى النصيحة بأمانة وصدق. والناصح عليه أن يحسن أسلوب النصح باللين وليس عليه أن تُقبل نصيحته أو لا تقبل، فالهداية بيد الله وحده. والنصيحة تجاه الله تشمل دعاء المسلم لإخوانه ولعامة المسلمين وكأنه يشفع ويتوسل إلى الله لكي يقضي فيهم ما فيه خيرهم، فذلك نصح لله تعالى والنصيحة لرسوله ﷺ كانت في حياته بما كان يشير صحابته رضي الله عنهم عليه، أما بعد وفاته فالنصح لأئمة المسلمين من قادة رأي وذوي سلطان وعلماء فهؤلاء نصحهم بالمشورة الصائبة لوجه الله تعالى وأن تكون النصيحة بالحسنى. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه إذا نصحت أخاك بالسر فقد نصحته وزنته (من الزَين) وإن نصحته بالعلن فقد نصحته وشنته (من الشَين). وأنشد يقول:

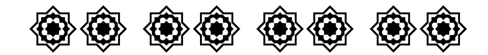
تَغَمَّدَني بنُصْحِكَ في انفرادِي　　　وجَنِّبْنِي النصيحةَ فِي الجَمَاعةْ

فإنَّ النُّصْحَ بَيْنَ الناسِ نوعٌ　　　من التَّوْبيخ لا أَرْضَى استِمَاعَه

وقد كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينصح في عمل رآه من بعض أصحابه يقول ما بال أقوام أو ما بال أناس أو ما بال رجال يفعلون كذا ولا يشير إلى شخص بعينه لئلا يحرجه أمام الناس.

والناصح عليه أن لا يرى لنفسه فضلاً على من ينصح فهو لا يدري ما الله كاتب له في مستقبل الأيام. وهو لا يعيب على من ابتلي بذنب أو خطيئة فرب معيب ابتلي بما عاب غيره به. الداخلون من باب حب النصح للمسلمين يكتب الله لهم ثواب من عمل بنصحهم، وأول ما عليهم أن يفعلوا هو ان يجتنبوا ما ينهون

عنه غيرهم ويكونوا أول من يفعل ما ينصحون غيرهم به، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] ، وهم لا يبخلون بتقديم النصح لغيرهم حتى ولو كان في ذلك ضرر لأنفسهم، فالبائع الذي يبيع السلعة عليه أن ينصح للمشتري بأن لا يغشه وعليه أن يشير عليه بأمانة، لا بما يرى في ذلك مصلحة لنفسه. وقد يكون النصح في أمور الدنيا ممن آتاه الله رأيًا وحكمة لمن هو أقل منه شأنًا. وقد تكون النصيحة في مجال التربية والرعاية والإرشاد وقد تكون النصيحة لمن هو أعلى منه شأنًا من حاكم أو أمير. قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات: ١٠] . وقال تعالى إخبارًا عن نوح ﷺ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢] وعن هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].
وكان رسول الله ﷺ يبايع أصحابه على النصح للمسلمين، فعَنْ جرير بْنِ عبدِ اللَّه رضي اللَّه عنه قال: بَايَعْتُ رَسولَ اللَّه ﷺ عَلى: **إِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكلِّ مُسْلِمٍ** - متفقٌ عليه. وعن النبيِّ ﷺ قال: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»** متفقٌ عليه.



٨٦- باب قول الحق

قـــال الله تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ **[الأحـزاب: ٧٠]**.

عن العرس بن عميرة الكندي، عن رسول الله ﷺ قال: **«من حضـر معصـية فكرهها فكأنه غاب عنها، ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها»** - رواه أبو داؤد بإسناد حسن - وعن عبادة بن الصامت، قال: **«بايعنا رسول الله ﷺ علـى السـمع والطاعة في المنشط والمكره وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»** رواه البخاري.

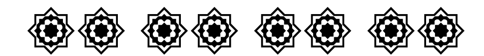
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **"أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر - أو أمير جائر -"** رواه أبو داؤد بإسناد صالح.

وعنْ أَبِي عبدِ اللَّه طارِقِ بنِ شِهابٍ الْبُجَلِيِّ الأَحْمَسِيِّ رضـي اللَّـه عنـه أَنَّ رجلاً سأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، **وقَدْ وَضعَ رِجْلَهُ في الغَرْزِ: أَيُّ الْجِهادِ أَفْضَلُ؟ قَـالَ: «كَلِمَـةُ حقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جائِرٍ»** رَوَاهُ النسـائيُّ بإسـنادٍ صـحيحٍ. «الْغَـرْزُ» هُـوَ ركَـابُ كَـورِ الْجمَلِ مِنْ جِلْدٍ أَوْ خَشَبٍ أو غيره.

إن قول الحـق يشـمل الشـهادة الصـادقة لإنقـاذ روح بريئـة أو اسـتعادة مـال مغتصب أو تفنيد كلام كذب مفترى على شخص غائب او الدفاع عـن مظلـوم أو قول حق يصلح بين متخاصمين. فقول الحق وإن غضب الناس أو سلطوا السـنتهم باللوم وتحمل تبعات مثل تلك الأقوال، كل ذلك من قول الحق الذي يرجو صاحبه ربما بوقفة حق صادقة واحدة بنية خالصة لوجه الله أن يدخل صاحبها رضـوان الله ويكون ممن توجه إلى الله بهذا العمل. أما من اعتاد على قـول الحـق وإن كـان مـرًا

ولو خسر أصحابًا له فإن ذلك أقوى وأفضل، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما ترك الحق صديقًا لعمر، لكن الله أعقبه ذكرًا حسنًا في الآخرين ومثوبة لا شك فيها في الآخرة.

قد يخطئ بعض الناس بفهم قول الحق بأنه قول الصدق ولو أدّى إلى فتنة أو خصام، فقد رُخص لمن يصلح بين الناس أن يقول خيرًا أو ينمي خيرًا بهدف الإصلاح، لذلك فإن من عرف أمرًا يمكن أن يؤدي إلى إفساد فعليه أن يخفي ذلك ولا يكون سببًا في الفتنة بين الناس.

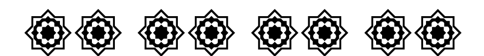


٨٧- باب الدلالة على الخير

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أبدع بي (ليس لي دابة) فاحملني. فقال (ما عندي) فقال رجل: يا رسول الله ! أنا أدلّه على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ **(من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله)** - رواه مسلم.

تشمل الدلالة علي الخير أبوابًا كثيرة فإرشاد من ضلّ الطريق دلالة على الخير، وتعليم الأطفال أمور دينهم ودنياهم دلالة على الخير، وتذكير الغافل دلالة على الخير، ونصح المشتري لكي يقتني البضاعة الأفضل دلالة على الخير، ونصح مراجع لدائرة رسمية بما عليه أن يفعل دلالة على الخير، وكثير مما يقابله المرء يوميًا فيه باب من أبواب الدلالة على الخير، والعمل في الجمعيات الخيرية لجمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها أو الحث على بناء المساجد وبيوت الأيتام كل ذلك من أعمال الدلالة على الخير والحث عليه. إن الرغبة في الدلالة على الخير تنبئ عن كرم المرء في التضحية بوقته وجهده لخير غيره ابتغاء وجه الله. والنية الخالصة في أعمال الدلالة على الخير شرط في ذلك، فإذا كانت النية خالصة لوجه الله واستنفذ المرء جهده في النصح والدلالة على عمل الخير فإنه يتوجه إلى الله من باب عظيم لأن ثواب أعمال من استرشد به تضاف إلى ميزانه دون أن ينقص من حسناتهم شيئًا.

إن فعل الخير قد يكون ثوابه مرة واحدة أو بعدد مرات فعله، أما الدلالة على الخير فثوابها يتكرر كلما تكرر فعل الشخص الذي أُرشد إلى عمل خير مع أن الدلالة على الفعل قد حدثت مرة واحدة. لذلك فإن الدلالة على عمل الخير باب واسع للوصول إلى حسنات كثيرة من حسنات الغير الذين ساعدهم على عمل الخير أو دلهم عليه.



٨٨- باب قضاء حاجات العباد

هناك من عباد الله من قد استخدمهم الله لقضاء حاجات عباده، فهم يأنسون بقضاء حوائج العباد قبل قضاء حوائج أنفسهم. فإن رأوا ذا كربة نفسّوا عن كربته وإن رأوا من به عوق أو عاهة ساعدوه في قضاء حاجته، وإن لجأ إليهم ذو حاجة ساروا في قضاء حاجته ليس ذلك تباهيًا أمام الناس ودون أن يصبهم ذلك بعجب في أنفسهم، بل هم يرون أن ذلك فضل من الله أسداه إليهم وأن الله في حاجتهم ما دام أخ لهم في حاجة إليهم.

هؤلاء الذين يقضون حوائج العباد ويفعلون ذلك عن طيب نفس وتواضع احتسابًا لله دون منٍّ أو أذى يُدخلهم الله في كنفه ويغفر لهم وقد ورد عن رسول الله ﷺ عن الله يوم القيامة "يقول الله: استطعمتك فلم تطعمني، قال: فيقول: يارب! وكيف استطعمتني، ولم أطعمك، وأنت رب العالمين؟ فيقول أما علمت أن عبدي فلانًا استطعمك فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو كنت أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ ابن آدم! استسقيتك فلم تسقني، فقال: يا رب! وكيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ فيقول: إن عبدي فلانًا استسقاك فلم تسقه، أما علمت أنك لو كنت سقيته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني، قال: يا رب! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مريض، فلو كنت عدته لوجدت ذلك عندي؟ أو وجدتني عنده؟ - من صحيح الأدب المفرد -.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩﴾ **[الحج: ٧٧]**. وقال رسولَ اللَّه ﷺ: «**المسلمُ أَخــو المسلم لا يَظلِمُه ولا يُسْـلِمُهُ. ومَـنْ كَـانَ فِـي حاجةِ أَخِيهِ كانَ اللَّهُ فِي حاجتِهِ، ومنْ فَرَّجَ عنْ مُسلمٍ كُرْبةً فَرَّجَ اللَّهُ عنه بها كُرْبةً من كُرَبِ يومَ القيامةِ، ومن سَتَرَ مُسْلمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ الْقِيامَةِ**» متفق عليه. وعن

النبيِّ ﷺ قال: **«من نَفَّس عن مؤمن كُرْبة منْ كُرب الدُّنْيا، نفَّس اللَّه عنْه كُرْبة مـنْ كُرَب يوم الْقِيامَةِ، ومنْ يسَّرَ على مُعْسرٍ يسَّرَ اللَّه عليْه في الدُّنْيَا والآخِرةِ، ومنْ سَتَر مُسْلِمًا سَترهُ اللَّه فِي الدنْيا والآخرة، واللَّه فِي عوْنِ العبْد ما كانَ العبْـدُ في عـوْن أَخيهِ..»** رواه مسلم.

قضاء حوائج الناس باب عظيم للخير فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن الصـادق المصدوق ﷺ قوله: **"إن لله عبادًا اختصهم بقضاء حوائج الناس، حببهم إلى الخـير، وحبب الخير إليهم، هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة "** فهذا رسولنا ﷺ قبـل بعثته كان من ضمن شمائله الكريمة قضاء حوائج الناس كما أثنت بها عليه زوجـه الوفية خديجة رضي الله عنها وأرضاها حيث قالت له يوم أن جاء فزعًا من الغار في بداية الوحي "كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيـكَ اللَّـهُ أَبَـدًا إِنَّـكَ لَتَصِـلُ الـرَّحِمَ وَتَحْمِـلُ الْكَـلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَـقِّ". فهـذه الصـفات الـتي وردت في قول خديجة هي ما كان يتصف به رسول الله ﷺ في تعامله مـن المشـركين من أهل مكة قبل بعثته وكان هذا دلـيلاً لهـا علـى صـدق نبوتـه لأن هـذه مكـارم الأخلاق ومن اتصف بها لا يخاف أن يصيبه مسّ من الشيطان فيغويه بإدعاء كاذب او ضلال أو اتباع للهوى.

إن للاعتكاف فضل عظيم وأجر كبير، كيف لا وقد فرَّغ المسلم نفسـه لربـه، وقطع علائقه بالدنيا، لكنَّ الذي يقضي حوائج الناس أعظـم مـن المعتكـف أجـرًا: كما روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"مـن مشـى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين"**– الترغيب والترهيـب للمنـذري والهيتمي في مجمع الزوائد بإسناد جيد. يحكى أن الحسن البصري رضي الله عنه أمـر ثابتًا البناني بالمشي في حاجة قال ثابت: إني معتكف. فقال له: يا أعمش! أما تعلـم أن مشيك في قضاء حاجة أخيك المسلم خير لك...".

إن أصحاب النجدة والمروءة لا تسمح لهم نفوسهم بالتأخر أو التردد عند

رؤية ذوي الحاجات يتلوعون؛ فيتطوعون بإنجاز وقضاء حوائجهم طلبًا للأجر والثواب من الله تعالى، وانظر إلى شهامة نبي الله موسى عليه السلام، حين فرَّ هاربًا من بطش فرعون، وقد أصابه الإعياء والتعب، فلما ورد ماء مدين ووجد الناس يسقون، وجد امرأتين قد تنحيتا جانبًا تنتظران أن يفرغ الرجال حتى تسقيا، فلما عرف حاجتهما لم ينتظر منهما طلبًا، بل تقدم بنفسه وسقى لهما: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ **[القصص: ٢٣ - ٢٤]** وهكذا أصحاب النجدة والمروءة يندفعون دفعًا نحو المكرمات ومنها إغاثة الملهوفين وذوي الحاجات آملين الثواب من الله وحده.

ومن قضاء حاجات العباد عيادة المريض فهو بحاجة إلى مواساة وتطييب خاطر ودعاء وكذلك عزاء من فقد عزيزًا عليه وإعانة المقعد والمعوق والأرملة واليتيم، فكل هؤلاء بحاجة إلى عون ورعاية وهي من حقوق المسلم على أخيه المسلم.

وأخيرًا فإن إغاثة الملهوف وإعانة المحتاج هي من قبيل شكر الله تعالى على نعمه، وبالشكر تدوم النعم، فمن كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فإن قام بما يجب لله فيها عرّضها للدوام والبقاء، وإن تبرم بها ولم يقم فيها بما يوجب الله عليه عرّضها للزوال، نعوذ بالله من زوال نعمه، وتحول عافيته.

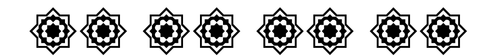
من الناس من يختبره الله بأن يأتيه من يطلب المساعدة منه بلهفة وحاجة شديدة وهو في وضع صعب وتعتمد على مساعدته آثار لها ما بعدها فيطرق أبواب من يستطيع مساعدته أو يُطلع على وضعه من يقدر على مساعدته. هذا الملهوف قد يحتاج مالاً كبيرًا أو وقتًا طويلاً او جاهًا عريضًا لكي تقضى حاجته وقد يحتاج إلى كلمة طيبة عند من يقضي حاجته وقد يحتاج إلى دعاء إلى الله ليخفف عنه،

فإغاثة مثل هذا الملهوف لوجه الله قد تدخل المرء الجنة وبذلك يكون ذلك بابًا من أبواب التوجه إلى الله. ومثل هذا العمل لإغاثة مثل هذا الملهوف هو واجب على من اطلع على حاله فإن قام به أحد فقد أسقط الواجب عن كل من عرف ذلك، أما إن لم يقم به أحد ممن عرف وضع ذلك المحتاج فإنه يُخشى أن يأثموا جميعًا. وإذا نوى المرء بعمله هذا إغاثة الملهوف نيابة عن نفسه ونيابة عن من اطلع على حال هذا الملهوف فإنه بالإضافة لذلك حصل على ثواب الإيثار، لأنه قام بعمل نيابة عن نفسه وعن كل من عرف حال ذلك المحتاج.عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ "**على كل مسلم صدقة، فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة**" - رواه البخاري وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**من أغاث ملهوفًا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح أمره كله، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة**" رواه البيهقي في شعب الإيمان.

كان عبد الله بن المبارك رضي الله عنه يحج سنة ويغزو سنة فلما كانت السنة التى يحج فيها خرج بخمسمائة دينار الى موقف الجمال ليشترى جملاً فرأى امرأة على بعض الطريق تنتف ريش بطة فتقدم اليها وسألها ماذا تفعلين؟ فقالت: يرحمك الله انا امرأة علوية ولى اربع بنات مات ابوهن من قريب وهذا اليوم الرابع ما أكلن شيئا وقد حلت لنا الميتة فأخذت هذه البطة أصلحها وأحملها الى بناتى فقال عبد الله فى نفسه: (ويحك يا ابن المبارك اين أنت من هذه؟)، فأعطاها عبد الله الدنانير التى كانت معه ورجع الى بيته ولم يحج هذه السنة وقعد فى بيته حتى انتهى الناس من مناسك الحج وعادوا الى ديارهم فخرج عبد الله يتلقى جيرانه وأصحابه فصار يقول الى كل واحد منهم: (قبل الله حجتك وشكر سعيك) فقالوا لعبد الله: (وأنت قبل الله حجتك وشكر سعيك إنا قد اجتمعنا معك فى مكان كذا وكذا) (اى أثناء تأدية مناسك الحج) وأكثر الناس القول فى ذلك فبات عبد الله مفكرًا فى ذلك

فرأى عبد الله النبى يقول: (يا عبد الله لا تتعجب فأنك أغثت ملـهوفًا فسـألت الله عز وجل ان يخلق على صورتك ملكًا يحج عنك). وعند أحمد من حديث البراء بـن عازب رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقوم جلوس في الطريق، قال: **"إن كنتم لابد فاعلين فاهدوا السبيل، وردوا السلام، وأغيثوا المظلوم"**.

وكثيرًا ما يحتاج الناس بعضهم لدفع ظلم يقـع علـيهم، فنصـرة المظلـوم حـق على المسلم. وكثيرًا ما تستدعي نصرة المظلوم الوقوع في تدافع مع من ظلمه، لذلك فنصرة المظلوم إن كانت تجاه ظالم متجبر لا يرعـى حرمـات الله ولا يـؤدي حقـوق عباده فإن مدافعته ونصرة المظلوم جهاد في سبيل الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **"انصر أخاك ظالما أو مظلوما"، فقال رجـل: يـا رسـول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: "تحجـزه، أو تمنعه، من الظلم فإن ذلك نصره"** (رواه البخاري). فمن كان ذا اسـتطاعة في حجـز الظالم عن ظلمه وفي الدفاع عن المظلومين وقام بذلك ابتغاء وجه الله وعاهد الله أن لا يأتيه مظلوم إلا نصره ولا ظالمًا إلاّ حجزه عن ظلمه كان ممـن توجـه إلى الله مـن باب نصرة المظلومين وإغاثة الملهوفين.



٨٩- باب الستر وحفظ الأسرار

كثيرًا ما يطلع الإنسان على عورات غيره أو أسرارهم أو شؤونهم الخاصة. فمن ستر مثل هذه العورات والأسرار ستره الله لأن المؤمن لا يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وهو يستر ما ظهر له من أسرارهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ **[النور: ١٩]**.

وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يسْتُرُ عَبْدٌ عبْدًا فِي الدُّنْيَا إلاَّ ستَرهُ اللَّه يَوْمَ الْقيامَةِ»** رواه مسلم. والستر يشمل ما يختص بالناس من شئونهم التي لا يريدون إطلاع الغير عليها وكذلك يشمل معايبهم من ما يتعلق بالخلقة أو المعاصي والسيئات. وسواء كانت المعصية من المرء نفسه أو من غيره فلا ينبغي الجهر بها والإعلان عنها ولا ترويجها لأن في الإعلان إشاعة لها، فعن أبي هريرة أيضًا قال: سمِعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«كُلُّ أَمَّتِي مُعَافًى إلاَّ الْمُجاهرينَ، وإنَّ مِن الْمُجاهرةِ أَن يعمَلَ الرَّجُلُ بالليلِ عملاً، ثُمَّ يُصْبحَ وَقَدْ سَترهُ اللَّه عَلَيْهِ فَيقُولُ: يَا فلانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْترهُ ربُّهُ، ويُصْبحُ يَكْشفُ سِتْرَ اللَّه»** متفق عليه.

ومِن هُنا جاء الحث على ستر المسلمين والمسلمات، والستر مُتعلّق بالمعاصي والآثام لا أن يستره بالكسوة ونحوها. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله "ومن ستر مسلماً" أي رآه على قبيح فلم يُظهره، أي للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه. وقال ابن عبد البر رحمه الله: إذا كان المرء يؤجر في الستر على غيره، فستره على نفسه كذلك أو أفضل، والذي يلزمه في ذلك التوبة والإنابة والندم على ما صنع، فإن ذلك محو للذنب إن شاء الله. وروى في التمهيد

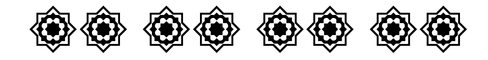
بإسناده أن عمار بن ياسر رضي الله عنه أخذ سارقًا، فقال: ألا أستره لعل الله يسترني. ولكن قد يبرز سؤال: مَنْ هو الذي يُستر عليه؟ قال الإمام النووي رحمه الله: المراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم، ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: واعلم أن الناس على ضربين: أحدهما من كان مستورًا لا يُعرف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة أو زلة، فإنه لا يجوز هتكها ولا كشفها ولا التحدث بها؛ لأن ذلك غيبة محرمة، وهذا هو الذي وردت فيه النصوص، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ **[النور: ١٩]** والمراد إشاعة الفاحشة على المؤمن فيما وقع منه واتُّهم به مما بريء منه، كما في قضية الإفك. وكان فيما مضى بعض الوزراء الصالحين يقول لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب ومثل هذا لو جاء تائبا نادمًا وأقرّ بحده لا يسأل عن تفاصيل عمله ولا يستفسر منه، بل يؤمر بأن يرجع ويستر نفسه، كما أمر النبي ﷺ ماعزًا والغامدية، وكما لم يستفسر الذي قال: أصبت حدًا فأقمه عليّ، ومثل هذا لو أخذ بجريمته ولم يَبلغ أولي الأمر، فإنه يُشفع له حتى لا يبلغ أولي الأمر، وفي مثله جاء في الحديث عن النبي ﷺ: أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم. أخرجه أبو داود والنسائى من حديث عائشة

أما من كان مشتهرًا بالمعاصي مُعلنًا بها ولا يبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له هذا هو الفاجر المعلن، وليس له غيبة كما نصّ على ذلك الحسن البصري وغيره، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره، لتُقام عليه الحدود. قال الإمام مالك: من عُرف بشرّ أو فساد، فلا أحب أن يَشفع له أحد، ولكن يُترك حتى يُقام عليه الحدّ.

وأسوأ من هذا أن يُفاخر بالجريمة ويفتخر بالفاحشة أو أن يُفاخر في جرائم آثام لم يفعلها ! ليظهر بين أقرانه بصورة البطل المغوار صاحب المغامرات والليالي الملاح. وهذا على جميع المستويات سواء كان العاصي فردًا أو عشيرة أو جماعة، فمن إطلع على عمل سيئ من جماعة فعليه أن يستره إن لم تكن تلك الجماعة معروفة بالمجاهرة بالمعاصي.

إن من الناس من يطلع على أسرار الناس نتيجة عمله أو المكانة التي منحه الله إياها كالطبيب والقاضي والمفتي، فهؤلاء مؤتمنون على أسرار الناس وعليهم كتمان ما يطلعون عليه من أسرارهم وهم على باب من الأبواب التي يتقرب العباد إلى الله بها فلا يفرطوا بها.

ويقع حفظ السر تحت الوفاء بالعهد ضمن قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ **[الإسراء: ٣٤]**. فعن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ الرَّجُلَ يُفضِي إِلى الْمَرْأَةِ وَتُفضِي إِلَيهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**» رواه مسلم. وعن ثابتٍ عن أنس، رضي اللَّه عنه قال: **أَتى عليٌّ رسول اللَّه ﷺ وأَنا أَلْعبُ مع الْغِلْمانِ، فسلَّمَ عَلَيْنا، فَبَعَثَني في حاجة، فَأَبْطأْتُ على أُمِّي، فَلَمَّا جِئتُ قالت: ما حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَني رسولُ اللَّه ﷺ لحَاجَةٍ، قالت: ما حَاجتهُ؟ قلت: إِنَّهَا سرٌّ. قالتْ: لا تُخبِرَنَّ بسِر رسول اللَّه ﷺ أحدًا. قال أَنسٌ: واللَّهِ لوْ حدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لحدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثابت** - رواه مسلم، وروى البخاري بَعْضَهُ مُخْتصرًا.

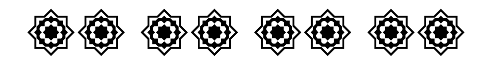


٩٠ - الذب عن عرض المؤمن

باب من أبواب التوجه إلى الله يساق للمؤمن أحيانًا من حيث لا يحتسب حين يحضر مجلسًا يضم بعض الأشرار، وما أكثرهم في هذا الزمان وفي كل زمان، ولا بد للأشرار أن ينتشر شرهم لغيرهم فهم يقعون في أعراض الناس بالغيبة وبقول الزور وبالنميمة وغيرها من آفات اللسان، فمن حضر مجلسًا من مثل هذه المجالس وهو يعلم كذب مثل هذا الإدعاء أو استطاع أن يدفع الأذى عن من غاب فقد وقع في امتحان التوجه إلى الله من باب الذب عن عرض المؤمنين. قال ﷺ: "**من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة وتلا رسول الله ﷺ ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]** رواه الترمذي وقال حديث حسن. وفي حديث آخر "**من ذبّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًا على الله أن يعتقه من النار**"- الترغيب والترهيب للمنذري وإسناده حسن.

وروى أبو الشيخ في التوبيخ عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا "**من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه إثمه في الدنيا والآخرة**" - ورواه الأصبهاني بلفظ: من اغتيب عنده أخوه المسلم فاستطاع نصرته فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة ، وإن لم ينصره أذلّه الله في الدنيا والآخرة.

المسلمون أخوة من غاب منهم ومن حضر، فمن دافع عن أخيه في غيابه فقد نصره وقام بواجبه نحوه في تلك اللحظة التي ذُكر بها بسوء وهو غائب لا يستطيع الدفاع عن نفسه، وهذا الفعل من أفعال الكرماء وذوي الحمية والمروءة ـ فليس من المروءة سماع الغيبة أو الذم والسكوت عنه إن علم خلاف ذلك ممن ذكر.



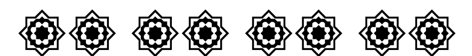
٩١- باب نصرة المظلوم

نصرة المظلوم باب عظيم من أبواب التوجه إلى الله تعالى، فقد روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "**أمرنا النبي ﷺ بسبع: (بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسم. ونهى عن الشرب في الفضة، ونهى عن تختم الذهب، وعن ركوب المياثر، وعن لبس الحرير، والديباج، والقسي، والإستبرق)** - رواه البخاري.

إن نصر المظلوم قد يقع في غيبته فمن نصر مسلمًا في غيبته فقد ذب عن غيبة أخيه واستبرأ لدينه، وقد تقع نصرة المظلوم في حضوره وهو محتاج لذلك، وقد يحتاج المسلم المظلوم من ينصره فيستنجد بمن يظن أنه يستطيع نصرته. ونصرة المظلوم من شيم الكرام الذين لا يبالون بما يصيبهم نتيجة مواقفهم في نصرة الضعفاء المظلومين الذين لا يستطيعون الذب عن أنفسهم.

قال تعالى في الإصلاح بين المسلمين: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ **[الحُجُرات: ٩]**، فنصرة المظلوم لوجه الله حتى بقتال الظالم واجب على من يقدر على ذلك، ومن يفعله ينال خيرًا كثيرًا.

إن من الناس من اعتاد أن يلجأ إليه الضعفاء والمظلومون فيستنجدون به لما يعرف عنه من نخوة وحب للخير ومكانة في المجتمع وهو يبذل جاهه ومكانته في سبيل إعانة الضعفاء والمظلومين فيأخذ لهم حقهم ممن ظلمهم. فإذا ما فعل ذلك ابتغاء وجه الله، لا ابتغاء المديح والثناء وتعزيز المكانة في المجتمع، فإنه يتوجه إلى الله من باب نصر المظلوم. ومن الناس من يضعه الله في موقف يرى وقوع ظلم فادح على ضعيف لا يستطيع أن يدفع عن نفسه فيتطوع لنجدته أو يستغيث الضعيف به فإن قام بنصرته ابتغاء وجه الله جازاه الله بذلك الموقف خير الجزاء



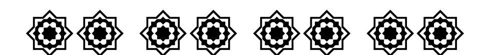
٩٢- باب الإصلاح بين الناس

من الناس من حباه الله بمكانة بين الناس فينذر نفسه لكي يصلح بين المتخاصمين ويسخر وقته في القضاء على الخلاف والبغضاء بين الناس. المصلح بين الناس يقضي على فساد ذات البين. ومن أنواع الإصلاح ان يصلح ما أفسد غيره غير آبه بما يصيبه هو من مشقة أو جهد. قال الله تعالى: ﴿ **لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ **[النساء: ١١٤]** وقال: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ **[الأنفال: ١]** وقال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾ **[الحُجُرات: ١٠]**. وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كُلُّ سُلامى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بيْن الاثْنَيْنِ صَدقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعهُ صَدقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبةُ صدقَةٌ، وبكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**» متفق عليه. «ومعنى تَعْدِلُ بَيْنَهُمَا» تُصْلحُ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ. وعن أُمِّ كُلْثُومٍ بنتِ عُقْبَةَ بن أَبي مُعَيْطٍ رضي اللَّه عنها قالت: سمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الذي يُصْلحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**» متفق عليه.

إن من الناس من تستدعي مهنته أن يحتكم إليه الناس شاكيًا بعضهم لبعض مطالبًا بحق كالقاضي والمحامي أو من يعمل في إدارة أو يتحمل مسؤولية ما. ومثل هؤلاء يسوق الله لهم من هم محتاجون للصلح قبل القضاء. فمثل هؤلاء قيامهم بالصلح صدقة لهم وتقرب إلى الله بأعمال يتقاضون عليها أجورًا في الدنيا ويعيشون من ورائها لكن ثوابهم عند الله عظيم. ومن أقرب القربات عند الله

إصلاح ذات البين داخل الأسرة الواحدة كـالخلاف بـين الـزوج وزوجتـه أو الأخ وأخيه. ومثل هذا الإصلاح ينبغي أن يتم من قبل أقرب النـاس فـالأقرب، فإنـه لا ينبغي أن يوكل أمر الإصلاح إلى البعيد والقريب متفرج وكأن الأمر لا يعنيـه. كمـا أن من كانت له مكانة في مجتمعه أو رئاسة أو وجاهة يستطيع من خلالها أن يصـلح بين الناس فيقوم بذلك ابتغاء وجه الله فقد أدّى جزءًا من حق الله عليه تجاه ما أنعم الله عليه وهو بذلك ينال حسن الثواب عند الله تعالى.

ومن يريد الصلح عليه أن يخلـص النيـة في مسـعاه لأن التوفيـق بيـد الله قـال تعـــــالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ **[النســاء: ٣٥]** وعليـــــه أن يتصف بالحلم والصبر وأن لا يتكلم إلاّ بما فيـه الإصـلاح ويمكـن أن يسـتعين بمـن يساعده في مسعاه فإن هو قام بذلك محتسبًا ذلك لوجه الله تعالى كان ممن توجـه إلى الله من هذا الباب.



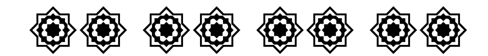
٩٣- باب الإصلاح في الأرض

قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ **[المائدة: ٣٢]**.

من الناس من سخره الله لعمل الخير في الأرض، فهو يحب الخير للناس فيما يصلح حالهم في دنياهم وآخرتهم، وهو يحب إصلاح الأرض وعمارتها لخير البشر، ويعمل ما استطاع في نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة وإشاعة العدل والوئام بين الناس، ويشترط في ذلك كله صدق النية والإخلاص لوجه الله دون غاية في شهرة او مكانة بين الناس أو منفعة دنيوية خاصة. فقد يهيئ الله لبعض الناس موقعًا أو مسؤولية أو منصبًا أو موقفًا يختار فيه بين ما يرضي الله من إصلاح أو خير أو فضائل وبين مصلحة شخصية تعود عليه بالنفع، فيختار ما يرضي الله تعالى. مثل هذا الموقف قد يكتبه الله له في ميزان حسناته ويدخله به الجنة رغم أنه ليس من السابقين في عباداته أو باقي أعماله.

إن الله قد استخلف بني آدم لعمارة الأرض. وعمارتها تكون بحسن استخدام مواردها من مياه وثروات وغابات وأراض ومعادن، إضافة إلى نشر الفضائل والخير، فمن عمل على الأصلاح وجعل دأبه ذلك ابتغاء وجه الله كان ممن توجه إلى الله من هذا الباب. والعلم الحديث اليوم قد فتح أبوابًا كثيرة لخير البشر والإصلاح في الأرض، فالبحث العلمي للكشف عن أدوية جديدة أو جهاز جديد يخدم البشر أو علاج من مرض معين أو وقاية زرع من الآفات أو مساعدة أهل عوق معين أو غير ذلك من البحث، كل ذلك إن كانت النية خالصة لوجه الله فهي

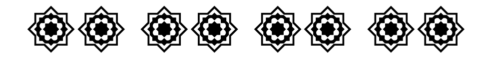
من الأصلاح في الأرض الذي يرجى أن يثقل ميزان حسنات فاعله يوم القيامة ويكتب له ثواب عن كل من انتفع من علمه أو بحثه أو عمله سواء في حياته أو بعد مماته إذا ما خلصت النية لوجه الله تعالى. إن الإصلاح اليوم في أي مجال من المجالات يحتاج غالبًا إلى العمل الجماعي أو إلى جماعة. لذلك فإن تكوين الجماعة والعمل ضمن الجماعة يصبح أمرًا لا بد منه في أي مجال كان. والمؤمن يألف ويؤلف، فهو سهل الإنقياد ومحب للخير ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإذا ما كان في مجموعة بحث أو جمعية خيرية أو فرقة تنقيب عن معادن أو إدارة مدرسة فإن دأبه عمل الخير منفردًا وضمن جماعة لغرض الخير والإصلاح ومن كان هذا دأبه كتبه الله عنده من المتوجهين إليه المصلحين.



٩٤- باب ولاية المؤمنين

الله ولي المؤمنين فمن تولى الله تعالى بصدق تولى أولياءه من المؤمنين بولاية الله وتبرأ من الكفر وأهله، فلا يوالي كافرًا ولا يركن إليه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ **[هود: ١١٣]** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ **[المائدة: ٥١]** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ **[الأنفال: ٧٢]**.

ولاية المؤمنين تظهر جليًا في النزاع بين فئة مؤمنة وفئة كافرة أو فاسقة أو ضالة، فمن والى المؤمنين وأحبهم وانحاز إلى جانبهم أو ساعدهم أو دافع عنهم ولو بكلمة صدق أو نصيحة أو دعاء فهو ممن والى المؤمنين، وقد يعاني من هذه الموالاة أذىً أو ضررًا فإن احتسب ذلك عند الله فهو ممن توجه إلى الله بولاية المؤمنين. وولاية المؤمنين تقترن بالبراءة من أعدائهم وعدم مساعدتهم أو الوقوف إلى جانبهم في أي نزاع مع فئة مؤمنة والإنكار عليهم باللسان أو كره عملهم بالقلب على أقل تقدير.



٩٥- باب تعظيم شعائر الله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ **[المائدة: ٢]** وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ **[الحج: ٣٢]**.

فسّر بعض العلماء شعائر الله بأنها أوامره وفرائضه، ومعنى ذلك: أن كل ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ وما تعبدنا الله تبارك وتعالى به فهو من شعائره، فيدخل في ذلك الشعائر الظاهرة والباطنة؛ لأن الدين باطنٌ وظاهرٌ، ويدخل في ذلك الشعائر العملية والشعائر الاعتقادية، ويدخل في ذلك الأركان والواجبات والمستحبات، فكل ما شرعه تبارك وتعالى فهو من شعائره، والمسلم مأمورٌ بأن يعظمها وأن لا يحلها.

فمن أمثلة تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم لشعائر الله ما روي عن أبي رُهم السماعي قال حدثني أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، قال لما نزل علي رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفل وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله: إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاظهر أنت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل. فقال: "يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في سفل البيت". فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن. فلقد انكسر حبّ لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة ما لنا لحاف غيرها، ننشف بها الماء تخوفًا أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه. قال: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثومًا، فرده رسول الله ﷺ فلم أر ليده فيه أثرًا، قال: فجئته فزعًا فقلت: يا رسول الله بأبي

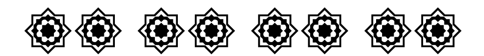
أنت وأمي رددت عشاءك ولم أرفيه موضع يدك؟ فقال " إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه " قال: فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد. فتعظيم أبي أيوب بأن لا يكون في طابق يعلو رسول الله وتعظيمه أن تنزل قطرات ماء على رسول الله وتحريه مكان يد رسول الله في الطعام، كل ذلم من تعظيم شعائر الله ومن حبه لرسول الله ﷺ. وكان السلف الصالح يعظمون شعائر الله ومنها رواية الحديث قال الإمام مالك: جاء رجل إلى ابن المسيب، فسأله عن حديث وهو مضطجع، فجلس وحدثه، فقال له الرجل: وددت أنك لم تتعن، فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله وأنا مضطجع. وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك، فإذا ذكر عنده حديث النبي خشع. وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله توضأ وتهيأ، ولبس ثيابه، ثم يحدث. قال مصعب: فسئل عن ذلك، فقال: إنه حديث رسول الله. وحكى مالك ذلك عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه. قال مطرف: كان إذا أتى الناس مالكًا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ: تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم، وإن قالوا الحديث دخل مغتسله، واغتسل وتطيب، ولبس ثيابًا جددًا، ولبس ساجه وتعمم، ووضع على رأسه رداء، وتلقى له منصة، فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله. قال: ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله. قال ابن أبي أويس: فقيل لمالك في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله، ولا أحدث به إلاّ عن طهارة متمكنًا. قال: و كان يكره أن يحدث في الطريق، أو وهو قائم، أو مستعجل. وكان قتادة لا يحدث إلاّ على طهارة، ولا يقرأ حديث النبي إلاّ على وضوء. قال عبد الله بن مبارك: كنت عند مالك، وهو يحدثنا، فلدغته عقرب ست عشرة مرةً، وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله. فلما فرغ من المجلس، وتفرق الناس عنه قلت له: يا أبا عبد الله، لقد رأيت اليوم منك

عجبًا، قال: نعم، لدغتني عقرب ست عشرة مرة، وأنا صابر في جميع ذلك، وإنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله. وقال ابن مهدي: مشيت يومًا مع مالك إلى العقيق، فسألته عن حديث، فانتهزني وقال لي: كنت في عيني أجلّ من أن تسأل عن حديث رسول الله ونحن نمشي. وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم، فأمر بحبسه، فقيل له: إنه قاض. قال: القاضي أحق من أدّب. كل هذه أمثلة على تعظيم السلف الصالح لشعيرة من شعائر الله وهي التحديث عن رسول الله ﷺ وصيغ التعظيم هي من فقههم في كيفية تعظيم شعائر الله.

ومن تعظيم شعائر الله تعظيم المصحف فلا يوضع كتاب أو شيئ آخر فوق المصحف أو تفسير القرآن، ومن تعظيم شعائر الله ان تحفظ الأوراق التي فيها آيات من كتاب الله أو أسماء الله الحسنى أو إسم رسول الله ﷺ ولا يترك شيئ من ذلك مرميًأ على الأرض ومن تعظيم شعائر الله ان لا يغلق المذياع أو آلة التسجيل عند تلاوة القرآن وسط كلمة أو وسط آية بل ينتظر حتى يتوقف القارئ فيغلق، ومن تعظيم شعائر الله الصلاة على رسول الله ﷺ عند ذكر اسمه، ومن تعظيم شعائر الله إكرام ذرية رسول الله ﷺ، ومن تعظيم شعائر الله العمل على نظافة المساجد وتنزيهها عن القاذورات واللغو والنزاع ومن تعظيم شعائر الله إكرام العلماء واحترامهم لما يحملون من علم أمرهم الله أن يبلغوه ويعلموه الناس، ومن تعظيم شعائر الله الإنصات عند سماع المؤذن وترديد ما يقول، ومن تعظيم شعائر الله عدم الإفطار العلني في رمضان لمن كان مسافرًا أو مريضًا لأن ذلك يهوِّن من إفطار الناس بغير عذر ويجلب الشك في من أفطر بعذر. ومن أمثلة تعظيم شعائر الله ما قامت به الأمة من شرقها لغربها من استنكار للصور المسيئة للرسول ﷺ، ومن تعظيم شعائر الله الدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام. ومن تعظيم شعائر الله الرد على شبهات المستشرقين والغلاة والمشككين في عدالة الشرع والطاعنين في القرآن الكريم وحجية السنة النبوية أو في تشويه وقائع من السيرة

النبوية.

قيل أن بشر الحافي كان يسير بطريق في مره من المرات فإذا بورقة ملقاة على جانب الطريق فرفعها فإذا مكتوب فيها الرحمن فقال: اسم الرحمن يمتهن؟ فرفع الورقة وطواها وطيبها ثم وضعها في جيبه فجاءه آت في منامه قال: رفعت اسمنا فرفعناك، وطيّبت اسمنا فطيبناك.



٩٦- باب الفقر

الفقر مع الكدّ والعمل والصبر على ذلك يفتح بابًا للقرب من الله تعالى. فالفقير الضعيف الذي يسعى لسد حاجات عياله وهو راضٍ بقضاء الله وقدره دون أن ينظر إلى من هو فوقه في الدنيا ولكن ينظر إلى من هو دونه فيحمد الله على نعمه، ولا يمد عينه حسدًا لأحد ممن هو أكثر منه مالاً وجاهًا وسلطانًا بل يبقى متصلاً بالله داعيًا له مؤملاً لما عنده وحده فإنه ينال ثوابًا ومكانة عند الله جزاء صبره. قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ **[الكهف: ٢٨]**. وعن حارِثة بْنِ وهْب رضي اللَّه عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: **«ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجنَّةِ؟ كُلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَم عَلَى اللَّه لأبرَّه، ألاَ أُخْبِرُكُمْ بَأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»** - متفقٌ عليه. «الْعُتُلُّ»: الْغَلِيظُ الجافِي و«والجوَّاظُ» بفتح الجيم وتشدِيدِ الواو وَهُو الجمُوعُ المُنوعُ، وَقِيلَ: الضَّخْمُ الْمُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ. مرَّ رجُلٌ على النَّبيِّ ﷺ فقالَ لرجُلٍ عِنْدهُ جالس: «ما رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فقال: رَجُلٌ مِنْ أَشْرافِ النَّاسِ هذا وَاللَّهِ حَريٌّ إنْ خَطَب أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَع أَنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسول اللَّه ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخرُ، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: «مَا رأْيُكَ فِي هَذَا؟» فقال: يا رسولَ اللَّه هذا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هذَا حريٌّ إنْ خطَب أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَع أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْمع لِقَوْلِهِ. فقال رسول اللَّه ﷺ: **«هَذَا خَيْرٌ منْ مِلءِ الأَرْضِ مِثْلَ هذَا»** متفقٌ عليه. قوله: «حَرِيٌّ» أَيْ حقِيقٌ. وعن أَبي سعيدٍ الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«احْتجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ فقالت النَّارُ: فيَّ الجبَّارُونَ والمُتكبِّرُونَ، وقَالتِ الجنَّةُ: فيَّ ضُعفَاءُ النَّاسِ ومسَاكِينُهُم فَقَضَى**

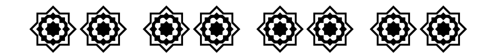
اللَّهُ بَيْنَهُما: إِنَّك الجَنَّةُ رحْمتِي أَرْحَمُ بِكِ مَـنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذابِي أُعذِّب بِكِ مَــنْ أَشَاءُ، ولِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلؤُها» رواه مسلم. وقال رجُلٌ للنَّبِيِّ ﷺ: يارسولَ اللَّه، واللَّه إِنِّي لأُحِبُّكَ، فقال: «**انْظُرْ ماذا تَقُولُ؟**» قال: وَاللَّه إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فقال: «**إِنْ كُنْتَ تُحبُّنِي فَأَعِدَّ لَلفقرِ تِجْفافًا، فإِنَّ الفَقْر أَسْرَعُ إِلى من يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلى مُنْتَهَاهُ**» رواه الترمذي وقال حديث حسن. «التِّجْفَافُ» هُوَ شَيْءُ يَلْبِسُهُ الفَـرسُ، لِيُتَّقَى بِهِ الأَذَى، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الإِنْسَانُ. وعن أبي هريرة رضـي اللَّـه عنـه، قـال: قـال رسولُ اللَّه ﷺ: «**يَدْخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمائَةِ عَـامٍ**» رواه الترمـذي وقال: حديث صحيح. وعن النبيِّ ﷺ قال: «**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّـةِ فَرَأَيْـت أَكْثَـرَ أَهلِهَـا الفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّساءَ**» متفقٌ عليه. وعن أُسامةَ بنِ زيدٍ رضيَ اللَّه عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**قُمْتُ عَلى بَاب الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَـا المَساكِينُ وأَصَحَابُ الجِدِّ محبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصحَابَ النَّار قَد أُمِـرَ بِهِـمْ إِلى النَّـارِ**» متفقٌ عليه. و«الجَدُّ» الحَظُّ وَالغِنَى.

التوجه إلى الله من باب الفقر والذل والمسكنة والرضا بما قسم الله على قلة ما في اليد باب عظيم. قال رسول اللَّه ﷺ: «**رُبَّ أَشْعثَ أغـبرَ مـدْفُوعٍ بـالأَبْوَابِ لَـوْ أَقْسمَ عَلَى اللَّهِ لأَبرَّهُ**» رواه مسلم. فهذه مكانتـه عنـد الله في الـدنيا أن يـبرّ قسـمه فكيف بمكانته عنده يوم القيامة. وعن أَبي هُبيْرةَ عائِذِ بن عمْرو المزَنيِّ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بيْعةِ الرِّضوانِ رضي اللَّه عنه، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتى عَلَى سلْمَانَ وصُهَيْب وبلالٍ في نفَرٍ فقالوا: ما أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّه مِنْ عدُوِّ اللَّه مَأْخَذَهَا، فقال أَبو بَكْرٍ رضي اللَّه عنـه: أَتقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسيِّدِهِمْ؟ فَأَتى النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبرهُ فقال: "**يا أَبَا بَكْر لَعلَّكَ أَغْضَبْتَهُم؟ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَـبْتَهُمْ لَقَـدْ أَغْضَـبتَ رَبَّـكَ"، فأَتَـاهُمْ فقـال: يـا إِخْوتَـاهُ آغْضَبْتُكُمْ؟ قالوا: لا، يغْفِرُ اللَّه لَكَ يا أُخَيَّ.** رواه مسلم.

قولُهُ «مَأْخَذَهَا» أَيْ: لَمْ تَستَوفِ حقَّهَا مِنْهُ. وقولُهُ: «يا أُخيَّ» رُوِي بفتحِ الهمزةِ وكسر الخاءِ وتخفيفِ الياءِ، ورُوِي بضم الهمزة وفتحِ الخاءِ وتشديد الياءِ.

وليس الفقر فقط بمعنى ضيق ذات اليد بل يشمل ذلك التخفي والزهد في الشهرة. وهذا باب مهم للتوجه إلى الله ممن لم ينل نصيبًا من الجاه أو الشهرة والمكانة. هؤلاء الضعفاء المتخفون الذين تربطهم بالله رابطة الإخلاص الذي لا يريدون أن يشوبه شيء من العجب والخيلاء والكبر والشهرة والمديح، إنهم عند الله عظام رغم عدم انتباه الناس إليهم. فالفقير إلى الله لا يبدو عليه أية رائحة من التكبر وحب الشهرة والمديح. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **"كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك"** (رواه الترمذي وقال حسن صحيح) وعن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ أنه قال: **"ألا أدلكم على أهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، وأهل النار: كل جواظ عتل مستكبر"** (رواه البخاري)، وعن سَعِيدِ ابْنِ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ حَاجَتَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: **"اصْبِرْ أَبَا سَعِيدٍ، فَإِنَّ الْفَقْرَ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِى مِنْكُمْ أَسْرَعُ مِنَ السَّيْلِ عَلَى أَعْلَى الْوَادِى، وَمِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِهِ"** - شعب الأيمان للبيهقي

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: **"اللهم أحيني مسكينًا، وتوفني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين، وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة"** – الترغيب والترهيب بسند صحيح أو حسن أو ما قاربهما.



٩٧- باب الزهد

الزاهد يتجه إلى الله بالتذلل إلى الله وترك التنعم بما هو مباح له وهو قادر عليه طمعًا بما عند الله من الثواب. باب الزهد مفتوح لمن آثر نعيم الآخرة وترك زينة الحياة الدنيا وتعلق قلبه بالآخرة رغم أن الدنيا في متناول يديه.

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ **[يونس: ٢٤]**. وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ **[الكهف: ٤٥ - ٤٦]**. وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ **[الحديد: ٢٠]** . وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ **[آل عمران: ١٤]**. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ

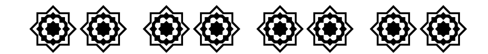
﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ **[فاطر: ٥]**. وقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ **[التكاثر: ١ - ٥]**. وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ **[العنكبوت: ٦٤]**. عن أبي الْعبَّاس سَهْلِ بنِ سعْدٍ السَّاعديِّ، رضي اللَّه عنه، قال: جاءَ رجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ: فقالَ: يا رسول اللَّه دُلَّني عَلى عمَلٍ إذا عَمِلْتُهُ أَحبَّني اللَّه، وَأَحبَّني النَّاسُ، فقال: **«ازْهَدْ فِي الدُّنيا يُحِبَّكَ اللَّه، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحبَّكَ النَّاسُ»** حديثٌ حسنٌ رواه ابن مَاجَه وغيره بأَسانيد حسنةٍ. وعن ابن عمر، رضي اللَّه عنهما، قال: أَخَذ رسول اللَّه ﷺ بِمَنْكِبَيَّ، فقال: **«كُنْ فِي الدُّنْيا كأَنَّكَ غريبٌ، أَوْ عَابِرُ سبيلٍ»**. وَكَانَ ابنُ عمرَ رضي اللَّه عنهما، يقول: **إِذَا أَمْسيْتَ، فَلا تَنْتظِرِ الصَّباحَ وإِذَا أَصْبحْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ المَساءَ، وخُذْ منْ صِحَّتِكَ لمرضِكَ ومِنْ حياتِك لِموتكَ** - رواه البخاري. قالوا في شرح هذا الحديث معناه لا تَركَن إلى الدُّنْيا ولا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، ولا تُحدِّثْ نَفْسكَ بِطُول الْبقَاءِ فِيهَا، وَلا بالاعْتِنَاءِ بِهَا، ولا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إلاَّ بِما يَتَعَلَّقُ بِه الْغَريبُ في غيْرِ وطَنِهِ، ولا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِما لا يشتَغِلُ بِهِ الْغريبُ الَّذِي يُريدُ الذَّهاب إلى أَهْلِهِ. وليس الزهد بترك كل ما في الدنيا من الحلال بل عدم تعلق القلب بما فيها فلا يكون الشغل الشاغل للزاهد الركض وراء الدنيا ومفاتنها ومتاعها ولكن شغله الشاغل مرضاة الله غير مبالٍ بما فاته من مكاسب دنيوية، فإن كانت له حاجة من حاجات الدنيا تشغله عن التقرب إلى ربه تركها ابتغاء مرضاة الله فقلبه معلق بالله. فعن كَعبِ بنِ مالكٍ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَا ذِئْبَان جَائعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَم بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ على المالِ وَالشَّرفِ لِدِينِهِ»** رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. والزهد يتضح حاله في المأكل والمشرب والملبس والمسكن، فعن أبي كَرِيمَةَ المِقْدامِ بن معْدِ يكَرِب رضي اللَّه عنه

قال: سمِعتُ رسول اللَّه ﷺ يقَولُ: **«مَا ملأَ آدمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِه، بِحسْبِ ابن آدمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبُهُ، فإِنْ كَانَ لا مَحالَةَ، فَثلُثٌ لطَعَامِهِ، وثُلُثٌ لِشرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»** - رواه الترمذي وقال: حديث حسن. «أُكُلاتٌ» أَيْ: لُقمٌ. وقال رسول الله ﷺ:**«إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُم مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِن زَهْرَةِ الدُّنيَا وَزِينَتِهَا»** متفقٌ عيه. وقال: **«إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّه تَعالى مُسْتَخْلِفكُم فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْملُونَ فاتَّقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاءِ»** رواه مسلم. وضرب مثلاً لأمته في زهده حين كان يقول: **«اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ»** متفقٌ عليه. ودليل الزهد الإنفاق في سبيل الله حتى أنه كان عليه الصلاة والسلام يقول: **«لو كان لي مِثلُ أُحُدٍ ذَهَبًا لَسرَّني أَنْ لا تَمُرَّ علَيَّ ثَلاثُ لَيَالٍ وَعِندِي منه شَيءٌ إلاَّ شَيءٌ أُرْصِدُه لِدَينٍ»** متفقٌ عليه. وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها، قالت: **تُوفِّيَ رسولُ اللَّه ﷺ وما في بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلاَّ شَطْرُ شَعيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَال علَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ** - متفقٌ عليه.«شَطْرُ شَعيرٍ» أَي شَيْء مِنْ شَعيرٍ - كَذا فسَّرهُ التِّرمذيُّ. وعن عمر بنِ الحارث أَخي جُوَيْرِية بنْتِ الحَارثِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، رضي اللَّه عنهما، قال: **«مَا تَركَ رسولُ اللَّه ﷺ، عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، ولا عَبْدًا، وَلا أَمَةً، وَلا شَيْئًا إِلاَّ بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَان يَرْكَبُهَا، وَسِلاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً»** رواه البخاري. وعن عبدِ اللَّه بن مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه، قال: نَامَ رسولُ اللَّه ﷺ على حَصيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، قُلْنَا: يا رَسُولَ الله لو اتَّخَذْنَا لكَ وِطَاءً، فقال: **«مَالي وَلَلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»** - رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وعن عائشةَ، رضي اللَّه عنها، قالت: **ما شَبعَ آلُ مُحمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْز شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ** - متفقٌ عليه. وعَنْ أَبي هُرَيرةَ رضي اللَّه عنه **أَنه مَرَّ بِقَوم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيةٌ فَدَعَوْهُ فَأَبى أَنْ يَأْكُلَ، وقال: خَرج رسول اللَّه ﷺ من الدنيا ولَمْ يشْبعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ** - رواه البخاري. «مَصْلِيَّةٌ» بفتحِ الميم: أَيْ: مَشْوِيةٌ. وعن أَنسٍ رضي اللَّه عنه قال: **لَمْ يأْكُل النَّبِيُّ ﷺ**

على خِوَانٍ حَتَّى مَات، وَمَا أَكَلَ خُبزًا مرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ - رواه البخاري. وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها قالت: كَانَ فِرَاشُ رسول اللَّه ﷺ مِن أَدَمٍ حشْوُهُ لِيف - رواه البخاري. وعن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي اللَّهُ عنه قال: **أَخْرَجَتْ لَنا عائِشَةُ رضي اللَّهُ عنها كِساء وَإِزارًا غَلِيظًا قالَتْ: قُبِضَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ في هذين** - متفقٌ عليه. وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْ رزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»** متفقٌ عليه. «قُوتًا» أَيْ مَا يَسدُّ الرَّمَقَ. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله علنه قال قال رسول الله ﷺ: **"ما لي وللدنيا، مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال: في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها"** – مسند أحمد بسند صحيح.

وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه واليًا على إحدى المدن، وكان راتبه خمسة آلاف درهم يتصدق بها جميعًا، وكان يشتري خوصًا بدرهم، فيصنع به آنية فيبيعها بثلاثة دراهم؛ فيتصدق بدرهم، ويشتري طعامًا لأهله بدرهم، ودرهم يبقيه ليشتري به خوصًا جديدًا.

فالزاهد الحق في الدنيا الذي خرجت الدنيا من قلبه رغم أنه يتعامل معها بيديه فإنه يأتي يوم القيامة ممن يغبطه أصحاب الأموال الطائلة الذين استخدمتهم الدنيا فأخذت عليهم وقتهم وكادت تودي بدينهم ايضًا. فعن ثوبان مولى رسول الله أن رسول الله ﷺ قال: **"يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"** رواه أو داؤد بسند صالح



٩٨- باب الغرباء

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**" ذكره ابن حزم في أصول الأحكام وقال في غاية الصحة، منقول نقل التواتر.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال كنت عند رسول الله ﷺ يومًا، فطلعت الشمس فقال: يأتي قوم يوم القيامة نورهم كنور الشمس، قال أبو بكر: نحن هم يا رسول الله؟ قال: لا، ولكم خير كثير، ولكنهم الفقراء المهاجرون الذين يحشرون من أقطار الأرض، فذكر الحديث، وزاد ثم قال: طوبى للغرباء، قيل: من الغرباء؟ قال: أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم " - المنذري في الترغيب والترهيب و أحد إسنادي الطبراني رواته رواة الصحيح

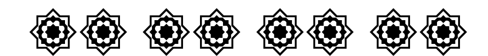
وعن ابن عمر، رضي اللَّه عنهما، قال: أَخَذ رسول اللَّـه ﷺ بِمَنْكِبَـيَّ، فقـال: «**كُنْ في الدُّنْيا كأَنَّكَ غريبٌ، أَوْ عَابِرُ سبيلٍ**» رواه البخاري.

وَكَانَ ابنُ عمرَ، رضي اللَّه عنهما، يقول: **إِذَا أَمْسيْتَ، فَلا تَنْتظِرِ الصَّباحَ وإِذَا أَصْبحْت، فَلا تنْتَظِرِ المَساءَ، وخُذْ منْ صِحَّتِكَ لمرضِكَ ومِنْ حياتِك لِموتكَ** - رواه البخاري. قالوا في شرح هذا الحديث معناه لا تَركَن إلى الدُّنْيَا ولا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، ولا تُحدِّثْ نَفْسكَ بِطُول الْبقَاءِ فِيهَا، وَلا بالاعْتِنَاءِ بِهَا، ولا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إلاَّ بِما يَتَعَلَّقُ بِه الْغَرِيبُ في غيْرِ وطَنِهِ، ولا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِما لا يشتَغِلُ بِهِ الْغرِيبُ الَّذِي يُريدُ الذَّهاب إلى أَهْلِهِ.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "**من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد**" - الترغيب والترهيب - بإسناده صحيح

أو حسن أو ما قاربهما -

والغرباء يعيشون بين الناس بأجسادهم وأرواحهم معلقة بـالله فهـم يـذكرون الله حين يغفل الناس عنه ولا ينسونه في أماكن غفلة الناس ولا بين الناس الغافلين كالأسواق وأماكن العمل وغيرها من مواضع الغفلة عـن ذكـر الله. وذكـر الله بـين الغافلين دون علمهم كأنه خلوة مع الله تعالى وهو كالصـلاة بـين النـائمين. هـؤلاء الغرباء أفراد قلائل بين كثرة غالبـة مـن الفسـقة والمنـافقين وأهـل الضـلال. إنهـم يعيشون بين الناس لكنهم لا يستطيعون تغيير المنكر من حولهم فمنهم من يسـتطيع الهرب من بين أهل الضلال ويعتزلهم، ومنهم من لا يتمكن من ذلـك فيعـيش بـين ظهرانيهم لكنه في غربة عنهم وعن باطلهم، وأولئك هم المعنيون بهذه الأحاديـث. فهؤلاء يتوجهون إلى الله من باب غربتهم وهذا هو باب الغرباء.



٩٩- باب الإعتزال وقت الفتن

قال اللَّه تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ **[الذاريات: ٥٠]**.

عن أبي سعيد الخُدريِّ رضي اللَّـه عنـه قـال: قـال رَجُـلُ أَيُّ النَّـاسِ أفضَـلُ يارسولَ اللَّه؟ قال: **«مُؤْمِنٌ مجَاهِدٌ بِنفسِهِ وَمَالِهِ في سبيل اللَّه»** قال: ثـم مـن؟ قـال: **«ثم رَجُلٌ مُعتَزِلٌ في شِعْبٍ مِن الشِّعَاب يَعبُدُ رَبَّهِ»**، وفي روايةٍ **«يتَّقِـي اللَّـه، ويَـدَع النَّاس مِن شَرِّهِ»** متفقٌ عليه. وعنه قالَ: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«يُوشِكَ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَال المُسْلِم غَنَمٌ يَتَّبَّعُ بهَا شَعَفَ الجِبَال ومواَقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدينِـهِ مـن الفِـتنِ»** رواه البخاري. و«شَعَفَ الجِبَال»: أَعْلاَهَا. وعنه عَنْ رسول اللَّه ﷺ أنه قـال: **«مِـنْ خَـير مَعَاشِ النَّاس رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرسِهِ في سَبِيلِ اللَّه يَطيرُ عَلى مَتنِهِ، كُلَّمَـا سَـمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتلَ، أَو المَوْتَ مظَانَّه، أَوْ رَجُلٌ في غُنَيمَةٍ في رَأْسِ شَعَفَةٍ مِن هَذِهِ الشَّعَفِ أَوْ بَطنِ وادٍ مِن هَذِهِ الأَودِيَةِ، يُقِيم الصَّلاةَ ويُؤتي الزَّكَـاةَ، ويَعْبُد رَبَّهُ حتَّى يَأْتِيَهُ اليَقِينُ لَيسَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ في خَيْرٍ»** رواه مسلم.

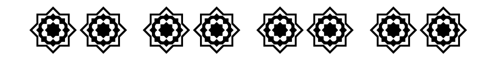
«يَطِيرُ» أَي يُسرع. «ومَتْنُهُ»: ظَهْرُهُ. «وَالهَيْعَةُ»: الصوتُ للحـربِ. «وَالفَزَعَـةُ»: نحوهُ. وَ «مَظَانُّ الشَّيءِ»: المواضع التي يُظَنُّ وجودُه فيهـا. «والغُنَيمَـةُ» بضـم الغـين تصغير الغنم. «الشَّعْفَةُ» بفتح الشِّين والعين: هي أَعْلى الجَبَل.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قـال رسـول الله ﷺ: **"إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم و خفت أماناتهم و كانوا هكذا و شبك بـين أنامله فالزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليـك بخاصة أمر نفسك، ودع عنك أمر العامة "** - الجامع الصغير- وعن سهل بن سـعد الساعدي، قال: قال رسول الله ﷺ يومًا لعبد الله بن عمرو بن العاص: **«كيف بـك**

إذا بقيت في حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا كذا – وشبك بين أصابعه؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**اعمل بما تعرف، ودع ما تنكر، وإياك والتلّون في دين الله، وعليك بخاصة نفسك، ودع عوامهم**» رواه أبو داؤد – والحثالة: الرديء من كل شيء ومعنى مرجت: اختلفت وفسدت.

وسئل أبو ثعلبة الخشني: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ **[المائدة: ١٠٥]** قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ، قال: **بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوىً متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم"** رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب.

الإعتزال وقت الفتن اختبار قاس للناس وبالإخص من كان معروفًا بينهم. فقد يطلب منه أن ينحاز إلى فئة ضالة او أن يقاتل معها أو تأييد حاكم ظالم أو إعطاء رأي في مسألة واضحة البطلان. كل ذلك يتعرض له الناس في وقت الفتن وقد تكون الضغوط عليهم بما لا يستطيعون. فالعزلة في مثل هذه الأحوال هي باب النجاة، فمن خالف هواه في الرغبة في المال والمنصب والجاه واعتزل الفئات التي يختلط فيها الحق والباطل ويختلط الظلم والعدل ويختلط العمل في سبيل الله بالجاه والمنصب والمال فإن هذه العزلة تكون بابًا من أبواب التوجه إلى الله تعالى.



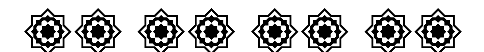
١٠٠- باب التزام الجماعة

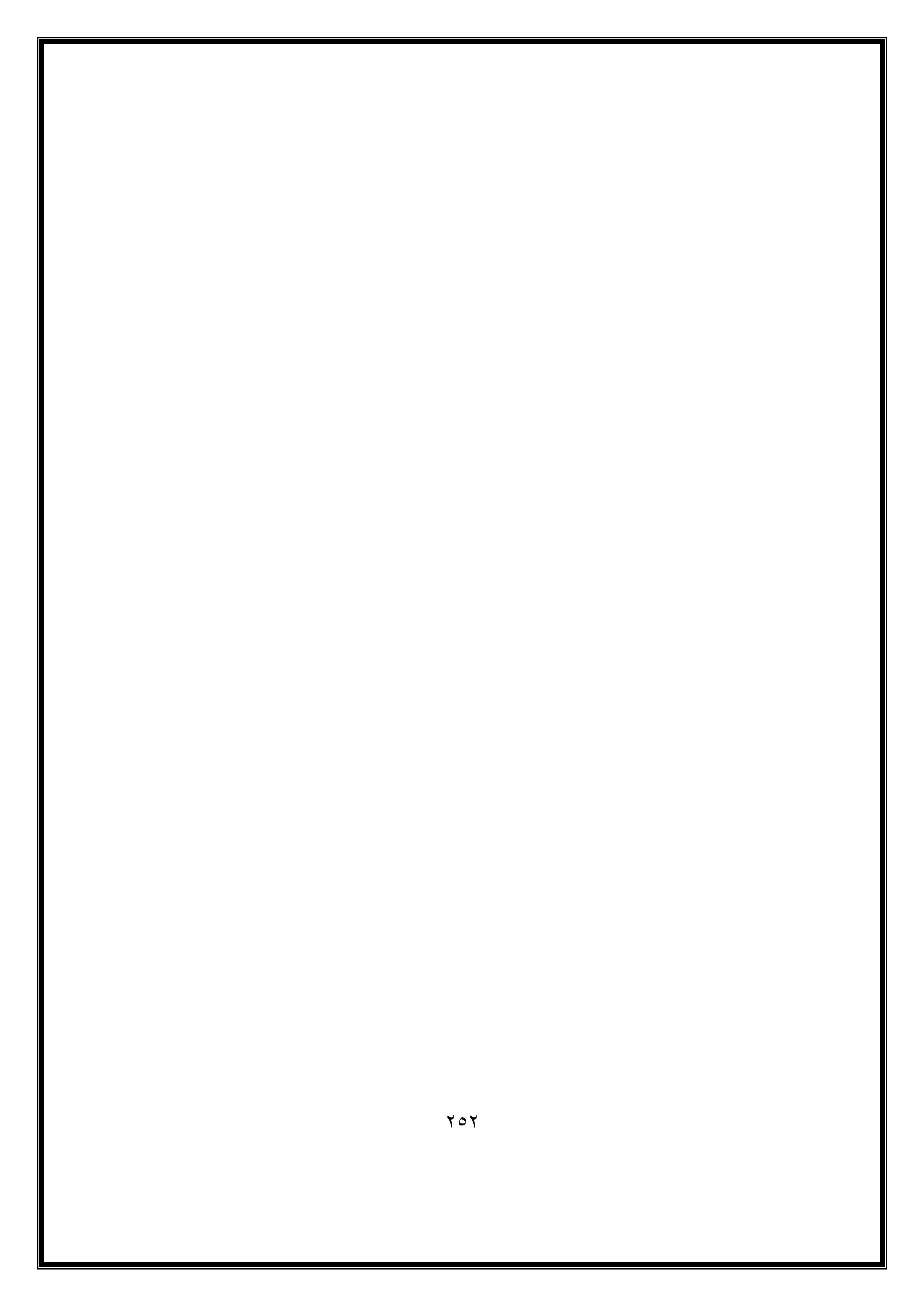
قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ **[النساء: ٥٩]** فولي الأمر الذي يلتزم بحدود أوامر الله تعالى واجب الطاعة وإن وجد منه شيء مكروه فيجب الصبر، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: **"من رأى من أميره شيئا يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا، فمات فميتة جاهلية"** - رواه مسلم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **"من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمتي، يضرب برّها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه. وفي رواية: لا يتحاشى من مؤمنها"** رواه مسلم، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"إن الله لا يجمع أمتي – أو قال: أمة محمد – على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذّ شذّ إلى النار"** رواه الترمذي وقال غريب من هذا الوجه. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد. ألا لا يخلون رجل بامرأة إلاّ كان ثالثهما الشيطان. عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن"** رواه الترمذي وقال حسن صحيح. وعَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَة رضي اللَّه عنه قال: وَعَظَنَا رسولُ اللَّه ﷺ مَوْعِظَةً بليغةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ

وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُون، فقُلْنَا: يـا رَسـولَ اللَّـه كَأَنهَـا موْعِظَـةُ مُـوَدِّعٍ فَأَوْصِـنَا. قـال: **«أُوصِيكُمْ بِتَقْوى اللَّه، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وإِنْ تَأَمَّر عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حبشِـيٌّ، وَأَنَّـهُ مَـنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيرى اخْتِلافًا كثِيرا، فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وإِيَّاكُمْ ومُحْدثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضلالَةٌ»** رواه أبـو داود والترمـذِي وقـال حـديث حسـن صـحيح. «النَّواجِـذُ»: الأَنْيَـابُ، وقيـلَ: الأَضْرَاسُ.

وعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَة هِنْدٍ بنتِ أَبِي أُمَيَّةَ حُذيْفَةَ رضي اللَّه عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: **«إِنَّهُ يُسْتَعْملُ عَلَيْكُمْ أُمَراءُ فَتَعْرِفُونَ وتُنْكِرُونَ فَمنْ كَرِه فقَدْ بَرِىءَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ منْ رَضِيَ وَتَابَعَ»** قالوا: يا رَسُولَ اللَّه أَلاَ نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: **«لاَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلاَةَ»** رواه مسلم.

إن وحدة الأمة ووحدة جماعة المسلمين يجب أن تكون في مقدمـة الأولويـات، لذلك فالمحافظة على هـذه الوحـدة وتقويتهـا وعـدم الخـروج عليهـا فريضـة علـى المسلمين، فإذا ما تشتت الآراء وظهرت الفتن وظهرت بوادر الفرقـة فـإن الوقـوف بوجه الفتن وتعزيز وحدة الجماعة المسلمة تصبح من واجبات كل فـرد فمـن وفـى بها والتزم الجماعة فقد توجه إلى الله من باب عظيم. وهذا لا يتناقض مـع النصـح لأولي الأمر دون إثارة للفتن والفرقة وأفضل النصح أن يكون سرًا لأنه أبعـد عـن الرياء وسوء الفهم والفرقة. كما أن هذا لا يتناقض مع مـا ورد في أحاديـث سـابقة من أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، فـإن النصـح واجـب حتـى وإن أدى إلى أذى لمن قام به وهو يحتسب ذلك عند الله تعالى.





الفهرس